

غزوات شعوب البحر

أَفَاقُ تِقْلِيفَةٍ

(٤)

رئيس مجلس الإدارة

محمد الأحمد

وزير الثقافة

الشرف العام والمدير المسؤول

د. ثائر زين الدين

المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب

رئيس التحرير

نذير جعفر

الإشراف الطباعي

أنس الحسن

نزار مصطفى كحلاة

غزوات شعوب البحر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٧



غزوات شعوب البحر / نزار مصطفى كحلاة. - دمشق: الهيئة العامة
السورية للكتاب، ٢٠١٧ م. - ٤٣ ص؛ ٢٠ سـم.
(آفاق ثقافية؛ العدد ٤)

١ - حل حـ ٩٣٠
٢ - العنوان
٤ - السلسلة
٣ - كحلاة

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى أول إنسان حاول الكتابة

إلى تاريخٍ موغَّلٍ في القدم لسورية

إلى الملكة العربية اليمنية أروى الصُّليحي

مُقَدِّمةٌ

يقول الخطيب الروماني الشهير ماركوس شيشرون ١٠٦ - ٤٣ ق.م^(١): «من لم يقرأ التاريخ يعيش طفلاً أبداً الدهر» ومن يعتقد بأن العلوم السياسية بمفهومها الحديث (دراسات وأبحاثاً) هي من نتاج القرون الأخيرة من الألفية الثانية بعد الميلاد، ويبقى في حالة استنكار للدراسات التاريخية الهدافة لاستقراء التاريخ، واستخلاص العبر منه، يبقى قاصراً عن استشراف المستقبل والإعداد له، خير إعداد.

(١) من كبار رجال الدولة والخطباء والكتاب الرومان، تولى منصب القنصلية عام ٦٣ ق.م، وكان له دور بارز في القضاء على مؤامرة كاتيلينا، وعلى الرغم من انتهائه إلى طبقة الفرسان، فقد كان من كبار المدافعين عن النظام الجمهوري، كما أنه عمل في المحاماة. قُتل شيشرون عام ٤٣ ق.م، وترك مجموعةً من المؤلفات والخطب والرسائل، التي تُعد قمة في الأدب اللاتيني، ويُعد كتاباه عن الخطابة، من أهم ما كتبه في حياته، انظر كتاب / دراسات في تاريخ الرومان /، محمد محفل، ج ٢، دمشق، ط ١٠، ٢٠٠١ - ٢٠٠٠ م، ص ٢.

فقد علّمنا دروس التاريخ، أن الفكر السياسي والدراسات السياسية، ودراسة الواقع الدولي، وقراءة الواقع السياسي لدول الجوار، ومعرفة المتغيرات الدولية، كانت من صُلْبِ عملِ القادة السياسيين الكبار عبر التاريخ.

وانطلاقاً مما ذُكر، نستطيع أن نفهم الدوافع التي أجبرت أعظم إمبراطوريتين - المصرية والحبشية - حكمتا منطقة شرق المتوسط، أو ما يُسمى اصطلاحاً «الشرق الأدنى القديم»، على توقيع معاهدة السلام، التي أعقبت معركة قادش ١٢٨٥ ق.م التي جرت بينهما في سياق الصراع الدولي للسيطرة على سوريا (بلاد الشام) ذات الموضع الاستراتيجي المهم.

تلك المعاهدة التي وقّعت عام ١٢٦٩ ق.م أي بعد انتهاء معركة قادش بنحو ستة عشر عاماً، ودخول القوتين العظميين «حرباً باردةً» لم تُسْفِر إلا عن توقيع معاهدة السلام تلك، والتي أنهت حالة الصراع بين أقوى قوتين في أواخر عصر البرونز الحديث ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م.

وَمَنْ يَدْرِسُ الْوَاقْعَ السِّيَاسِيَّ وَالرَّؤْيَا السِّيَاسِيَّةَ، الَّتِي حَدَّتْ بِمَلُوكِ وَأَبَاطِرَةِ تَلْكَ الدُّولَ، لِتَوْقِيعِ تَلْكَ الْمُعَاهَدَةِ، يَجْزُمُ بِأَنَّ ثَمَّةَ «دِرَاسَاتٍ» وَاسْتَشَارَاتٍ سِيَاسِيَّةً، قَدْ تَمَّتْ مِنْ قِبَلِ الْجَاهِينِ، فَقَدْ أَدْرَكَ كُلُّ مَنْ إِمْپَراَطُورَ الْحَثِيقِينَ خَاتُوشِيلِيَّ الثَّالِثَ - ١٢٧٥ ق.م، وَمَلِكَ مَصْرَ رَعْمَسِيسَ الثَّانِي ١٢٣٤ - ١٢٥٠ ق.م، أَنَّ ثَمَّةَ مُتَغِيرَاتٍ دُولَيَّةَ قَادِمَةَ، لَيْسَتْ فِي مُصْلَحَةِ الْطَّرَفَيْنِ، فَيَا لَوْ أَسْتَمِرَ فِي حَالَةِ الْعَدَاءِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمُتَغِيرَاتِ:

- ١ - حَالَةُ الْضَّعْفِ، الَّتِي كَانَتْ تَعْانِي مِنْهَا الدُّولَةُ الْبَابِلِيَّةُ فِي ظُلُلِ الْحُكْمِ الْكَاشِيِّ ١٥٩٥ - ١١٥٧ ق.م.
- ٢ - نَهُوضُ قُوَّةِ آشُورِ (الدُّولَةُ الْوَسْطَيِّ) بِشَكْلِ يُنْبَئُ عَنْ قِيَامِ دُولَةٍ قَوِيَّةٍ، قَدْ تُنَافِسَ كُلَّتَيِ الدُّولَتَيْنِ (الْحَثِيقَةِ وَالْمَصْرِيَّةِ).
- ٣ - وَالْأَهْمَمُ مِنْ ذَلِكَ، الْأَهْدَاثُ الَّتِي كَانَتْ تَجْرِي فِي شَبَهِ جَزِيرَةِ الْبَلْقَانِ، وَالْتَّحُولُ فِي مَسِيرَةِ وَاتِّجَاهِ الْحُكْمِ فِي مُلْكَةِ مَسِينِيِّ (مِيكِينِي) نَحْوَ الْعَسْكَرَةِ، وَالَّذِي أَدَى بِدُورِهِ إِلَى تَحْرِكَاتٍ هَائِجَةٍ، عَمَّتْ مُعَظَّمَ جَزْرِ بَحْرِ إِيجَةِ، وَبَعْضَ جَزْرِ الْبَحْرِ الْمَتوَسِّطِ، إِضَافَةً إِلَى تَحْرِكِ شَعُوبِ وَقَبَائِلِ آسِيَا الصَّغِيرِيِّ

المجاورة لخاتونشا عاصمة الحثيين، من جهةٍ، وبعض قبائل منطقة ليبيا غرب مصر، من جهةٍ أخرى، هذه التحركات التي وُصفَت في نصوص مصر القديمة بأنَّها: «تحركات الشماليين الذين في جزرهم» (سكان الجزر الشمالية) والتي باتت تُعرف اليوم بـ«غزوَات شعوب البحر».

كل هذه المتغيرات كانت قد رُصدت من قِبَلِ قادة وملوك الدول الكبرى، فسعى كُلُّ طرفٍ منها لتحسين مواقعيه في انتظار القادم، بكلٍّ ما يُنبئ من مخاوف وصادمات، قد تؤدي إلى كوارثٍ تُزييل دولاً وإمبراطوريات من الوجود، وتُنشئ أخرى، وهذا بالضبط ما حدث، كما سوف نرى لاحقاً.

فما هي هذه التحركات التي وُصفَت بـ«تحركات شعوب البحر»؟، وما هي أسبابها؟، ومتى حدثت؟، وكيف؟، وكم استمرت؟، وما هي النتائج التي أسفرت عنها؟، هذا ما سوف نتعرَّفُ إليه، من خلال هذه الدراسة المتواضعة، التي عمدت إلى تقسيمها إلى سبعة فصول، مراعيًّا التسلسل

المنطقى والتارىخي للأحداث، ففي الفصل الأول، تناولت أوضاع المنطقة - موضوع البحث - عشية حدوث هذه المتغيرات، فيما تناولت في الفصل الثاني، غزوات شعوب البحر بشكلٍ عام، مع ذكر الأسباب التي أدت إلى حدوثها، فيما أفردت الفصل الثالث للحديث عن غزو مصر من قبلِ شعوب البحر، ومن ثمَّ لأنَّ الحديث في الفصل الرابع عن غزو شعوب البحر لآسيا الصغرى، وسقوط الإمبراطورية الحثية، فيما كان الفصل الخامس لذكر غزوات هذه الشعوب لبلاد الشام، وخاصة مملكة أوغاريت، أما الفصل السادس فقد كان للحديث عن مواجهة من تبقى من هذه الشعوب والأقوام مع الدولة الآشورية الوسطى، في عهد ملوكها تجارات بليصرا الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م والقضاء عليهم بشكلٍ شبه تام، وفي الفصل السابع تمَّ تقديم بعض النتائج المهمَّة، التي تمَّ التوصل إليها، نتيجة حصول هذه التحركات الكبيرة، في عالم شرقي البحر الأبيض المتوسط، وتبقى الخاتمة، خلاصة ما قدُّم.

وفي ختام البحث، تم تقديم بعض الملاحق، والخرائط، والجداول، والصور، التي تساعد القارئ على فهم الموضوع بشكل أفضل، وتسهل عليه معرفة بعض الغموض الذي قد يعترفه أثناء قراءة البحث.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أذكر بالصعوبات - وقد أفردت لها عنواناً خاصاً - التي تعترى هكذا دراسات وأبحاث، وخاصة في الفترات التاريخية الفقيرة بالمصادر والنقوش والكتابات، ولن أضيف إلى الشعر بيتاً، إذا أضفت إليها قائمة المشككين ب مجريات الأحداث، وعلى رأسها نقص المصادر التاريخية، والمشكلة الأكثر صعوبة، هي تضارب فترات حكم ملوك وقادة تلك الفترة الزمنية، ما بين مصدرٍ وآخر، مما صعب على إجراء المقارنات الالازمة، بغية الوصول إلى صورةٍ أقرب ما تكون إلى الحقيقة، إلا أن هذه التناقضات حالت دون ذلك، فقد بدا البحث، وفي بعض الأماكن، وكأنّها فقدتَ بعضَ من منطقة الحدث، لكنني حاولت قدر المستطاع أن أصل إلى أقربِ تصوّرٍ ممكنٍ لما حدث في تلك الفترة الزمنية البالغة الصعوبة، من حيث دراستها بشكلٍ

واضح وجلي، فهي ترقي بصعوبتها إلى تصنيفها من أصعب إشكاليّات التاريخ دراسة وبحثاً.

وقد كانت الغاية الحقيقية من هذا البحث، مقاربة فترة زمنية غائمة في أذهان الكثيرين من تصادفهم هذه العبارة الدائمة (دُمِّرت على يد شعوب البحر)، وغالباً ما يأتي الشرح مقتضياً في أسفل حواشي صفحات تلك الكتب التي تتطرّق لذكرها، ويفى ما قدمته محاولة، تأتي في سياق محاولاتي الكثيرة والمتّساقّة في البحث عمّا خفي عنا في التاريخ، وخاصة القديم منه، بغية إدراك حقيقة ما حدث لنا، وما يحدث الآن، أو ما قد يحدث لاحقاً، إذا أدركنا جيداً قراءة صفحات هذا التاريخ، وخاصة ما خفي منه، لعلّنا نصل إلى حقيقة ما وصلنا إليه من تراجع، قارب حد التشكك بأنفسنا، وشكّل بقدرتنا على تصنيف بعضنا بعضاً، على أننا أمة تستحق الحياة.

وفي الختام تبقى الغاية الأهم، من أنواع من الدراسات والبحوث كهذه، هي الارتقاء بعقل القارئ الكريم، نحو

معرفة ما خَفِي من تاريخه، خاصَّةً في المراحل المُفصَّلية منه،
والتي ضَنَّتْ علينا معظم كُتب التاريخ، في تقديم إيضاحات
عنها، إضافةً إلى استقراء العِبر، وفهم الحاضر واستشرافٍ
أفضل للمستقبل، والتي أرجو أن أوفق في تقديمها - العِبر -
بشكلٍ يُسَهِّلُ على القارئ الوصول إليها.

وختاماً، لا يسعني إلا أن أقول: إنْ أجدتُ في ما قَدَّمْتُ،
ونلتُ شرفَ إعجابكم، فهذا هو المرتجى، وإنْ أخطأتُ فعلى
عاتقي تقعُ كاملاً المسؤولية، فحسبي أنني حاولتُ، وعلى الله
وعونه جُلُّ الاتكال.

صعوبات البحث

قبل الدخول والبحث في عالم أواخر عصر البرونز الحديث، وأوائل عصر الحديد، أي الفترة الانتقالية ما بين ١٣٠٠ - ١١٠٠ ق.م، تلك الفترة التي يكتنفها الكثير من الغموض والنقض في حجم المعلومات، واللُّقى الأثرية والرُّقم والكتابات، لا بدَّ لنا من أن نلقي الضوء على بعض الصعوبات، التي قد تواجه الباحث في هكذا أنواع من الدراسات، لما لها من أهمية وصعوبة بآنٍ معاً، لعلَّها تعطي هذا البحث والباحث العذر فيما لو وَجَدَ القارئ الكريم بعض الغموض واللَّبُسِ، أثناء قراءته له.

أولاً: إن الفترة الزمنية - موضوع البحث - هي من الفترات الزمنية الغامضة في التاريخ، لأن السويات الأثرية التي تعود إلى هذه الفترة، غالباً ما تكون خُرَبَة، وغير واضحة

المعالم، إضافة إلى طبقة السواد المتتشرة في معظم الحفريات، التي تعود جغرافياً وتاريخياً إلى هذه الفترة، والتي عادة ما تدلُّ على حراائق عمَّت المنطقة - موضوع البحث - (الأناضول - ساحل بلاد الشام) مما يصعب عملية إيجاد كتابات (رُقم - أوراق بردية - نقوش... إلخ) تعود إلى تلك الأونة.

ثانياً: غياب الدراسات الجادَّة، ونقص المراجع، التي تحدث عن تلك الفترة الزمنية، فعادة ما ترد المعلومات - إن وُجِدت - على شكل تعليقات مقتضبة حول تلك الفترة الزمنية في هوامش الأبحاث فقط.

ثالثاً: التناقضات الكثيرة التي تصادفُ الباحثَ بين مرجعٍ وآخر، إن وُجِدت بعض التفصيلات حول هذه الفترة الزمنية (موضوع البحث).

رابعاً: عدم وجود اتفاق حول التسميات الخاصة بتلك الشعوب، فهي تختلف بين مصدر وآخر.

خامساً: عدم وجود اتفاق حول تواريخ حكم قادة الدول، التي عاصرت تلك الأحداث، مما يُصعب على الباحث، إجراء المقارنات والتقطيعات التي عادةً ما تُجبرهَا الباحث، وتُقيد في إيجاد نتائج، تُغنى وتشتبّه، أو تلغي بعض المعلومات.

سادساً: امتداد هذه الغزوات على زمن طويل، وعبر مراحل مختلفة، فهي ليست غزوة واحدة، وإنما غزوات، جاءت على شكل تحركاتٍ سلميةً تارةً، وحربيةً تارةً أخرى، وفي عدة اتجاهات، وعلى مدى زمني تجاوز الـ ٢٠٠ عام.

سابعاً: عدم وجود أسباب واضحة وجليلة لهذه الغزوات، مما يُصعب على الباحث استنتاج أسباب هذه التحركات، وذلك بالاعتماد على دراسات وأبحاث وضعَت بشكل غير مباشر، ولكنها قد تُقيِّد في استنتاج أسباب هذه التحركات.

ولكن وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات، وإيماناً
منا بضرورة كشف بعض حقائق التاريخ الغامضة، وإن كنت
لا أدعّي الوصول إلى الحقيقة الجلية المطلقة، فما هي
إلا مقاربات واستنتاجات قد توصل إلى لوحة شبه واضحة
عن مرحلة زمنية من تاريخنا العربي، أعتقد بضرورة دراستها،
لما لها من أهمية في قراءة التاريخ بشكل جيد، واستنتاج العبر،
علّنا نُسقطها على الحاضر، فُحسِن قراءتها، ونُحسِن الإعداد
لمستقبلٍ أفضل.

الفصل الأول

أوضاع المنطقة - موضوع البحث -

عشية حدوث هذه الغزوات

عندما نتحدث عن المنطقة - موضوع البحث - فإننا نقصد بها المناطق التي تتعلق بهذه التحرّكات بشكل مباشر أو غير مباشر، ويأتي على رأسها: بلاد الرافدين، بلاد الشام، الساحل السوري (أو غاريت)، وادي النيل (مصر)، آسيا الصغرى - تركيا حالياً - (الدولة الحثية).

أولاً: الأوضاع في بلاد الرافدين

الدولة البابلية

إن عصر الازدهار والقوة، الذي شهدته هذه الدولة، إبان حكمها من قبل الملك الشهير حمورابي ١٧٥٠ - ١٧٩٢ ق.م

عادت المملكة لتدخل دور الضعف، نتيجة وصول عدد من الملوك الضعفاء، ما أدى إلى سقوطها على يد الحثيين بقيادة ملتهم مورشيلي الأول عام ١٥٩٥ ق.م الذين غادروا بابل مباشرةً بعد سقوطها، مُسَلِّمِين الحكم فيها للكاشيين، وال Kashians هم جماعات (هندو - أوروبية) ظهرت في بلاد الرافدين، قبل سقوط بابل بوقت طويق، وقد حكم الكاشيون بابل نحو أربعة قرون، ما بين ١٥٩٥ - ١١٥٧ ق.م وقد حكموها في بداية عهدهم بقوة، ولكن وباءاً من عام ١٢٧٠ ق.م دخلت بابل في دور الضعف والتراجع في القوة، بسبب التردي في الأوضاع السياسية والاقتصادية والصراعات الداخلية، نتيجة وصول حكام ضعاف بدءاً من كودور إنليل الأول ١٢٦٤ - ١٢٥٥ ق.م وقد كان للهجوم العيلامي الكبير على بابل في السنوات الأخيرة من حكم كاشتيلاش الرابع ١٢٤٢ - ١٢٣٥ ق.م إضافة للأعمال العدائية التي قام بها الملك الآشوري توکوليتی نینورتا الأول ١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م، الدور الكبير في إضعاف هذه الدولة، إلى حين سقوطها الأخير على يد العيلاميين عام ١١٥٧ ق.م بقيادة

ملکهم کودور ناخونتی، وذلک علی الرغم من الصحوة
المتأخرة لبابل، إثر تراجع قوۃ آشور بعد اغتیال توکولیتی
نینورتا الأول ۱۲۴۴ - ۱۲۰۸ ق.م.

الدولة الآشورية الوسطى

بعد عصر القوۃ الذي شهدته آشور إیان حکمها من قبل
شمسي أدد الأول ۱۸۱۵ - ۱۷۸۲ ق.م عادت الدولة الآشورية
القديمة لتدخل دور الضعف، وتدخل تحت هیمنة الدول القوية
المجاورة، وعلى رأسها الدولة البابلية (الکاشیة) والدولة المیتانية،
إلى حين أعاد آشور أوباليط الأول ۱۳۶۵ - ۱۳۳۰ ق.م وخلفاؤه
عصر القوۃ الآشورية، فيما عُرِفَ لاحقاً بـ الدولة الوسطى، حيث
تخلّصت من نیر (حوري - میتاني) لتدخل بعدها عصر القوۃ،
و خاصة على يد الفاتحين الكبار أمثال: شلمانصّر الأول ۱۲۷۴ -
۱۲۴۵ ق.م وتوکولیتی نینورتا الأول ۱۲۴۴ - ۱۲۰۸ ق.م
الذي مدَّ السيطرة الآشورية من نهر الزاب الأسفل في الشرق،
حتى الفرات في الغرب، وأورارتو في الشمال، لكن آشور وبعد
اغتیال توکولیتی نینورتا الأول، مرَّت بفترة من الضعف، دامت

نحو قرن من الزمن، عادت خلالها بلاد بابل إلى سيادة الحلبية في بلاد الراافدين، إلى أن عادت آشور للظهور ثانية بعد دمار بابل عام ١١٥٧ق.م واستلام آشور ريش إشی العرش ما بين ١١٣٣ - ١١١٧ق.م وبشكلٍ خاص مع وصول أشهر وأقوى ملوك آشور في الدولة الوسطى تجلات بليصر الأول ١٠٧٧ - ١١١٧ق.م^(١) الذي كان له شأن كبير في رد بعض تحركات ما تبقى من قبائل شعوب البحر عن بلاد الراافدين، كما سنتى لاحقاً.

ثانياً: الأوضاع في بلاد الشام

شهدت بلاد الشام صراعاً مريراً ما بين الدولة المصرية والدولة الحثية، من أجل السيطرة عليها، وخاصة بعد قضاء شوبيلو ليوما الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ق.م إمبراطور الحثيين على الدولة الميتانية عام ١٣٥٠ق.م، وقد كانت ذروة هذا الصراع في معركة قادش ١٢٨٥ق.م مع المصريين، التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

(١) عيد مرعي، وفيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الراافدين، دمشق، ط ٤، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م، ص ٢٧٧ وما قبلها، ٣٠٨ وما قبلها.

وفي هذه الفترة شهدت بلاد الشام، وخاصةً في أطراف الbadia السورية، ولا سيما المناطق القريبة من (جبل بسري) انتشار قبائل الأحلامو، وهم القسم الأكبر والأقوى من القبائل الآرامية، التي انتشرت ما بين مناطق الفرات الأوسط وحتى كركميش (جرابلس حالياً) بدءاً من القرن السابع عشر قبل الميلاد.

وقد بدأت القبائل الآرامية بالانتشار والاستقرار في انتظار الفرصة المواتية لها، من أجل بناء ممالك وإمارات لها، عن طريق تشكيل ضغوط ديمografية حيناً، وعسكرية أحياناً، على دول الجوار، إلى أن واتتها الفرصة في بناء أولى ممالكها في أوائل الألف الأول قبل الميلاد، فقد شهدَ مطلع القرن العاشر قبل الميلاد، ظهور كيانات سياسية آرامية متميزة في مناطق الجزيرة السورية، ثم في جميع المناطق السورية^(١).

كما نشأت في هذه الفترة من النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، مملكة أمورو نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد امتدت من ساحل البحر المتوسط في الغرب إلى سهول

(١) فاروق إسماعيل: اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، ٢٠٠١م، ص ٩.

محص في الشرق، ومن أوغاريت في الشمال، إلى جبيل في الجنوب، وقد قدمت لنا رسائل تل العمارنة^(١) الكثير من المعلومات عن هذه المملكة^(٢)، التي لعبت دوراً بارزاً في الصراع الدولي، ما بين الحثين في الشمال، والمصريين في الجنوب.

(١) يقع تل العمارنة جنوبى مدينة المنيا المصرية بنحو ٥ كم، على البر الشرقي لنهر النيل، وهو يضمُّ في طياته آثار مدينة (آخت آتون) التي أمر ببنائها الملك أمنحوتب الرابع (آخناتون) ١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م، ويبعد التل نحو ٣٢٠ كم شمال مدينة طيبة، وفي عام ١٨٨٧ م، تم العثور على الرُّقم الطينية، وهي عبارة عن الرسائل المتبادلة بين ملوك مصر، أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م وأمنحوتب الرابع (آخناتون) مع ملوك كبرى مالك الشرق القديم (ميتاني، حاتوشا) وملوك آشور وبابل وأرزاوا وألاشيا (قبرص)، وملوك وحكام كانوا يحكمون مدنًا في بلاد الشام (سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن) التابعة للسيادة المصرية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد بلغ عدد هذه الرقم ٣٨٢ (رقمياً) وهي عبارة عن ٣٥٠ رسالة، والباقي نصوص متفرقة مختلفة الموضوعات، وهي مدونة بالكتابة المسماوية، واللغة الأكادية (اللهجة البابلية الوسيطة)، انظر كتاب / مراسلات العمارنة الدولية، د. فاروق إسماعيل.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سوريا القديم (٣٠٠٠ - ٣٣٣ ق.م)، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠ م، ص ١٤٥.

فقد لعب ملوكها وعلى رأسهم عبدي عشيرتا - ١٣٨٠
١٣٤٥ق.م وابنه عزيرو ١٣٤٥ - ١٣١٥ق.م دوراً بارزاً في ذلك الصراع، حيث كانوا يُجيدون اللّعب على السياسة الدوليّة، ما بين مواليين للسلطة في العاصمة الحثية حاتوشة من جهة، وفي الوقت نفسه إرضاء السلطة الإمبراطوريّة في مصر من جهة أخرى، كما أنهم شَكّلوا خطراً على معظم ممالك وإمارات سورية الجنوبيّة الموالية لمصر، وقد وقف ملوك مملكة أمورو إلى جانب الحثيين في معركة قادش ١٢٨٥ق.م.

أما عن بقية إمارات ومالك سوريا (قادش - جبيل - قطنة - نيا - نوخاشي... إلخ) فقد تراوحت في ولائهما ما بين الحثيين والمصريين، إلى حين توقيع معاهدة السلام الشهيرّة ما بين الحثيين والمصريين، والتي على أثرها عمّ السلام في سوريا لأكثر من ٦٠ سنة، إلى حين قدوم جحافل شعوب البحر، هذه المعاهدة التي قسّمت سوريا على الخط الوهمي المُمتد من جبيل على الساحل السوري إلى دمشق في الداخل، فكانت المناطق التي تقع شمال هذا الخط تابعة للدولة الحثية، والمناطق التي تقع جنوبه تابعة للدولة المصريّة.

الأوضاع في أوغاريت

حكم أوغاريت في عصر ازدهارها الكبير، في أواخر عصر البرونز الحديث ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م، سبعة أو ثمانية ملوك، كان أولهم المدعو نيقادو الثاني ١٣٧٠ - ١٣٣٥ ق.م وقد عاصر الإمبراطور الحثي شوبيلو ليوماً الأول، وعزيزرو ملك أمورو، وقد كانت مملكة أوغاريت قوية اقتصادياً، لكنها ضعيفة عسكرياً، وهو السبب الذي جعلها تعيّد معااهدة صداقة مع عزيرو ملك أمورو، ومعاهدة أخرى مع الإمبراطور الحثي السالف الذكر، نصّت المعااهدة على تقديم أوغاريت جزية سنوية للملك الحثي، مؤلفة من كمية محددة من الذهب وملابس وأصواف أرجوانية للملك والملكة الحثيين، مقابل قيام الملك الحثي بحماية أوغاريت من اعتداءات جيرانها عليها، وعلى رأسهم: مملكة موكيش (آلاخ)^(١) في الشمال، و(نوخاشي) في الشمال الشرقي، و(نيا) في الشرق.

وقد استمرت أوغاريت في ولائها للحثيين إلى حين سقوطها على يد شعوب البحر، كما أنها وقفت إلى جانب الحثيين في معركة

(١) تل العطشانة، في سهل العمق، في لواء إسكندرية السليم.

قادش، وقد بقيت علاقاتها مع مصر وديّة في عهد (حور محب) ورعمسيس الثاني ومرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م، إلى حين سقوطها، ففي عهد آخر ملوكها المدعو عمورابي ١٢١٠ - ١١٩٠ ق.م الذي يبدو أنه، وبحسب نصوص أوغاريت، لم يكن ابنًا للملك السابق إيرانو ١٢٣٠ - ١٢١٠ ق.م، وقد عاصر هذا الملك آخر الملوك الحثيين شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩١ ق.م، ونائبه في كركميش (جرابلس حالياً) تالمي تি�شوب^(١).

لقد غدت أوغاريت وخاصة بعد معاهدة الصلح الحثية المصرية، أكبر ميناء لتصدير البضائع في الساحل السوري الشمالي، وهو بوابة منطقة العمق وسورية الشمالية إلى العالم الإيجي (كريت - ميكيني) وجزيرة قبرص، وقد كانت لأوغاريت علاقات جيدة مع كيليكية الواقعة، تحت السيطرة الحثية، ويبدو أن المملكة الأوغاريتية كانت تمتد إلى الداخل شرقاً، وعلى الساحل نحو الجنوب، لكننا لا نستطيع تحديد حدودها بدقة^(٢).

(١) المصدر نفسه: ص ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٩.

(٢) محمد حرب فرزات: موجز في تاريخ سوريا القديم، دمشق، ط ١١، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م، ص ١٠٤.

ثالثاً: الأوضاع في وادي النيل (مصر)

كان تحتمس الثالث ١٤٦٨ - ١٤٣٦ ق.م أحد أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة في الدولة المصرية الحديثة ١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م، قد اتبع سياسة التوسيع العسكري في إخضاع سورية، فبعد انتصاره الكبير في معركة مجدو ١٤٦٧ ق.م على التحالف المؤلف من الإمارات السورية الممتدة من الجنوب، وحتى نهر الفرات في الشمال، وبدعم من المملكة الميتانية، وبقيادة ملك قادش، قد استطاع بسط سيطرته على معظم الأراضي السورية بما فيها الجزء الأكبر من الساحل السوري، كما وصل إلى الضفة اليسرى للفرات، بعد دخوله أراضي الدولة الميتانية في حملته الثامنة، حيث فرَّ الملك الميتاني من أمامه، مؤسساً بذلك إمبراطورية مصرية ممتدة الأرجاء.

وقد حافظ خَلَفُهُ وابنه أمنحوتب الثاني ١٤٣٦ - ١٤١٣ ق.م على دولته، قويةً مرهوبة الجانب، وعلى معظم الأراضي السورية، وكذلك الأمر في عهد تحتمس الرابع ١٤١٣ - ١٤٠٥ ق.م، ولكن مصر لم تبلغ الذروة إلا في عهد أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م لكنها للاسف بدأت بالضعف مع سنوات حكمه

الأُخِيرَة، وخاصَّةً مع وصول أمنحُوتَب الرابع (أختاتون) ١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م، إلى السُّلْطَة، وقيامه بحركة الإصلاح الديني، ما أدى إلى انشغاله بمصر، وبصراًعه مع كهنة آمون، وبالتالي إلى إهماله لشؤون السُّورِيَّة، وقد قدَّمت نصوص رسائل العمارنة العشرات من الرسائل التي تُظَهِّر مدى تخلي هذا الملك عن المناطق التابعة له في سوريَّة، وإهماله الكبير لنداءات الاستغاثة الكثيرة، التي كانت تَرِدُّهُ من قِبَلِ المناطق التابعة له في سوريَّة، خاصَّةً نداءات الاستغاثة المتكررة، التي وردتَهُ من إمارات جبيل وبِيرُوت... إلخ، في الوقت الذي استطاع فيه شوبيلو ليوماً الأول القضاء على الدولة الميتانية نحو العام ١٣٥٠ ق.م. ومَدَّ نفوذه نحو الجنوب في سوريَّة، على حساب السيطرة المصريَّة.

وَمَعَ دُخُولِ الأُسْرَةِ التَّاسِعَةِ عَشَرَةِ وَوَصُولِ الرَّعَامِسَةِ إِلَى حُكْمِ مِصْرَ، عَادَتْ مِصْرُ لِتَسْتَعِيدَ شَيْئاً مَا مِنْ قُوَّتِهَا، وَخَاصَّةً مَعَ وَصُولِ رَعَمِسيسِ الثَّانِي ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م الَّذِي دَخَلَ فِي «حَرَبِ بَارِدَةٍ» مَعَ الْخَشِينِ، بِدَائِيَّةِ مِنْ أَجْلِ كَسْبِ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنْ وَلَاءَاتِ الإِمَارَاتِ وَالْمَالِكِ السُّورِيِّ، إِلَى أَنْ جَاءَ الصَّدَامُ

ال العسكري المُرتقب في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م بين رعمسيس الثاني ومواتالي ١٣٠٦ - ١٢٨٢ ق.م الملك الحثي، لكن، ومع حدوث بعض التغيرات الدولية، وخاصة بروز القوة الآشورية (الدولة الوسطى) وبواحد تحرّكات ما يسمى بـ (شعوب البحر)، إضافةً إلى بعض التحرّكات التي قامت بها بعض الشعوب في آسيا الصغرى، مُستَغِلّةً بواحد الضعف التي حلّت في الدولة الحثية، كما بدأت مصر تتعرّض لبعض التحرّشات من الجانب الغربي، ومع كل هذه التغييرات، لجأت الدولتان العظيمان (مصر وخاتي) إلى توقيع معاهدة الصلح عام ١٢٦٩ ق.م بين الدولتين، التي جعلت كلاً منها تتفرّغ لمشاكلها الداخلية والخارجية.

ومع وصول مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م إلى الحكم، زاد الضغط على الدولة المصرية، وخاصة مع زيادة التحرّشات، التي قامت بها بعض شعوب البحر المُتحالف مع بعض قبائل ليبيا، والتي سنأتي على تفصيلها لاحقاً.

وبعد فترة من الضعف، بسبب وصول عددٍ من الملوك الضعفاء، وصل رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م ليضع

حداً لتحركات شعوب البحر القادمة عبر الأراضي الليبية، ول年之久 لهم الضربة القاصمة في معركة زاهي، والتي سبّأ على ذكر تفاصيلها لاحقاً^(١).

رابعاً: أوضاع الدولة الحثية

اعتاد علماء آثار وتاريخ غرب آسيا القديم، أن يطلقوا على القبائل التي كانت تقطن في أواسط آسيا الصغرى خلال عصور ما قبل التاريخ اسم ما قبل الحثيين، ويقولون أيضاً: إن هذه القبائل لا تمت بصلة قرئي إلى الحثيين، الذين شكلوا بعد قرون مديدة جزءاً من هجرة ما تعرف بـ(الشعوب والقبائل الهندو آرية) ويعتقد أن القبائل الحثية استوطنت بعض مناطق آسيا الصغرى في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت تربطها صلات قرئي قوية بقبائل الكنوم التي كانت تقطن البلقان، وهذا دليل على أنهم نزحوا من هذه المناطق إلى منطقة حوض منعطف نهر(الهاليس) في أواسط آسيا

(١) محمود عبد الحميد أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م، ص ٢٢٣ وما قبلها.

الصغرى، وهناك رأي آخر يقول: إنهم نزحوا إلى أواسط آسيا الصغرى من المناطق الشمالية الواقعة على سواحل البحر الأسود.

وبعد صراع مع الآشوريين، الذين كانوا قد أقاموا لهم مستوطنات في منطقة كبادوكيا، والذين نشروا سيادتهم الاقتصادية على البقاع التي أصبحت تُشكل موطن القبائل الحثية التاريخي، وفي مقدمتها منطقة (كانيش).

لقد استطاع الحثيون، بعد زمنٍ تشكيل دواليات مدن في الأناضول، كان أشهرها (كوشا) و(نيشا) و(زالباونيشا) و(خاتشا) وهي بوغازكوي الحالية، وكذلك (بورشخاندا) وقد أدى ذلك إلى نشوب حروب بين هذه الدواليات، أدت إلى تشكيل أول مملكة حثية متحدة على أنقاض هذه الدواليات، وذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد^(١).

(١) توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور حتى عام ١١٩٠ ق.م، الشرق الأدنى القديم «بلاد ما بين النهرين / بلاد الشام»، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥ م، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

وقد مرَّ الحثيون بتأريخهم بمرحلتين رئيسيتين، تفصل بينهما فترة من الضعف والتفكك والصراعات الداخلية:

١ - المملكة القديمة.

٢ - فترة الضعف.

٣ - المملكة الحديثة (الإمبراطورية) (١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م.)

وقد أسسها الملك العظيم شوبيلو ليوماً الأول ١٣٨٠ -

١٣٤٦ ق.م.^(١)

لا نعلم أخباراً مفيدة عن النصف الأول من عهد تودخاليا الثالث؟ - ١٣٨٠ ق.م، الذي يبدو أن وحدة البلاد قد تمزقت في عهده، إذ نشبت ثورات في أطرافها الشمالية، قادها الكشكيون (الكاز كاز)^(٢)، الذين سيكونون في عِداد الشعوب،

(١) بشير زهدي: الحثيون، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الثامن، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط١، ٢٠٠٣ م، ص ٤٥.

(٢) الكاز كاز Gas أو الكشكيون: شعب كان يقيم في الشمال الشرقي من البلاد، وفي أعلى نهر الاهاليس وشمال الفرات، ويُعدّ من أبرز القبائل المحاربة، وكان أبناؤه يربون الأبقار والأغنام ويعانون بزراعة الكروم وتصنيع الخمور، وقد نظر الحثيون إليهم نظرةً دونيةً ووصفوهم بـ(نساجي الكتان).

التي ستسهم في دمار العاصمة الخالية حاتوشا، وكذلك الأزيون في المناطق الشمالية الشرقية، وقد سيطروا على المناطق الجبلية القريبة من العاصمة حاتوشا^(١)، كما انطلق الجيش الأرزاوي من الجنوب الغربي، وسيطر على سهل ليكاوني^(٢)، ووصل حتى توأنوا^(٣)، ومع عجز الملك عن إعادة الاعتبار لملكته - بسبب إصابته بالمرض - اعتمد على القادة العسكريين في الدفاع عن حدوده، فقد تمكَّن أحد القادة العسكريين المدعو (كتتوزيل)^(٤) من إبعاد الكشكين إلى جهات أرزيا (حالياً كيسري) وسيطر على الضفاف الجنوبي لنهر الهاليس، ولكن قائداً كشكياً يُدعى (توتو)^(٥) سار بجيشه، بعد زمن قصير، ووصل حتى سَلَّابا^(٦)، وأحرقها بالنار^(٧).

(١) بوغاز كوي الحالية، شرقي أنقرة.

(٢) شمال شرقي مدينة قونية.

(٣) حالياً بور قرب مدينة نفذة.

(٤) سلمه حالياً، جنوبي مدينة نوشهر.

(٥) فاروق إسماعيل: مراسلات تل العمارنة الدولية - وثائق مسماوية من القرن ١٤ ق.م / سلسلة دراسات آثارية (٤)، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ص ٤١.

ومع وصول شوببيو ليوما الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ ق.م، الذي يُعدُّ من أعظم ملوك الحثيين، والذي استطاع القضاء على الدولة الميتانية نحو ١٣٥٠ ق.م وإخضاع معظم مناطق سورية، وخاصة الشمالية منها، لسيطرته، كما أنه استطاع تحرير العاصمة من الاحتلال مفاجئاً ومدمرًا حققه الأزيون والكشكيون، الذين أحرقوا وقتلوا خلاله كثيراً من القادة العسكريين، كما تمكّن من السيطرة على القسم الغربي من منعطف نهر الاهاليس، وقد توافق مع الكشكيين إلى أن أرغم قسماً كبيراً منهم على رمي السلاح والاستسلام^(١).

ومرة أخرى استطاع شوببيو ليوما الأول ردَّ هجمات شعوب (الكاراكاز) الذين هاجموا الأراضي الحثية في (بالا)^(٢)، وبعد وجودهم هناك لمدة ٢٠ سنة، قرر بنفسه الذهاب لحربرهم، حيث وافته المنية هناك، نحو ٦ ١٣٤٦ ق.م^(٣)، وقد حافظ خلفاء

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢) تقع بالا إلى الشمال الشرقي من حاتوشة.

(٣) صفية سعادة: أوغاريت، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١٩٨٢، م، ص ٥٨.

شوبيلو ليوما الأول الأقواء، وعلى رأسهم (مورشيلي الثاني) و(مواتالي) ١٣٠٦ - ١٢٨٢ ق.م، وخاتوشيلي الثالث ١٢٧٥ - ١٢٥٠ ق.م الذي وَقَع معاهدة الصلح مع المصريين، وحافظوا على قوة الدولة، وصدوا معظم هجمات الشعوب المحيطة بالعاصمة حاتوشة.

و قبل وفاة تودخاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م أقدم ملك (أخياوا) (أكاي) على غزو الأراضي الحثية من الغرب، واستولى على أرزاؤا، وقد ترافقت الأضطرابات في الغرب، مع تلك الآتية من الشرق، وسرعان ما وجدت حاتوشة نفسها محاصرة بالأعداء من جميع الجهات: آشور في الجنوب، القبائل البربرية في الشمال، وشعوب البحر الآتية من الغرب^(١).

إضافة إلى كل ما سبق، فقد أصبت عدة مناطق من المملكة الحثية بحالة من العوز، وذلك بسبب الجفاف الذي أصابها، حيث أصبحت المملكة بحاجة إلى القمح لإنقاذهما من المجاعة، وأصبح على الملك التابع لهـاـ كـ مملكة موكيش (آلاخ)

(١) المصدر نفسه: ص ٩٨، ١٠٣.

وأوغاريت، التابعين لها، تزويدها بالقمح^(١)، كما أقدم المصريون في عهد ملوكهم منتباح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م على تزويدها بالقمح أيضاً، فقد أثبتت نقوش جدران معبد الكرنك في مصر، قيام منتباح بإرسال المساعدات الغذائية إلى الحثيين.

وقد حارب آخر ملكين حثيين أرنوونداش الثالث وشوبيلو ليوما الثاني اللذين حكما حاتوشما ما بين ١٢٢٠ - ١١٩١ ق.م زمن سقوطها أمام الموجات الأولى لشعوب البحر^(٢) وسوف نأتي على تفصيل كل ذلك لاحقاً.

خامساً: معركة قادش

لقد خضعت منطقة الشرق العربي القديم لأقوى إمبراطوريتين عظميين، حكمتا المنطقة بشكل متوازٍ، الإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى، والإمبراطورية المصرية في وادي النيل، وبسبب توازي

(١) قاسم الشّوّاف: أخبار أوغاريتية وموسيقا من أوغاريت - أقدم موسيقا معروفة في العالم، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط ١٩٩٩ م، ص ٨١.

(٢) صفية سعادة: مرجع سابق، ص ٩٨، ١٠٣.

القوتين، فقد لجأتا إلى ما يشبه «الحرب الباردة» منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومع وصول مواتالي ١٣٠٦ - ١٢٨٢ ق.م - الإمبراطور الحثي - إلى السلطة، ورعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م ملك مصر، بدت الأمور وكأنها متوجهة نحو صدام عسكري وشيك، وذلك بغية تحسين مواقع كلٍّ منها في انتظار المتغيرات الدولية القادمة، وعلى رأسها بروز قوة آشور (الدولة الوسطى) وبداية تحركات ما يسمى بـ(شعوب البحر).

فقد ساد الحثيون القسم الشمالي من سوريا، وبقي القسم الجنوبي تحت السيادة المصرية، وكان الخط الوهمي الفاصل بين المنطقتين، يمرُّ من منطقة حمص في الداخل، ومدينة جبيل على الساحل، وقد حاول كلٌّ طرفٍ أن يوسع منطقة نفوذه على حساب الطرف الآخر، وقد بلغ الصراع ذروته عندما التقى الجيشان الحثي والمصري قرب مدينة قادش المُحصنة، وذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة، وقد حدثت المعركة في العام الخامس من حكم رعمسيس الثاني، أي نحو ١٢٨٥ ق.م^(١).

(١) عيد مرعي: تاريخ سوريا القديم، مرجع سابق، ص ١٨١.

وقد انقسمت الإمارات والملك السورية بين الطرفين المتنازعين، وعلى الأغلب بحسب توزع مناطقهم جغرافياً.

وفي الحقيقة، فإن المعركة لم تكن حاسمة، والرأي الغالب، هو أن المعركة انتهت بترابع الطرفين، ومن ثمّ بدأت مفاوضات الصلح بينهما بعد ذلك^(١).

سادساً: المعاهدة الخشية المصرية ١٢٦٩ ق.م

لقد شهدت الفترة الرمنية، ما بين نهاية الحرب التي لم تكن حاسمة في قادش، تطورات دفعت الطرفين إلى اللجوء لتوقيع معاهدة السلام بينهما، وقد كانت دوافع المصريين لتوقيع المعاهدة:

١ - حدوث عدة تمردات في سورية، وخاصة في منطقة فلسطين، وإعادة السيطرة المصرية على الساحل الفينيقي، واستعادتها جزءاً من أمورها^(٢).

(١) عبد العزيز عثمان: معلم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٦ م، ص ٤٦٥.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٨٣.

٢- إن ظهور بعض القبائل في الجيش الحشبي، أثناء معركة قادش، وخاصة قبائل: لوقش - قشقش - ميشوش، الذين قطنوا آسيا الوسطى، وهم من قبائل شعوب البحر^(١)، التي سوف يكون لها الأثر الأكبر في قادم الأيام، هو الذي لعب الدور الأبرز في توقيع المعاهدة.

٣- ظهور بوادر لبعض التحركات على حدود مصر الغربية (ليبيا).

أما عن دوافع الحشين لتوقيع هذه المعاهدة، فقد تجلّت بما يلي:

١- الخلافات التي ظهرت نتيجة الصراع على العرش الملكي، إثر موت مواطلي، ما أدى إلى ضعف الدولة.

٢- زيادة الضغط على حاتوشة، بسبب تحركات القبائل التي تقطن شهلاها، وشرقها.

٣- بداية التغيرات المناخية، التي أدت إلى نقص واردات الدولة، والتي أدت إلى نقص دعم الجيش، ما أدى إلى ضعف الدولة.

(١) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ٨١.

أما عن الدوافع المشتركة للبلدين معاً، لتوقيع المعاهدة، فهي:

١ - رغبة الطرفين في التفاهم على إيقاف التوسيع الآشوري المتعاظم.

٢ - تشجيع النشاط التجاري للدول الكنعانية الموالية للطرفين، بعد ركوده إثر اضطراب التجارة البحرية، جراء تحركات الشعوب في شرق المتوسط.

٣ - ظهور طلائع شعوب البحر الأبيض المتوسط، وتقديمها نحو السواحل الشرقية له، مهددة الإمبراطورية الحثية، والسواحل السورية، ومصر^(١).

وللأسباب السالفة الذكر، فقد عُقدت معاهدة سلام وصداقة بين الحثيين والمصريين في العام الحادي والعشرين من حكم رعمسيس الثاني، أي نحو العام ١٢٦٩ ق.م، وقد وقعتها عن الطرفين، كل من: رعمسيس الثاني، عن الجانب المصري، وخاتوشيلي الثالث عن الجانب الحثي، وتعُد هذه المعاهدة، من أهم وأقدم المعاهدات عبر التاريخ.

(١) محمد حرب فرزات: موجز تاريخ، مرجع سابق، ص ١٤٨.

وقد وُجِدت نصوص هذه المعاهدة مكتوبةً بالخط الهiero-غليفي على لوحة مثبتة أمام جدار في معبد الكرنك، أما المصدر الحثي عن هذه المعاهدة، فيتألف من رقيمين من الطين، مكتوبين بالخط المسهاري واللغة البابلية، ومن أهم نصوص المعاهدة:

- ١ - قيام حلف هجومي دفاعي بين الطرفين.
- ٢ - استمرار مفعول المعاهدة، حتى بعد موت أحد المتحالفين، فلا يُهاجم طرفُ أملأك الطرف الآخر.
- ٣ - تقديم المساعدة في حالة تعرّض أحد الطرفين لهجوم من طرفٍ ثالث.
- ٤ - تسليم اللاجئين إلى أيٌّ من الطرفين، على ألا يُعاملوا ك مجرمين عند عودتهم^(١).

وقد خصّت المعاهدة عدة قضايا مختلفة، لكننا أوردنا فقط هذه «البنود» التي تؤكّد عند قراءتها مليّاً، أن ثمةَ هواجس

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

مشتركة لدى الطرفين، دفعتهما إلى توقيع هذه المعاهدة، وهذا ما تحقق لاحقاً، عند قدوم جحافل شعوب البحر في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وقد أعاد توقيع المعاهدة المدوء إلى دول ومالك غرب آسيا، وخاصةً بعد تقسيم مناطق النفوذ في بلاد الشام بين الدولتين العظميين الحثية والمصرية^(١)، وقد تُوج هذا الازدهار في العلاقة بين الطرفين بالزواج المُحتفى به، بين ابنة خاتوشيلي الثالث الحثي، ورعمسيس الثاني، والذي أدى إلى تمتين العلاقات على الصعيد العائلي^(٢)، ولم تعُرِّض صفو هذا المدوء، سوى الهجمات العسكرية الآشورية بين الحين والآخر، ضد مناطق النفوذ الحثية في الأراضي الميتانية السابقة، وشمال سورية. لكن الصراع في مناطق غرب آسيا، كان ينبع دوماً من داخلها، وذلك على مدى أربعة قرون قبل عام ١١٩٠ ق.م،

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، ت. علي خليل، دار الرأي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ص ٢٠٩.

إذ كانت المناطق الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى ومرتفعات المضبة الإيرانية، تُشكّل دوماً موطنَ القبائل التي تزرعُ الخراب في مناطق غرب آسيا المتّحضرّة، قبيل وصول هجمات الشعوب البحريّة، التي تحالفت معها لزرع الخراب والدمار في غرب آسيا وبِلاد الشام، كما أنها هددت مصر عن طريق البر والبحر^(١).

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦.

الفصل الثاني

غزوات شعوب البحر

هي عبارة عن تحركات لشعوب وقبائل جنوب شبه جزيرة البلقان، وأرخبيل جزر بحر إيجية، وبعض جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك لأسباب تتعلق بالضغط الديموغرافي (السكاني) الذي نجم عن تراكم تحركات لشعوب أتت من شمال، وشمال شرق أوروبا، لأسباب مُناخية وغير مُناخية (حروب - صراعات قبليّة... إلخ) أدت إلى هذه التحركات، وفي اتجاهات مختلفة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وقد أدى تحركها ووصولها إلى بعض المناطق (آسيا الصغرى - ليبيا) إلى تحرك بعض قبائل وشعوب هذه المناطق، التي كانت أساساً تنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على المراكز الحضارية (حاتوشا - مدن الساحل السوري - مصر -

كريت) وقد جاءتها الفرصة المناسبة مُستَغَلَّةً بعض الصعوبات التي كانت تُعاني منها تلك المراكز الحضارية، من صراعات داخلية وجفاف وضعف، إضافة إلى تلك التحركات البحريَّة، فاشتركت معها في تحركِها، ما شَكَّلَ تحركات كبيرة، استمرت لأكثر من قرنين من الزمان، لكنها لم تكن على وطيرة واحدة، فكانت تتراوح ما بين هجمات بسيطة وسلمٍّ حيناً، وبين هجمات كبرى، اجتاحت مناطق واسعة تابعة للدول المتحضرة، فأدت إلى زوال دول ومالك بأسرها (حاتوشا - أوغاريت - آلاخ... إلخ) وخراب أخرى لفترة من الزمان (جبيل - صيدا - صور) أحياناً أخرى، إلى أن استطاع رعمسيس الثالث - ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م إيقافها في معركة برية بحرية نحو ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م وكذلك فعل من بعده تجلات بليصر الأول - ١١١٧ ق.م الآشوري، وقد أدخلت هذه التحركات منطقة الساحل السوري، وعلى مدى أكثر من ٢٠٠ سنة في فترة من الضراب والاضطرابات وعدم الاستقرار (عصر الظلمات)، وذلك حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، حيث عادت دول ومالك الساحل السوري ل تستقر من جديد، فيما بدأت تتشكلُ ممالك

وإمارات الآراميين في أواسط وشمال، وجنوب بلاد الشام،
وسوف نأتي على تفصيل كل ما ذكرناه سابقاً.

أسباب تحركات شعوب البحر

هناك أسباب متعددة أدت إلى هذه التحركات، استطعنا حصر
خمسة منها، ونترك للأبحاث القادمة، تقديم المزيد، وهي:

- ١ - المتغيرات التي حدثت في أوروبا.
- ٢ - الأسباب السياسية.
- ٣ - الأسباب الاقتصادية.
- ٤ - الأسباب العرقية.

٥ - وجود بعض القبائل المُتدنية حضارياً على أطراف المراكز
الحضارية.

أولاً: المتغيرات التي حدثت في أوروبا
يذهب بعض المؤرخين الحدثيين إلى أن هناك شعوباً بدأت
تُهاجر إلى جنوب شبه جزيرة البلقان، التي سُمِّيت فيما بعد بلاد
اليونان، وإلى أرجاء بحر إيجية، وبعض سواحله في الشمال

والشرق، وذلك بدءاً من نحو عام ٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م، وذلك استناداً إلى بعض النصوص المصرية القديمة، التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، التي تذكر من بين (شعوب البحر) اسمي (دانا - وونا) و(آقايوشة)، اللذين لا يصعب علينا إرجاعهما إلى الأصل اليوناني، فنرى أنها مُشيران إلى قبائل (الدانائيين) و(الآخائين).

ففي نحو ١٩٠٠ ق.م تقريباً، بدأت تدخل شبه جزيرة البلقان أقوام جدد، لا نعرف من أين أتت على وجه اليقين، ولعلهم وفدوا من منطقة حوض الدانوب (سهل المجر) أو شمال أوروبا الشرقي، أو من منطقة أبعد من ذلك، من شرق بحر قزوين، أو أواسط آسيا، وهي منطقة شديدة البرودة، وبعيدة عن البحر، ثم دخلوا شبه جزيرة البلقان، من شماها، أو من خلال سواحلها الشرقية. حتى إننا لا نعرف الاسم الذي كانوا يطلقونه على أنفسهم عند مجئهم إلى شبه الجزيرة، لكننا نعرف أنهم كانوا ينتمون إلى أسرة الشعوب «الهندو أوروبية»، وأنهم كانوا قوماً محبين للقتال والفروسية والقتال، ويحملون أسلحة مصنوعة من البرونز، ولعلَّ الدمار الذي لحق بعدهِ كبيرٌ

من المراكز العمرانية في أواخر العصر الهللادي^(١) القديم ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق.م وشَمَّلَ منطقة واسعة، تتد من غرب شبه الجزيرة، إلى إرجوليس، يرتبط بمجيء هؤلاء الأقوام.

وأغلب الظن أنهم لم يقتحموا البلاد كغزاة دفعه واحدة، بقدر ما دخلوا متسللين في أفواج متعاقبة، وإن هجرتهم استغرقت زمناً طويلاً جداً امتدّ من ١٩٠٠ ق.م تقريباً حتى سنة ١١٠٠ ق.م.

وقد طغوا على السكان القدامي، وإن تأثروا بحضارتهم، لكنهم أصبحوا الطبقة الحاكمة، بفضل تفوقهم في التنظيم العسكري والفروشية وفنون القتال.

ففي عام ١٥٥٠ ق.م أصبح سكان شبه الجزيرة (البلقان) خليطًا من سلالتين:

١ - الهندو - أوروبيين القادمين الجدد.

٢ - البلاسي (البلاسجي) سكان البحر الأبيض المتوسط الأصليين، والذين سوف نأتي على ذكرهم لاحقاً.

(١) الهللادي، مصطلح علمي مشتق من هلاس بمعنى اليونان.

وقد كان دخولهم، على موجات متعددة، وهي:

١ - الموجة الأولى، وكانت تتألف من: الآخائين الذين

سكنوا بداية جنوب تساليا، قبل أن ينتقلوا إلى شبه جزيرة البلوبونيز، ويسطروا لاحقاً على قسم من جزر بحر إيجية، وجزيرة كريت، ويقضوا على حضارتها.

٢ - الموجة الثانية، وكانت تتألف من: قبائل الأويوليين

والأيونيين.

٣ - الموجة الثالثة، وكانت تتألف من: الدوريين في أواخر

القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهم القبائل الأكثر قوة وضخامة وهجمية، الذين خربوا كلّ شيء في طريقهم، وقد أتوا من مناطق مقدونيا وإيليريا.

والعُمدةُ في الموضوع، أن قبائل الآخائين والأيونيين

والأويوليين، الذين استقروا في مناطقهم الجديدة، واندمجوا مع السكان الأصليين (البلاسجين) وبعد أن بدؤوا في بناء الحضارة،

ومن أجل مواجهة القادمين الجدد، الدوريين - وهم عماد الموجة الثالثة - اضطروا إلى تغيير مراكزهم وأماكن استقرارهم، والهجرة إلى جزر بحر إيجية وشواطئ آسيا الصغرى، ثم إلى مختلف أنحاء

البحر الأبيض المتوسط، وقد سَمِّت هذه القبائل مجتمعة نفسها باسم (الهellenين) وسمّوا كلّ الشعوب الأخرى (برابرة) أي أعاجم لا يتكلمون اللغة اليونانية^(١).

وعند وصول هذه القبائل (اليونانية) إلى شبه جزيرة البلقان (اليونان) وجزر بحر إيجية، لم تكن تلك المواقع خالية من السكان، وإنما كانت هناك حضاراتان أصليتان، هما:

١ - الحضارة الإيجية (الكريتية) أو الحضارة المينوية، نسبةً إلى بيت مينوس، وهو البيت الحاكم وملكها الأسطوري مينوس الذي سيطر على جزيرة كريت، وهي الجزيرة التي كانت فيها أقوى مراكز هذه الحضارة، وهي حضارة ليست يونانية، وإن امتد تأثيرها إلى بلاد اليونان.

٢ - الحضارة اليونانية (الميسينية): وهي حضارة يونانية بدأت في قلب اليونان وانتشرت خارجها.

(١) يتسب اليونانيون إلى هيللين، وكان هيللين ولدان، هما: (دوروس) وأئولوس)، وحفيدان هما (إيون) و(آخيوس)، ومنهم جاءت القبائل اليونانية المعروفة، وهي الأخائيون، والأيونيون، والأيoliون، والدوريون.

وقد وقعت بلاد اليونان في بداية العصر الهلادي الحديث (الميكيني) ١٥٥٠ - ١١٥٠ ق.م تحت تأثير الحضارة المينوية الكريتية الإيجية.

ولم يكن سكان كريت من العرق الهندو - أوروبي، وقد وفدوا إلى كريت من آسيا الصغرى، في العصر النيوليتي، الذي انتهى في الجزيرة نحو العام ٢٥٠٠ ق.م واستقروا في الشرق والشمال.

وتشير الدراسات إلى أن دولة مينوس قد زالت نحو عام ١٤٠٠ ق.م، وأن شعباً غريباً قد طغى على السكان الأصليين في القرنين ١٤ - ١٣ ق.م إذ إنَّ الجماجم المستطيلة التي كانت أكثرية تعود إلى السكان الأصليين، أصبحت قليلة إلى جانب الجماجم المستديرة الوافدة، ما يؤكِّد حدوث غزو خارجي، وينفي نظرية الهزة الأرضية التي يتبناها البعض.

وقد أدى هذا الغزو من قبل بلاد اليونان القارية وخاصة (الآخين) من مدينة ميكيناي في بلاد اليونان، حيث سادت الروح العسكرية، بدلاً عن روح الطبيعة والجمال، التي كانت سائدة في جزيرة كريت.

نستتّج من كُلٌّ ما ذُكِرَ: أنَّ قبائل الآخين في بلاد اليونان (ميكييناي) كانت ت يريد الخلاص من سيطرة مينوس في القرن ١٤ ق.م، وقد تمَّ لها ذلك، ومن ثُمَّ اكتسحت قبائل الدوريين الجزيرة، نحو ١١٠٠ ق.م، فطَمَست باقي معالم الحضارة، وقد أصبحت الجزيرة يونانية كلها، وتتكلّم اللهجة الدورية، عدا بعض المقاطعات الصغيرة في زاويتها الشرقية.

وهنا يطرح السؤال التالي نفسه: متى، وكيف بدأت الحضارة الميكيينية؟ ومتى ازدهرت؟.

إن الباحث في تاريخ جنوب شرق أوروبا، يجدُ أن ثمةَ تغيرات قد حصلت، وقد أدت في نهايتها إلى مُتغيرات، أدت بدورها إلى ظهور حضارات، وأفول أخرى.

فقد بدأت الحضارة الميكيينية ما بين ١٦٠٠ - ١١٠٠ ق.م وازدهرت نحو عام ١٤٠٠ ق.م على أكتاف سكان البلاد الأصليين الذين يُسمّيهم اليونانيون (بيلاسكي) ^(٥) Pelasgi، ولا يُعرفُ عن هذا

(٥) من المُحتمل أن يكون هذا الاسم مشتقاً من الكلمة بلاغوس pelages أي البحر، لذلك فهو يفيد بمعنى (شعوب البحر) البلادجيين أو الكاريين نسبة إلى إقليم كاريا في بلاد آسيا الصغرى.

الشعب، إلا أنه من شعوب بحر إيجي، وأنه يشبه الشعوب القاطنة في آسيا الصغرى مثل (الليديين) و(القاريين) و(الليكين).

كما يجد الباحثُ، أن ثَمَةَ هجرات متتالية بدأَت تتقَدِّم نحو مناطق البلقان نحو ١٩٠٠ ق.م، وتعُدُّ من أوائل الهجرات التي قصَدت شبه جزيرة البلقان، وهم أَوَّل فوجٍ من قبائل، عادةً ما تُنْسَب إلى ما يسمى بـ (الهندو أوروبين) وإن كنا لا ندرِي من أين جاءُوا، وإنما نعلمُ عن يقينٍ أنهم كانوا يتكلَّمون اللغة اليونانية^(١)، وينبغي التنبيه إلى أن هؤلاء لم يأتُوا دفعة واحدة، أو في فوجٍ كبيرٍ واحدٍ، ولا في شكلٍ حملة استعمارية مُنظمة، بل جاءُوا كغزوة متسللين في عدة أفواج خلال فترة طويلة من الزمن، استغرقت ما يزيد على ثمانية قرون، وبديهي أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا أَوَّل قوم سكَنُوا وسط البلقان وجنوبه، ولم

(١) اليونانية هي: إحدى لغاتٍ كثيرة تتنتمي إلى الأسرة الهندو-أوروبية، التي تشمل السنسكريتية والفارسية والأرمنية والسلافية والبلطيقية واللاتينية والكلامية والخثية، وقد ظلت اليونانية مدة طويلة - حتى نحو عام ٣٠٠ ق.م - لغة متعددة اللهجات، لكن الاختلافات بينها كانت في جوهرها مقصورة على النطق والهجاء، وليس في الألفاظ، أو الإعراب أو النحو.

يأتوا كأصحاب حضارة رفيعة، بل كانوا همّجاً، اعتمدوا على حضارة السكان الأصليين، وتمثّلواها.

كشفت معاول الأثريين عن حضارة متقدمة نسبياً، بل عن حضارات سابقة، قبل مجيء (اليونانيين) إلى البلقان، ما بين ١٩٠٠ - ١٥٥٠ ق.م أي فيما يسمى بفجر الهللادي الوسيط، والذين كانوا الطليعة الأولى من الجنس «الهلليني» وقد تمت تسميتهم بـ «الأخيin»^(١)، اقتداءً بهوميروس، الذي يطلق هذا الاسم على حشودهم التي كانت تُحاصر طروادة، عند أواخر القرن الثالث عشر، وأوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وقد امترج هؤلاء القادمون الجدد، اليونان (الأخيون) أو (الدانويون)^(٢)، مع السكان الأصليين القدامى (البلاسجين) (بلاسكي - بلاسجي) وهم ليسوا هندو - أوروبين، وفرضوا عليهم سيطرتهم ولغتهم.

(١) نسبة إلى مقاطعة آخيا، التي تقع جنوب شرق إقليم تساليا، أي القسم الشمالي فقط من بلاد اليونان، حيث توجد آخيا.

(٢) الاسم الذي أطلقه عليهم هو ميروس نسبة إلى جدهم الأسطوري دناؤس.

لقد أصبح الشعب الميكيني الخلط من السكان الأصليين (البلاسجيين والآخائين)، شعباً عدوانياً وعسكرياً النزعة، يميل إلى الحرب والقتال، وهذا ما أكدته الرسوم التي صُورت على جدران قصر (تيرنس) و(ميكيني)^(١)، على عكس رسومات قصر كنوسوس في جزيرة كريت.

لقد أصبح المجتمع اليوناني المزيج مُنَصِّرًا إلى الصيد وال الحرب، وإلى صناعة الأسلحة بالدرجة الأولى، وبخاصة تلك الدروع التي تحمي الساقين، وقد كان للأسطول البحري دوره الكبير في حياة الميكينيين السياسية والخربية، لاسيما وأن طبيعة بلاد اليونان الساحلية البحريّة، قد أملت على حياة اليونانيين أهمية الأسطول في الدفاع والغزو السريع، ما جعل بلاد اليونان كافة تعمل من أجل التنافس على بناء أحدث وأقوى أسطول من أجل السيادة والبقاء، وربما كان لأهمية الأسطول الميكيني ما مكّنَ الميكينيين من الوصول إلى العديد من شواطئ المدن اليونانية الأخرى، وفرض

(١) أهم مدحتين في الحضارة الميكينية (الميسينية) في شبه جزيرة البلوبونيز.

نفوذهم بالقوة، واستغلالهم لموارد تلك المناطق، ولا أدلّ على ذلك من استغلال الميكينيين مناجم القصدير في شبه جزيرة لسبوس في بحر إيجية^(١).

وهذا ما يفسر التزعة التوسعية لدى هذه الشعوب، التي انطلقت فيها بعد نحو الشرق، فدمرت عواصمها، وسيطرت على خيراته، أي أن هناك أبعاداً اقتصادية واضحة، تقف خلف هذه التحركات البحريّة الغازية، وهذا ليس بالأمر الغريب على أسباب أي حرب عبر التاريخ.

وتذكر الإلياذة^(٢)، أنَّ رحى الحرب الطرودية بين الإغريق (الميكينيين أو الآخائين) والطرواديّن على البر الآسيوي (شمال غرب آسيا الصغرى) نحو عام ١٢٠٠ ق.م، وبعيداً عن القصة الأسطورية حول أسباب حرب طروادة، من الاحتکام إلى

(١) خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق - مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، دمشق، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م، ص ٨٩، ٩٠، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٦، ١١٧، ١٥١، ١٥٢.

(٢) وتعني قصة (إليوس).

باريس، قضية الجمال^(١)، أو خطف هيليني ابنة تينداريوس ملك إسبرطة وزوجة مينلاوس، من قبل باريس بن برياموس ملك طروادة، ردًا على خطف أخته هيسيونى، التي اختطفها الإغريق سابقاً.

ويبدو أنَّ الدوافع الحقيقية لهذه الحرب، هو النزاع في سبيل الاستيلاء على المضائق البحريَّة (البوسفور والدردنيل)، والسيطرة على الطريق إلى السهول الغنية في البحر الأسود، وقد أدرك الجميع أهمية هذا النزاع، فلم يتأخر أحد من سكان بلاد اليونان عن مساعدة (آغامونث) في غزو طروادة، كما أسرعت شعوب آسيا الصغرى إلى مساعدة طروادة، وقد كان سوء حظ سكان طروادة، أنهم وقفوا حجر عثرة في طريق التوسيع اليوناني المُرتقب، بغيته السيطرة على البحر الأسود والسهول المجاورة له، لذلك كان لا بدًّ من اقتحام طروادة، حارسة المضائق البحريَّة والسيطرة عليها.

(١) قضية الجمال، ما بين الإلهات الثلاث (هيرا زوجة زيوس، وأثينا ابنته العذراء المحاربة، وأفروديتى وليدة زيد البحر، وربة الحب والجمال) القضية التي حكم فيها باريس بن برياموس ملك طروادة.

وتُدلل الدراسات الأثرية، إضافة إلى دراسات الباحثين، على أن سكان طروادة كانوا مؤلفين من مختلف الشعوب القاطنة على شواطئ آسيا الصغرى، وقد كانت هذه الشعوب في القرن الثالث عشر قبل الميلاد خاضعة لنفوذ الحثيين، وحليفة لهم.

ويُحتمل أن يكون سكان طروادة قد جاؤوا من تراقيا، واجتازوا المضائق مع سهل (سكاماندار) في القسم الشمالي من شواطئ آسيا الصغرى، كما نجد بين سكان طروادة مزيجاً من القاريين، والليكين، والكليكين، فيما يدّعى سترابون أن سكان طروادة، قد جاؤوا من جزيرة كريت، وسكنوا بلاد طروادة، وذلك على الأغلب بعد سقوط مدينة كносوس^(١).

لذلك وأمام كل هذه المعطيات، نستطيع أن نضع الهجوم الذي أصاب مدينة طروادة في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد نحو ١٢٠٠ ق.م، والذي استمر نحو عشر سنوات، حسب العديد من المصادر، يندرج في سياق الغزوات التي نسميها «غزوات شعوب البحر» وإحدى أهم تحركاتها، لأنها

(١) المصدر نفسه: ص ١٣٦، ١٣٧.

كانت بمثابة البوابة، التي فتحت أمام القادمين الجدد، أبواب آسيا الصغرى (تركيا) ومن بعدها إلى سواحل بلاد الشام.

وعلى الرغم من قيام الحثيين بتقديم المساعدة للطرواديين حلفائهم، وحارس مناطقهم المتقدمة، إلا أن هذه المساعدات العسكرية لم تصل إلا متأخرة، بعدما كانت المدينة قد سقطت، وهذا ما أكّدت الدراسات الحديثة، واللّقى الأثرية، والرسومات والنقوش، التي عُثِرَ عليها في الطريق الذي سلكته هذه المساعدات العسكرية، والتي عادت مباشرةً إلى العاصمة الحثية حاتوشا، لأن القيّمين عليها، قد أدركوا برأيّهم السياسية والاستراتيجية البعيدة المدى، أنَّ ما حدث لطروادة، سيُشكّل بوابة العبور لِتقدِّم هذه الجحافل الغازية نحو عاصمتهم، إضافةً إلى استغلال بعض القبائل، شمال، وشمال شرق العاصمة حاتوشا، لهذه التغييرات، وانضمام بعضها للقادمين الجدد، بُغية إسقاط العاصمة الإمبراطورية حاتوشا، وهذا ما حدث، وما مستعرَّفُ عليه لاحقاً.

وبالعودة إلى أحداث طروادة، فقد كان هوميروس، ومن خلال الإلياذة، يُطلق على القبائل التي حاصرت طروادة - وقد كانوا يتكلمون اليونانية - اسم آخائين، وقد كان آغاممنون

زعيم الآخائين يحكم في مدينة ميكيناي، كما تُضيف الإلياذة في تسمية بعض المحاربين الذين حاصروا طروادة، باسم الداناوين^(١)، ويتحدث الكتّاب اليونانيون، عن سبب انهيار الآخائين، الذين انتهت سيطرتهم على شبه جزيرة البلوبونيز، وتشتتوا في جزر بحر إيجية وشواطئ آسيا الصغرى، ولم يعد لهم ذكرٌ في مجرى التاريخ اليوناني بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وسبب ذلك هو قدوم الموجة الثالثة السالفة الذكر، موجة الدورين التي اكتسحت بلاد اليونان.

ويبدو أن انتصار الآخائين في حرب طروادة، كان بداية نهايتهم، بسبب انهماكهم بحصارها، الذي استمر لمدة عشر سنوات، ما أدى إلى تشتتهم في جزر بحر إيجية، واستقرارهم فيها، هذه الفوضى التي حلّت بالآخائين، هي التي شجعت القبائل الدورية على مهاجمة البلاد على دفعات متتالية، استمرت مدة طويلة من الزمن.

(١) تذكر الأساطير اليونانية أنَّ جدّهم (данاوس) من مصر، وكان قد سكن بلاد أرغوس... ولكن هذه المعلومات تبقى برسم الأسطورة، ولا يمكن الاستكانة لها كليًّا.

وقد كان الدوريون طِوال القامة، ذوي جماجم مستديرة^(١)، ويتكلمون لهجة من اللهجات اليونانية، كانوا مهارين شجاعاً وأشداء، لأنهم كانوا ما زالوا في طور البداوة، ويعيشون من الصيد ورعي الحيوانات، وقلماً يعملون بالفلاحة، وكانوا يستعملون أسلحة من الحديد، فاستطاعوا بوساطتها أن يتغلّبوا بسهولةٍ على الآخائين والميكينيين، الذين ما زالت أسلحتهم من البرونز الأقل قساوةً، فقتلوا كُلَّ من وجدوه من الآخائين.

وبعد هروب - هجرة - الآخائين إلى بحر إيجية وجزره، وشواطئ آسيا الصغرى، ومقاطعة أتيكة، حاول الدوريون ملاحقتهم، فهاجموا مقاطعة أتيكة، وعندما صُدُّوا عنها، هاجموا جزيرة كريت ودمّوها، وكذلك سيطروا على جزر ميلوس، وقوس، وكيندوس، ورودوس، وفرضوا على سكانها سيادتهم.

وقد أدخل الدوريون معهم، وكما ذكرنا سابقاً، الأسلحة الحديدية الجديدة، ما أدى إلى شيوع استخدام الحديد، وبالتالي إلى انقلاب في الحياة الاقتصادية (زراعة - صناعة... إلخ) كما

(١) وهي نفس الجماجم التي سادت في كريت بعد خرابها.

كانت هجمات الدورين سبباً في اتساع بلاد اليونان، وذلك بسبب اضطرار جزء كبير منهم إلى الهجرة أزواجاً، فسكن قسمٌ كبيرٌ منهم جزر بحر إيجة، وسواحل آسيا الصغرى، وقد وصلت هذه الهجرات إلى إيطاليا وصقلية وأفريقيا الشماليّة، وشواطئ البحر الأسود^(١).

هكذا، وأمام كل هذه المقدّمات، نستطيع ربط هذه التحركات التي شهدتها أوروبا بما سُميَ لاحقاً بـ«شعوبات شعوب البحر».

فقد أثارت هذه التحركات قريحة - شهية - العديد من الباحثين المتخصصين، فأدوا بذلوك في هذا الموضوع، وهم على كفالة مشهودة بالبحث والمعرفة، وعلى رأسهم (دونالد ب. ردورد) في كتابه الموسوم بـ«مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم» الذي يذكر - وفي معرض حديثه عن شعوب البحر - فيه: «يأتينا الدليل الأثري الأول على ما سيجري من اليونانيّن، ففي نحو العام ١٣٠٠ ق.م نجد ما يُشير إلى حركة انتقال لشعب رعوي من

(١) المصدر نفسه: ص ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧.

تيسالي إلى إبirus، ثم ربطه لاحقاً باليونانيين الدوريين، بعد نصف قرن كانوا أيضاً في حالة انتقال نحو الجنوب، تماماً في الوقت الذي كان فيه البر اليوناني يُعاني على ما يبدو من درجة عالية من العداء الداخلي، وتذكر الأسطورة أيضاً تدفق الناس جنوباً، لكن هذه المرة من تراسي (ترacia)، والذي اجتاح نكسوس وساموتراس وإيوبويا، وجعل الحياة عسيرة في طيبة وأتيكا، ولن يست إعادة التحصينات الشاملة والمفاجئة في أماكن ك (ميسيينا، وتيرنس، وكورنث، وأثينا، وميليشوس) نحو العام ١٢٥٠ - ١٢٤٠ ق.م سوى تأكيد الدليل السابق، وإذا كان هذا الفعل ينم عن خوف المواطنين الآخرين من الإغريق فإنَّ لهذا الخوف ما يبرره، فخلال جيل واحد وقعت الضربة الأولى، وفي العام ١٢٢٠ ق.م حلَّ الدمار بميسيينا وتيرنس وباليوس وكريسا وغلا Gla ، وهذا غيض من فيض، ما أدى في النهاية إلى وضع حدًّا لمرحلة ثقافية تدعى الهيلادي IIIB الأخير، و تعرضت إمبراطورية أخياوا (الآخائيون) التي كانت عظيمة ذات يوم لضربة قاصمة»^(١).

(١) دونالد ب .رutherford: مرجع سابق، ص ٢١٢.

الباحث والمؤرخ المعروف أنطون مورتكات في كتابه الموسوم بـ / تاريخ الشرق الأدنى القديم / وفي معرض حديثه عن الأزمات التي عانت منها الإمبراطورية الحثية إلى حين دمارها، ومبيناً سبب هذا الدمار، يقول: «كان على تودخاليا الرابع، وآرنوواندا الجهد الكبير للمحافظة على الإمبراطورية أمام أطماع الدول المعادية في الغرب، وهي (آحي - يawa)^(١) وبلدان الأرزawa... وهكذا انطلقت قبائل متوجلة هندية غربية، وأخرى غير هندية من البلقان، عبر اليونان والجزر الإيجية، ووصلت آسيا الصغرى ومصر...»^(٢).

أمّا الدكتور جواد بولس في كتابه الموسوم بـ / لبنان والبلدان المجاورة / وتحت عنوان (فينيقيا وسيطرة الآخرين البحري) فيقول: «وعلى عكس الكريتيين والفينيقيين الذين كانت سيطرتهم اقتصادية فقط، فإن الآخرين لم يفهموا التجارة بمعزل عن التسلط

(١) يقصد الآخرين.

(٢) أنطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ت. توفيق سليمان وعلى أبو عساف وقاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

السياسي، فالقومية والتزعع التوسعية قادتهم، إلى سياسة التوسع والعدوان والمغامرة، فمنذ ظهورهم بدؤوا يخبطون لسياسة عدائية ضد البحارة الفينيقيين، الذين كانوا ينافسونهم... فالأخيون أو الإغريق الأول، الذين جمعوا المدن البحرية الإغريقية في اتحاد فدرالي دعوه (الأخي) وجعلوا من ميسينا عاصمة لهم، أضحوت قوام السيادة البحرية الآخية - الإيجية، وانطلقو بمعامراتٍ بعيدةٍ في الشرق والغرب... ونحو ١٢٠٠ ق.م نجد الأخين الذين دمروا مدينة طروادة، على مدخل الدردنيل، يخضعون لاحتلال برابرة شماليين، هم الدوريون، الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم، وقد تسببت هذه الهجرة الجديدة بشن هجمات (شعوب البحر والشمال) التي تدفقت على العالم الشرقي، فأنتهت وجود المملكة الحثية، و«داست» بلدان الممر السوري - الفلسطيني، ودمّرت إلى عدة أجيال، بلاد الفراعنة». وفي مكان آخر، تحت عنوان /غزوة شعوب البحر والشمال/ نراه يقول: «لقد كان لاندحار الأخين أو الإغريق الأولين النهاية لسيطرتهم (الأخين) ولا زدهار حضارتهم التي لم تدم سوى قرنين من الزمن ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م، أما الأسطول أخي القوي الذي غدا منتهى بلا وطن، والذي ضمَّ

إليه جماعات من الآخرين، ومن المغامرين الآسيويين والأرئين من آسيا الصغرى، ومن جزر بحر إيجية، ومن جزيرة كريت، فقد اتجه نحو البحر المتوسط الشرقي»^(١).

ويذكر الباحث قاسم الشوّاف في كتابه الموسوم بـ / مع الكلمة الصافية / وتحت عنوان (صورة مختصرة عن العالم القديم في عصر الحديد الأول وما يليه) فيقول: «وكذلك المجتمع المسيحي الذي كان يحكمه ما بين القرنين الرابع والثالث عشر ق.م قادة عسكريون بقوة السلاح والعتاد، تعرّض للإفقار، بسبب الحروب، وقد تميزت نهاية عصر البرونز في الشرق الأدنى، نحو ١٢٠٠ ق.م بفترة طويلة من الانحطاط... وإن شعوباً غير متحضررة، أتت من شمال اليونان، واكتسحت الحضارة المسيحية، وفي الأناضول، دَمَرت الإمبراطورية الحثية...»^(٢).

(١) جواد بولس: لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م، ص ٩٤، ٩٣، ١٠٨.

(٢) قاسم الشوّاف: مع الكلمة الصافية - دراسة فلسطينية، منشورات دار الأجيال، دمشق، ط١، ١٩٦٩م، ص ٩٤، ٩٥.

ويذكر الباحث إبراهيم توكلنا في الموسوعة العربية، وفي المجلد ١١ / وتحت عنوان / شعوب البحر / مُستنداً في بحثه على معجم مراجع لكتابٍ كبار، أمثال: أسد الأشقر في كتابه / تاريخ سورية، ج ١، ق ١، ٣٥٠٠ - ٣٥٣٩ق.م، ١٩٧٧م /، المؤرخ الكبير جيمس هنري برستد في كتابه / تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٠م /، وكتاب: R . D . Barnette The sea Peoples , The Cambridge Ancient / History II Part 2 ، Cambridge University Press 1975

وآخرين، إذ يقول: «تعرضت مناطق شرق البحر الأبيض المتوسط، ولا سيما سورية والساحل الفينيقي، ووادي النيل، في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، لهجرات من قبائل مختلفة، يعتقد أن غالبيتها كانت هندو - أوروبية Indo - European قدّمت من مناطق أرخبيل بحر إيجة والبلقان، وربما من جزيرة قبرص والميونان أيضاً، حسب المعطيات الأثرية الحديثة، ويبدو أن هذه القبائل، أو ما سُميَ فيما بعد (شعوب البحر) The Sea Peoples لم يكونوا بمجملهم

قراصنة يتغون الاستيلاء على المناطق الخصبة، وإنما كان منهم أقوام مهاجرون، أجروا على ترك أراضيهم تحت ضغط قبائل أخرى، وهذا ما حصل لقبائل الآخين Achaeans الذين اضطروا إلى الرحيل عن أراضيهم، نتيجة استيلاء الدوريين القادمين من البلقان عليها، وكان بين شعوب البحر قبائل وشعوب أصحابها القحط، فهاجرت إلى مناطق شرقي المتوسط، ولا سيما سورية ومصر...»^(١).

فالعمدة في الموضوع، أن تغيرات جذرية وكلّية وقعت في كُلِّ الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، عند نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كان من نتائجها:

١ - نجاح قبائل الدوريين في التقدم في البلقان وبلاط اليونان، والحلول محل الآخائين في جنوب بلاد اليونان وأرخبيل بحر إيجية، وهكذا سقطت الحضارة الإلّيقية.

(١) إبراهيم توكلنا: شعوب البحر، بحث في الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٧١٤.

٢ - هجرة الآخائين إلى شرق المتوسط بحثاً عن موطن جديد، وهم يحملون متابعهم وأسلحتهم، وقد أدى وصولهم إلى سواحل آسيا الصغرى، إلى تحريك شعوب الإمبراطورية الحيثية، ومنهم شعب الكازكاز (الكاشكيون) على شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة، فتحركوا نحو العاصمة الحيثية، وعملوا على حرقها وتدميرها، وهذا ما سوف نتوسع فيه لاحقاً.

وفي حوزتي بعض المراجع والمصادر الأخرى، التي تثبت، وتأكد ماهية هذه الشعوب ومصدرها، ولكنني اكتفيت بما ذكرت لاعتقادي بكفايتها، ولعدم إطالة البحث، في ظلّ الرغبة في الاختصار والفائدة المباشرة.

ثانياً: الأسباب السياسية

وتتجلى هذه الأسباب، في ضعف الإمبراطوريات الكبرى، وعلى رأسها الإمبراطورية الحيثية، وذلك بسبب الصراع الداخلي - بين أفراد الأسرة الحاكمة - على السلطة، إضافة إلى الأخطار الخارجية، ونذكر بهذا الصدد، أن الملك الحيثي تودخاليا الرابع قد

واجه ما بين عامي ١٢٥٠ - ١٢٤٠ ق.م تحالفًا معاديًّا مؤلفًا من اثنين وعشرين دولة متمردة، على امتداد الساحل الأيوني، من كاريا (ليسيا) إلى ويلوسا (إليون أي طروادة) وقد دمّر الحثيون هذا الحلف، لكن الأطراف الغربية لإمبراطوريتهم بدأت تتصدع، وكان واضحًا أنَّ تودخاليَا نفسه، هو الذي أخضع جزيرة قبرص، منهاً بذلك واحدًا من الأعضاء البارزين والمزدهرين في المنظومة السياسية لعصر البرونز الحديث^(١)، ولا ننسى تحرّكات الشعوب المجاورة لحاتوشة في الشمال، والشمال الشرقي، والتي كانت عادةً ما تتحين الفرص لشن هجمات عليها.

أما الساحل السوري، فقد كانت تحكمه دولٌ متحضرّة وقويةٌ اقتصاديًّا، لكنها ضعيفة عسكريًّا، وفي مراحل كهذه من التاريخ، أي فترات التغييرات الكبرى، فإنَّ القوة الاقتصادية وحدّها لا تكفي لحماية الدول؟؟، فنحن هنا بحاجةٍ إلى قوة عسكرية متّانمية، تستطيع دحر أي عدو خارجي، وهذا ما حدث لدى مصر القوية، بينما لم تستطع أوغاريت، الصمود أمام هذه التحرّكات.

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

ثالثاً: الأسباب الاقتصادية

«ابحث عن الاقتصاد» تلك المقوله التي عادةً ما يتفوهُ بها كلُّ عارفٍ بالتاريخ وخفایاه، والأسباب البعيدة (غير مباشرة) أي الحقيقة، التي أدت إلى حدوث الكثير من المعارك والمحروب، التي شَهَدَها العالم، وعلى مرِّ العصور، وهذه هي المقولهُ التي يستندُ إليها كُلُّ باحثٍ ومتخصصٍ استراتيجي وسياسي معاصر، يعتمد في دراساته وأبحاثه على الخلفيات الحقيقة لتحركات وأفعال وتصريحات الدول الكبرى. «ابحث عن الاقتصاد» تلك المقوله، هي بالضبط كانت السبب الحقيقي الذي أدرك بعض قادة الدول في المنطقة - موضوع البحث - أنها سوف تكون السبب الحقيقي، والداعي الواضح لتحركات هذه الشعوب.

ولكن ما الذي دعا تلك الدول، وتلك المجموعات المتحركة للسير نحو الحرب، وإزالة دولٍ ومالك؟؟.

السبب الحقيقي هو الاقتصاد، هذا الاقتصاد الذي بدأ ينهار شيئاً فشيئاً، بدءاً من أواخر النصف الثاني للقرن الثالث عشر،

وأوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد^(١)، ويبدو أن مظاهر القوة التي تباهى بها معظم دول المنطقة، وحتى دول البر الأوروبي، كانت تخفي خلفها مظاهر الضعف والانحلال، ويبدو أن سبب تلك المظاهر، وسبب تلك التحركات والخروب، هو نقص الموارد الاقتصادية، التي عَمِّت المنطقة، والتي أدت إلى الصراع حول الموارد والخيرات، ويبدو أن الجفاف وبعض التغيرات المناخية، هو الذي أدى إلى هذا النقص في الموارد الاقتصادية، وعلى رأسها (الموارد الزراعية).

لقد أثبتت الدراسات الحديثة، أن كوارث مُناخية شاملة، طالت النصف الشمالي من الكره الأرضية، وتجلىً بأوضاع أشکالها في منطقة شرقي المتوسط، فيما يُعرف الآن بالجفاف الميسيني الكبير، نسبةً إلى منطقة ميسينيا، التي كانت بؤرة ذلك الجفاف، وأول من تضرر من نتائجه، وتأكد الدراسات أن هذا الجفاف كان وراء التحركات والاضطرابات الاجتماعية، والخروب والتفكك

(١) لقد بات من المعروف في العصر الحالي، أن الحربين العالميين الكبارين، كانت قد سبقتهما انهيارات اقتصادية عالمية؟.

السياسي في منطقة الشرق القديم خلال الفترة الانتقالية من القرن الثالث عشر، وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

فمنذ ستينيات القرن العشرين، أخذت معلوماتنا بخصوص التبدلات المناخية العالمية، تتخذ طابعاً أكثر دقةً وعلمية، وخصوصاً فيما يتعلق بمُناخ العصور القديمة، فلقد تبيّن لعلماء المُناخ اليوم، ومن خلال دراستهم لحلقات جذوع الأشجار في أمريكا الشمالية وأوروبا، خلال سبعة آلاف عام مضت، أن نصف الكره الشمالي، قد مرّ بفترة تبدل مُناخي تميزت بالجفاف وارتفاع درجات الحرارة، وذلك منذ بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد استمرت موجة الجفاف هذه بالتصاعد حتى عام ١٢٠٠ ق.م، ثم أخذت بالتراجع خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حتى زالت آثارها تماماً نحو ١٠٠٠ ق.م، ولقد قام العلماء أيضاً بمقاطعة المعلومات المستمدّة من جذوع الأشجار، بمعلومات أخرى مُستمدّة من دراسة مستوى مياه البحيرات الداخلية، وتحركات الجموديات، والتبدلات في حالة التربة العضوية، وقد أكّدت لهم هذه القائمة من المعلومات ما أوصلتهم إليه دراسة حلقات الأشجار.

ولكن بعض المعلومات الأكثر إقناعاً فيما يتعلق ب موضوعنا هنا، قد جاء من منطقة الشرق القديم، فحلقات جذوع الأشجار القديمة في الأناضول والهلال الخصيب، تُشير إلى وقوع جفاف حادٍ في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كما أن دراسة مستوى المياه في منابع نهر النيل، أشارت إلى حدوث انخفاض تدريجي في مستوى النهر، ابتداءً من مطلع القرن الثالث عشر وحتى مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وبقيائه في حده الأدنى حتى نحو العام ۱۰۰ ق.م، وبسبب قلة تدفق المياه إلى فرعى النيل في مصر السفلية، فقد تملّحت حقول الدلتا، وذوت معظم حواضرها بما فيها عاصمة رومسيس الثاني المدعوة بـ(رمسيس) التي رَحَلَ عنها سكانها تدريجياً حتى هَوَتْ تماماً وتهدمت في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

وفي منطقة بلاد الرافدين، تُبيّن دراسات قوة تدفق مياه النهرين عبر ستة آلاف سنة مضت، أن ماء دجلة والفرات قد تباطأ تدفقه بدءاً من أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ووصل حده الأدنى في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وفي منطقة النقب جنوب فلسطين، تدلّ دراسة المخلفات النباتية في

الموقع الأثيرية على أن الحياة الزراعية، قد تحولت من نهايات عصر البرونز الأخير، من الزراعة المتوسطية التقليدية، إلى زراعات المناطق الجافة، وهو مؤشرٌ واضحٌ على جفاف المناخ وارتفاع درجات الحرارة.

نستنتج من كُلّ ما سبق، أن عصر البرونز الأخير، قد انهار بتأثير كارثة مُناخيَّة شاملةٍ، وقد كان لغزوat شعوب البحر، الدور المُكْمِلُ لهذه التأثيرات المُدمرة.

ففي آسيا الصغرى تراخت قبضة السلطة المركزية في العاصمة الحثية حاتوشا، واستقلت بعض الولايات الحثية، التي راحت يُقاتل بعضها بعضاً، ويبدو أن شح المحاصيل وفقر البلاط الملكي الذي لم يعد قادراً على تمويل جيشه، كان عاملاً أساسياً في تفكك البنية السياسية للمملكة الحثية، فقد عمّت المجاعة أرجاء البلاد، وانتشرت العصابات المسلحة، تبحث عن لقمة العيش بكل الوسائل، فراح البلاط الملكي الحثي يستجدي القمح من الملك المصري مرنبياح، الذي أنجده بشحنة كبيرة منه نحو 1215 ق.م، وتبيّن آخر الرسائل التي تلقّاها عموريابي آخر ملوك أوغاريت، رسالة من الملك الحثي

شوبيليليو ما الثاني آخر الملوك الحثيين، يطلبُ فيها شحنة قمح
عاجلة، عدّها: «مسألة حياةٍ أو موت» وذلك نحو العام
١١٩٠ق.م، لكن الشحنة لم تصل على ما ييدو، لأن أوغاريت
لم تكن أحسن حالاً من بلاد الأناضول.

وفي بلاد الرافدين، هناك بعض النصوص التي تؤكّد
حصول الجفاف وشح المحاصيل وارتفاع أسعارها، وكذلك
هناك شواهد أركيولوجية (أثرية) على تناقص كبير في عدد
السكان بعد العام ١٢٠٠ق.م تراوحت نسبته بين ٢٥%
في الجنوب و٧٥% في الشمال، وهذه التغيرات أيضاً هي
ما جعلت الجماعات الجائعة التي تهدمت مدنها، وجفت
حقولها، تهيم على غير هدى، فقد زحف بعضها تحت قيادات
منظمة، نحو سوريا الشمالية وبلاط آشور، وهنا تخبرنا
النصوص الآشورية، عن غارات جماعات أناضولية تدعى
بالموسيكي (الموشكي) والكاسكا (الكاشكا) وذلك في ما بين
عامي ١١٦٠ - ١١٥٠ق.م.

وفي مصر وعلى الرغم من حفاظ ملوكها الأقواء (رمسيس
الثاني - مرتبتاح - رعمسيس الثالث) على استقرارها السياسي، إلا

أننا نستدل من بعض النصوص على حدوث ارتفاع حاد في أسعار القمح والمواد الغذائية الرئيسية الأخرى^(١).

ويبدو أن السبب الاقتصادي، قد لفت نظر الكثير من الباحثين، لجعله سبباً أساسياً في تلك التحركات، فها هو (دنالد ب. رودفورد) في كتابه الموسوم بـ / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / يقول في هذا الصدد: «فعلى الصعيد الاقتصادي، تأكد أن الدول عانت ضعفاً موروثاً لا يقتصر على الاعتماد على محصول واحد عالي المردود، واستيراد الكثير من المواد الأولية، ولربما أغرت ممارسة القرصنة القديمة قِدَمَ الزمان، والنجاح الأخير (للشريдан) شعوب العالم المسيحي، بأن تنطلق إلى مصادر المواد الأولية، يؤثِّرُ الآخرون اعتبار الكوارث الطبيعية، العامل الأساسي في إطلاق شعوب البحر». وقد عزز هذا الباحث رأيه بالاستناد إلى آراء بعض المؤرخين القدماء، إذ يقول: «فهي رودوت

(١) فراس السواح: آخر أيام أوغاريت - عوامل طبيعية أم بشرية، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٥٠٧، ٢٠٠٥، ص ١٧٨، ١٨٨.

وديودوروس يحفظان بذكر المجاعة التي أجبرت الناس من سايمي، ونكوسوس وسرديس، على الهجرة، والوثائق المعاصرة من مصر وأوغاريت، تتحدث فعلاً عن مجاعة في الأنضول، ومن السهل أن نفهم كيف مثّلت مستودعات الغذاء المتخلمة في وادي النيل، حالة جذب لا تقاوم للقطاعات الجائعة في بحر إيجية، ومن الممكن أن يكون طاعون (الدبل) أو وباء مماثل قد لعب دوراً ما، لكن من المستحيل التتحقق من ذلك بعد هذا الزمن الطويل... إلخ»^(١).

رابعاً: الأسباب العرقية

لم أجد في هذا المجال ما يذكر بشكل واضح وجلي في الفترة (موضوع البحث) رغم أن الأحداث اللاحقة، التي شهدتها بلادنا مع دخول اليونان (المقدونيين) إثر دخول الإسكندر المقدوني إليها عام ٣٣٣ ق.م تؤكّد أن اليونانيين يعدُّون أنفسهم عرقةً متميزةً، وأن من واجبهم نشر (فرض) الفكر الهيليني على بقية الشعوب، التي عادة ما يطلقون عليها شعوباً متبربة.

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١١.

وفي هذا الصدد، يذكر الباحث أنطون مورتكات، وفي كتابه الموسوم بـ / تاريخ الشرق الأدنى القديم / ما يلي: «لم تكن الهجرة التي هجمت خلاها الشعوب البحرية على مصر وببلاد الشام - وبصورة خاصة هجرة البلست (الفلسطينين) والذكريين منهم، التي غزت الساحل الفينيقي من بلاد الشام، سوى قسمٍ لمد حركة هندية غربية كبيرة (تهلن)^(١) في مجرها كل البر وجزر اليونان بشكل عام ...»^(٢).

خامساً: وجود بعض القبائل المتدنية حضارياً على أطراف المراكز الحضارية.

عادة ما تلجأ القبائل والشعوب المتدنية حضارياً إلى الهجوع والاستكانة، والبقاء في حالة ترقب، متتظرة فترات الضعف والتراجع، التي قد تعترى المراكز الحضارية وعواصمها، فتببدأ بتحركها نحو تخريب تلك المراكز والعواصم المتحضررة، مستغلةً ضعفها، الذي عادة ما ينجم عن: إما صراع داخلي على السلطة

(١) تهلن: أي تأثر بالهيللينية دماً وحضاراً.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

بين قادة وملوك وأمراء تلك الدول، أو بسبب عدوان خارجي قد يُشنّ عليها من قبل دولة معادية، أو بسبب تغيرات مُناخية (سيول - جفاف - قحط - زلزال - أمراض جائحة... إلخ) ما يؤدي إلى حالة من الضعف، فتبدأ تلك القبائل والشعوب المتخلّفة بتحركها لتخريب تلك المراكز الحضارية.

وفي الغالب، يحدث تسللٌ سلمي لهذه القبائل والشعوب المتخلّفة، في حالة السلم، وقوة الدولة المركزية المتحضرة، ل تستقر داخل العواصم والمراكز الحضارية، فتؤسس لها بنية أو هيكلًا ما، يبقى في حالة ترقبٍ مماثلةٍ لحالة الترقب التي تمارسها الشعوب التي ما زالت خارج هذه المراكز الحضارية، وعند حدوث الضعف للأسباب السالفة الذكر، تشارك هذه القبائل والشعوب في الداخل والخارج في تدمير وتخريب الحضارة والسيطرة عليها.

لكن الذي يحدث عادةً، إثر خراب هذه المراكز الحضارية، هو:

١ - إما أن تندمج هذه القبائل ضمن البنى الحضارية، وتمثلها وترتقي معها، وتقوم بالحكم والهيمنة على السلطة، إلى حين ضعفها، فتنتفض الشعوب الحضارية، والدول الحضارية

المجاورة عليها، لستعيد تلك الشعوب المُتحضرة حُكمها وسلطتها من جديد، ولنا في سيطرة الكاشيين على بابل، إثر الغزو الخسي علىها والقضاء على السلطة البابلية وتسليمها للكاشيين عام ١٥٩٥ ق.م وحُكمها من قبل الكاشيين، إلى حين سقوط الحكم الكاشي على يد العيلاميين عام ١٥٧ ق.م، خير مثال على ذلك.

٢ - وإنما أن تبقى الشعوب المُتدنية حضارياً، بعد سيطرتها على المراكز الحضارية، فتحكم بقوة السلاح والقتل والإرهاب، إلى حين استنهاض ونهوض قوى حضارية جديدة، تستغل الضعف الذي قد يعتري الشعوب المُتدنية حضارياً، نتيجة صراعها على السلطة، فتقوم بالانقضاض عليها وإعادتها إلى مكانها الطبيعي، خارج إطار المنطقة الحضارية، ولنا في الغزو الغوري على مدينة أكاد، والسيطرة عليها وتخريبها، ومن ثم إعادة القضاء عليهم، على يد اليقظة الحضارية السومرية في القرنين الثاني والعشرين والواحد والعشرين قبل الميلاد، خير مثال على ذلك.

وبالعودة إلى موضوعنا، فهنا نجد أن بعض القبائل التي كانت تتحيّن الفُرُص، من أجل السيطرة على المراكز الحضارية في الدولة الحثية ومصر، مُستَغِلّةً ضعف هذه المراكز، وتقْدُم وتحرك شعوب البحر، فقامت بالهجوم عليها، لكنها لم تتحقق النجاح في مصر لقوة الحكم فيها، في حين نجحت في العاصمة الحثية حاتوشَا، ودمرتها، وهنا سوف نأتي على ذِكْر هذه القبائل والشعوب التي كانت دائِمًا في حالة تَرْقِبٍ للعاصمة حاتوشَا، مُنتظرة الفرصة المُواتية للانقضاض عليها، التي يبدو أنها أتت حين صَعُفت الدولة بسبب الصراع الداخلي على السلطة، والجفاف الذي حلَّ بأراضيها، وبسبب تحرك شعوب البحر نحو آسيا الصغرى، وسيطرتها على سواحلها، فقضت على طروادة وباقى الساحل الأيوني.

تاريخ الصراع الحثي مع قبائل الجوار

لقد كان النزاع والصراع في مناطق غرب آسيا، ينبع دوماً من داخلها، وذلك على مِرْقُرابة أربعة قرون من الزمن قبل عام ۱۱۹۰ ق.م، إذ كانت المناطق الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى ومرتفعات الهضبة الإيرانية، تُشكّل دوماً

موطن القبائل التي تزرع الخراب والدمار في مناطق غرب آسيا المتحضره^(١).

حارب ملوك وقادة الدولة الحثية، وعلى مر العصور، وفي كافة مراحلها، تلك القبائل التي كانت تعیث فساداً، كلما أتاحت لها الظروف ذلك، مستغلين فترات الضعف والتراجع، فقد اضطر حتى لي صهر وخليفة مورشيلي الأول للتخلّي عن مدن دينية مقدسة مثل نيرييك في جبال البوونت لصالح عدو عريق تمثّل في قبائل الكاشكا المتوحشة^(٢)، وهم أنفسهم شعوب الكازكاز الذين اعتادوا مهاجمة حاتوشما منذ عصر شوبيلو يوما الأول - ١٣٨٠

١٣٤٦ق.م على الرغم من عصر القوة الذي شهدته البلاد في عصره، فعندما سمعَ شوبيلو يوما الأول أن الكازكاز يقومون بغزو الأرضي الحثية في (بالا)^(٣)، أرسل قائده الوفي حتـو بـيانـزـالـقتـالـ الكازـكـازـ، الـذـيـنـ ظـلـلـواـ هـنـاكـ لـمـدةـ عـشـرـينـ عـامـاـ، لـكـنـهـ قـرـرـ فـيـماـ بـعـدـ الـذـهـابـ بـنـفـسـهـ، حـيـثـ وـافـتـهـ الـمـنـيـةـ هـنـاكـ نـحـوـ ١٣٤٦ق.م.

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٣) تقع بالا إلى الشمال من حاتوشما.

وربما استطاع الحثيون إخضاع الكاشكا، فقد ذكرت بعض المصادر قيام الحثيين بتسلیم قسم من الكاشكا إلى مصر بمحب اتفاقية وقعت مع أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م فقد طلب أمنحوتب الثالث من الحثيين، إرسال بعض من شعوب الكاشكا، مما يدل على أسرهم من قبل الحثيين، وهكذا أرسل أناس من (كوروشتاما)^(١)، ويبدو أن صفة تسليم بعض الكاشكا للمصريين، كانت من ضمن الاتفاقية التي وقعت ما بين شوبيلوليوما الأول وأمنحوتب الثالث^(٢).

وعندما ورث مورشيلي الثاني ١٣٤٥ - ١٣٠٦ ق.م حكم حاتوشة بعد والده شوبيلوليوما الأول، استطاع هذا العاهل القوي أن يستعيد معظم الأراضي التي فقدت في عهد أخيه آرنوواندا ١٣٤٦ - ١٣٤٥ ق.م عن طريق الحرب، وخاصة في القسم الغربي من آسيا الصغرى ضد بلدان (أرزاؤا)،

(١) وهي مدينة تتبع للكاشكا.

(٢) صفية سعادة: مرجع سابق، ص ٥٨، ٦٦.

وفي الشمال ضد قبائل الكاشكا المُتجددة، وفي الشرق ضد بلاد (الـ خياشا)^(١).

ويبدو أن العديد من هذه القبائل، كانت قد انضمَّت إلى الدولة الحثية في عصر قوتها، أثناء حُكمها من قبل مواتالي ١٣٠٦ - ١٢٨٢ ق.م الذي خاض معركة قادش مع المصريين عام ١٢٨٥ ق.م، فقد ظهرت أسماء العديد من هذه القبائل، وهي تقاتل في صفوف الجيش الحثي، ومنها قبائل: لوقش، قشقش، إميشوبيش، والذين على ما يبدو أنهم قطنوا منطقة آسيا الصغرى، كان رعمسيس الثاني قد خاف من قوتهم وعددتهم^(٢).

وفي عهد تود خاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م كانت هيبة الدولة قد ذهبت، وزاد الخطر حولها، وخاصة في عهد آرنوواندا الثالث ١٢٢٠ - ١٢٠٠ ق.م، الذي بذل الجهد الكبير للمحافظة على الإمبراطورية أمام أطماع الدول المعادية في الغرب، وهي

(١) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٢) صفية سعادة: مرجع سابق، ص ٨٠، ٨١.

(احي - يawa)^(١)، وبلدان الأرزاوا^(٢)، وكان ملك أخياوا (أكاي) قد أقدم على غزو الأرضي الحثية من الغرب واستولى على أرزاوا، وذلك قبل وفاة تودخاليا الرابع مباشرة.

هذا، وقد تراقت الاضطرابات في الغرب مع تلك الآتية من الشرق، وسرعان ما وجدت حاتوشة نفسها محاصرةً بالأعداء من جميع الجهات: آشور في الجنوب، القبائل البربرية في الشمال، وشعوب البحر التي بدأت طلائعها تظهر من الغرب^(٣).

ويبدو أن الأمور قد بدأت تسوء أكثر فأكثر مع تسلّم آرنوواندا الثالث الحكم نحو ١٢٢٠ ق.م، ففي عهده انفصل كل الغرب عن الإمبراطورية تحت قيادة تابع سابق للمملكة الحثية، وهو (مدّو - واتا) وربما كان هذا آخر آرنوواندا، أو ربما يكون شوبيلوليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م، آخر ملوك حاتوشة^(٤).

(١) أي الآخين.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٣) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٣٧.

وهكذا نرى كيف كانت حاتوشا تُعاني من استمرار هجمات الشعوب المُتَخَلِّفة وعلى مدى أكثر من ثلاثة قرون، ما أدى إلى إضعافها، والذي أَسْهَمَ في النهاية - إضافة للقحط والمجاعة اللذين حَلَّا بها - في سقوطها أمام ضربات شعوب البحر، ولكن هنا لا بد من ذِكرِ شعوب الفريجيين، الذين يبدو أنهم لعبوا الدور الكبير في القضاء على حاتوشا، والذي جعلهم بعض الباحثين قادمين من اليونان (تراس - تراقية) وقد استوطنوا القسم الغربي من هضبة الأناضول حتى نهر الهليس في أراضي فريجية الأصلية، ثم امتدوا نحو الشرق في قسم من كبادوكيا^(١)، ويبدو أن الغزاة الأوروبيين من الفريجيين القادمين من (تراس - تراقية) قد عُرِفُوا في وثائق الآشوريين بـ(موشكى) Mushki وهم (موشو) Mochoi وسوف نأتي على ذكرهم من خلال صراعهم في أواخر القرن الثاني عشر مع تحالفات بليصر الأولى ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م.

(١) نور الدين حاطوم وأخرون: موجز تاريخ الحضارة - حضارات العصور القديمة، ج ١، مطبعة العروبة، دمشق، ١٩٦٤، ص ٢٧٨.

(٢) فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الشام - سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، دمشق، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م، ٢٠٥.

تأريخ غزوات شعوب البحر

ليس هناك تأريخ محدد لبدء هذه التحرّكات، كما أن ليس هناك تواريخ مضبوطة بدقة لزمن بعض تحركاتهم، وزمن دخولهم، أو تدميرهم لبعض المدن كحاتوش أو أغاريت، فقد نجد في المراجع الكثير من الاختلافات في زمن تحديد هذه التحرّكات، وهذه الخلافات لا تتجاوز عشر سنوات بين مرجع وآخر، وإن هذه الاختلافات لا تؤثر عادةً على مصداقية حدوث هذه التحرّكات، إذا ما قيّست إلى الزمن الذي نحن بصدده، أي أواخر عصر البرونز الحديث، وأوائل عصر الحديد، أي الفترة ما بين ١٣٥٠ - ١١٠٠ ق.م وحتى ١٠٥٠ ق.م.

ففي كتب التاريخ التي عادةً ما تُنسب إلى ذلك التاريخ الموجل في القدم، يكون من المقبول حدوث هذه الاختلافات، وخاصة ما قبل عام ٩١١ ق.م، وهو زمن نشوء الدولة الآشورية الحديثة، والذي عُدَّ زمناً مضبوطاً ومقبولاً من قبل الجميع، وأصبحت التواريχ التي تأتي بعده مضبوطةً بدرجةٍ كبيرة.

وهنا لا بد من ذِكْر أن العديد من المصادر التاريخية، تختلف في زمن حكم العديد من الملوك والقادة الكبار، الذي يأتي وجودهم في حكم المؤكد، والذي لا يقبل النقاش، أمثال: حمورابي، شوبيلو ليوما الأول، رعمسيس الثاني، مرنبتاح، رعمسيس الثالث... إلخ، كل هؤلاء الحكام ليس هناك اتفاق تام حول زمن حكمهم، بل إن الارتباط ما بين مرجع وآخر يتراوح ما بين ٥ - ١٠ سنوات، وهي النسبة المقبولة في الألف الثاني قبل الميلاد، والتي لم تشذ عنها تواريُخ أحداث غزوات شعوب البحر.

وبالعودة إلى زمن هذه الغزوات، نجد أن زمن هذه التحركات، استمر على مدى تجاوز ثلاثة قرون من الزمن، وعلى الأغلب إن هذه التحركات لم تكن على وتيرة واحدة، بل كانت تتراوح ما بين الهدوء لفترة من الزمن، يتخللها الكثير من التسلل السلمي لبعض مكونات هذه الشعوب، ومن ثمَّ تبدأ حملة كبيرة مُدَمِّرة تستهدف موقع الحضارة، ولكن المتبع لهذه التحركات، يشهدُ على عدة حملات قوية، منها ما كان يحدث على أطراف مصر من الغرب في عهد مرنبتاح، ومن ثمَّ في عهد رعمسيس الثالث، أي في الفترة ما بين ١٢٢٤ - ١١٩٠ ق.م،

وكذلك الهجمات التي دمّرت طروادة، ومن ثم حاتو شا وأوغاريت وبباقي مدن الساحل السوري ما بين ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م، التي، والحال كهذا، تكون مترافقة مع الهجمات التي كانت تُشنُّ على مصر من ناحية الغرب.

نخلص، مما سبق، إلى أن غزوات شعوب البحر، هي عبارة عن تحركات سلميَّة تارةً، وحربية طوراً، كانت فعاليتها كبيرة ما بين ١٣٠٠ - ١٢٤٠ ق.م، تقريرياً في أوروبا، وكان لها تأثير كبير على الحضارة الميكينية في البر الأوروبي، والمينوية في جزيرة كريت، وكذلك في الفترة ما بين ١٢٣٠ - ١١٩٠ ق.م، إذ توجّهت ركابها نحو الشرق (آسيا الصغرى، والساحل السوري، ومصر ولبيا) واستمرت نحو الشرق ما بين ١١٦٠ - ١١٥٠ ق.م، لتنتهي آخر تحركاتها مع قضاء تحجيات بليصر الأول على ما تبقى منها ما بين ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م، في مناطق حوض الفرات الأعلى وجواره، وبعدها لم نسمع أية أخبار عن هذه القبائل والشعوب التي طواها النسيان، فاندمجت مع باقي شعوب المنطقة، واستقرت فيها.

خط سير تحركات شعوب البحر

يبدو أن المترددين من شبه جزيرة البلقان، ومن ثمَّ عبرَ جزره إلى مناطق الاستهداف والجذب الحضاري، بما فيها من جذب اقتصادي، خاصة لأننا نتحدث عن فترة جفاف، عزَّت فيها الموارد، وأصبح طلبها يستدعي أحياناً، تحريك الجيوش من أجل الحصول عليها.

ويبدو أن هذا التحرك لم يكن في خط سير واحد، وقد اختلفت الآراء، وإن بشكل بسيط، حول تحديد المحاور التي سلكتها هذه التحركات، ولكنها بالمجمل تتفق على شكل عام واحد. فقد ذكر (دونالد ب رو دفورد) في كتابه الموسوم بـ /مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / خطين للسير سلكتهما هذه التحركات، هما:

- ١ - الأول: وهو الطريق الأكثر وضوحاً، على امتداد ساحل المتوسط الشرقي، ويستخدم قبرص كمحطة توقف بسيطة.
- ٢ - الثاني: الأقل وضوحاً، رغم أنه مطروق جيداً، يمضي بالمسافر عبر كريت، ومن ثمَّ جنوباً إلى ساحل أفريقيا الشمالي، حيث ينزل إلى البر بجوار مرسى مطروح

الحالية في مصر، حيث كشفت التنقيبات الأثرية مؤخرًا عن وجود نقطة دخول لخدمة التجارة بين كريت وقبرص والدلتا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

بكل الأحوال، كان ساحل غرب الدلتا المصرية معروفاً للبحارة وسائقي القوافل، في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد^(١).

فيها تذكر بعض المصادر، أن المغیرین الجدد، قد قدموا في هجرتهم هذه من الغرب والشمال الغربي، عبر ثلاثة خطوط، هي:
١ - الأول: من البلقان، وقد تألفَ من الفريجيين والميسين، فقد اتحدوا مع الكاشكين الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، وبخاصة السواحل الجنوبيّة من البحر الأسود، وقد دَمَّرت هذه القبائل قلب الإمبراطورية החثية، ولم تعد آسيا الصغرى تُحْتَلُّ سوى مكانة ثانوية في هامش أحداث تاريخ غرب آسيا القديم.

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٣.

٢ - الثاني: انطلق من كريت إلى قبرص، فدمر مالكها بعد أن (هلن^٣) كامل البر اليوناني باتجاه الجنوب، حيث اتحدت مع الليبيين ضد مصر.

٣ - الثالث: خروج قبائل البلست، الليرية، والزاكار، مُنطلقةً من كريت باتجاه ساحل بلاد الشام، فدمرت جميع مالكه، وتوغلت في الجنوب، وقد تصدى لها رعمسيس الثالث في معركتين على البر والبحر^(٤).

فيما ذكرت مصادر أخرى أن تلك الشعوب قد سلكت في تحركها طريقين، هما:

١ - الأول: وقد انطلق من البلقان، وهو مؤلف من الفريجيين وألماسا^(٥) إلى سواحل آسيا الصغرى، واتحدوا مع قبائل الكازكاز (الكاشكا) أعداء الحثيين، الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، ولا سيما السواحل الجنوبيّة من البحر الأسود وبحر مرمرة، وتحركوا نحو

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) ألماسا - ماسا Masa: وهو اسم قبيلة صغيرة كانت موجودة في العهد الحثي ومعروفة برماحها وحرايتها.

العاصمة الحثية حاتوشا، وعملوا على إحراقها وتدميرها، وبعد حاتوشا، سار الغزاة نحو كركميش، ومن ثم جعلوا قaudتهم بعدها في أراضي مملكة أمورو.

٢ - الثاني: انطلق من جزيرة كريت إلى قبرص فدمرّها وأجبر حُكامها على الانضمام إليه، ثم تابع مسيره إلى جزيرة كريت، حيث دمرّها واتجه إلى جزيرة أروداد، فجعلها قاعدة له للهجوم على الساحل السوري كله^(١).

وتذكر مصادر أخرى أيضًا أن محاور التحرك كانت على الشكل التالي:

١ - الأول: من اليونان (البلقان) إلى آسيا الصغرى، وكانت تتالف من الفريجيين والميسينيين و«الكاشكين»، وأدى إلى دمار الإمبراطورية الحثية.

٢ - الثاني: من كريت إلى قبرص ومن ثم إلى مصر، وتألف من القبائل الشاردانية واللوκية والميسينية، وقد أوقف رعمسيس الثالث تقدم هذا المحور المُتحالف مع القبائل

(١) إبراهيم توكلنا: شعوب البحر، مرجع سابق، ص ٧١٤.

الليبية، عبر غرب مصر في معركة فاصلة في دلتا النيل،
فاتجهت فلول الغزو نحو فلسطين.

٣ - الثالث: من كريت إلى قبرص إلى السواحل الشامية،
ويتألف من قبائل البلست، الليرية، الزّاكارية، وكان من
شأن هذا الهجوم بالتعاون مع القبائل المهزومة أمام
رمسيس الثالث، تدمير معظم المدن الكنعانية الساحلية^(١).

وتذكر بعض المصادر أن قبائل البلست التي انطلقت بعد
وصولها إلى كريت وإلى الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، إلى أن
غادرتها باتجاه الشاطئ الممتد من أسدود (أشدود) إلى غزة، في
وقتٍ كانت فيه البلاد تتعرض لهجمات شعوب من الرُّحَّل من
الجهة الشرقية والداخل^(٢).

أما عن تحرك شعوب البحر الذين دمّروا حاتوشة، ففي
الأعوام التي أعقبت الإطاحة بطرودة مباشرة، تجمعت بعض
الدول المشاركة في الحملة المسيحية معاً في اتحاد فضفاض تحت

(١) صالح الحكيم: الحياة الدينية في المجتمع الأوغراري في الألف الثاني قبل الميلاد، وزارة الثقافة، دمشق، ط ٢٠١٠، ١، ص ١١٣.

(٢) محمد حرب فرزات: موجز تاريخ، مرجع سابق، ص ١٥٠.

قيادة مقاطعات من كاريا، وتحركوا شرقاً على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ومعهم عائلاتهم، ليستقرروا في سهول كيليكيا وشمال سورية، كما انطلقت سفن المهاجرين إلى قبرص في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض على حاتوشاء^(١).

وفي نص هابو (حابو)^(٢) يصف رعمسيس الثالث تقدم شعوب البحر، فيقول: «قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة في جزرهم، وقد زعزعت المعركة وبعثرت البلاد كلها في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم، وقد ابتدوا بخاتي (حاتوشاء) وقودي وقرقميش وإرزاوا

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٢) وجدت هذه النقوش على جدران معبد رعمسيس الثالث الكبير في مدينة هابو، وهو المعبد الجنائزي الوحيد الذي يُعدُّ خير وأهم ما بقي لنا من نوعه على الصفة الغربية من طيبة، وليس هناك جدران معبد آخر عليها مثل هذه النقوش البالغة الأهمية، والنقوش الدينية هي الغالبة طبعاً، ولكن مناظر الحروب كثيرة كذلك، وهي تُكمل الروايات المكتوبة في صورة قيمة جداً، وقد دُوَّن عليها رعمسيس الثالث تفاصيل انتصاراته في سنوات حكمه الخامسة والثامنة والحادية عشرة، انظر كتاب / مصر الفرعونية / سير ألن جاردنر ص ٣١١ - ٣١٢.

وآلاسيا (قبرص) ... أقيم معسكر في مكان من أمور، وقضوا على شعبها وأرضها فأصبحوا كأن لم يكن لهم وجود من قبل ... ثم جاؤوا واللهم مُعْدٌ أمامهم مُتقدمين نحو مصر، وكان حلفهم مكوناً من بلسٍ، وزكار، وشكش، ودانو، ووشش، مُتحدين جميعاً، ووضعوا أيديهم على البلاد جميعاً إلى محيط الأرض كلها، وقلوبهم تردد في ثقة (لقد نفذنا خطتنا)»^(١).

و حول تحرك هذه الشعوب بعد تدميرهم لمدينة حاتوشة العاصمة الحثية، يذكر مصدر آخر النص السابق بشكل مختلف، إذ يقول: «من حتي، إلى خود، فقر قميش، ويريت، ويريس، كلهم تم ضربهم دفعه واحدة، وأقيم معسكر في مكان من أمور، دمروا شعبه وأرضه كأنهم لم يوجدوا مبكراً في التاريخ، يأتون بيّني الشعلة حاضرة أمامهم إلى الأمام باتجاه مصر، تحالفهم كان مكوناً من بلسٍ، تيكير، شيكيليش، دينيني، ويسيش ... ولقد أخذت أراضيهم، ووضعوا أيديهم على

(١) آلن جاردنر، السير آلن جاردنر: مصر الفرعونية، ت. نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة كلارندون، القاهرة، ١٩٦١ موصى ٣١٤.

الأرض حتى منتصف (الأرض)^(١)، قلوبهم واثقة ومطمئنة:
خططنا سوف تنجح»^(٢).

أما عن تقدم شعوب البحر نحو أوغاريت، فعلى ما يبدو أنها جاءت من قبرص، فمن خلال رسائل مُتبادلة بين ملك أوغاريت وملك قبرص، نستطيع الاستنتاج، أن القوات العسكرية لشعوب البحر كانت على مقربة من الساحل السوري، ففي البداية احتلت شعوب البحر جزيرة قبرص، وقد تم بناء رأس جسر عسكري على سواحل عمورو (أمورو) في الوقت الذي كانت فيه قوات وأسطول أوغاريت الحربية تحاول مساعدة القوات الخشية في حماية حاتوشة، وعبر عمورو - ربها - وصلت جيوش شعوب البحر إلى أوغاريت ودمّرتها^(٣).

إن نظرة ملية إلى كل تلك الاحتمالات الواردة في المراجع لخط سير غزوات شعوب البحر، تؤكد وعلى الرغم من وجود بعض

(١) وردت في المرجع «الكرة الأرضية»؟؟.

(٢) صفية سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٣) قصي محمد عبد الرحمن: أوغاريت، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط ١٩٧١، ص ٢٠٠٨.

الاختلافات البسيطة ما بين مرجع وآخر، وذلك بسبب تقصص المعلومات الواردة حول تلك الفترة من نصوص ونقوش وكتابات، التي يبدو أنها قد دُمِّرت، أو ربما لم تكتب أصلاً، تؤكّد أننا أمام تحركات ببرية غزت المناطق والمراکز الحضارية، فقضت على كل شيء، فلم يجد كتاب ذلك العصر مُتَسْعَاً من الوقت لتدوين كل ما حدث، أو ربما دونوه ولكنه حُرق مع ما حُرق من منجزات الحضارة في أواخر عصر البرونز الحديث.

وبالعودة إلى الطرق والاتجاهات التي سلكتها تلك الشعوب والقبائل المتحركة، نجد أن قواسم مشتركة، بل وأكثر من مشتركة، تكاد تصل إلى حد التطابق فيما بينها، نخلص منها إلى تصوّر نهائي مقبول يوجز هذه التحركات بما يلي: لقد كان لهذه التحركات عدة اتجاهات، هي:

١ - الأول: خرج من بلاد البلقان، وهو مؤلف بشكل خاص من القبائل المسيحية (الآخين) والفرجيين إضافة إلى بعض القبائل الأخرى، متوجهين نحو الساحل الأيوني في آسيا الصغرى، وقد أدى وصولهم - وبعد القضاء على طروادة - إلى تحرك القبائل الساكنة شمال،

و شمال شرق حاتوشة، فتح تحالفت مع القادمين الجدد، لتشكيل حلف كبير زحف باتجاه حاتوشة (العاصمة الخشبية) و قضى عليها، ومن ثم اتجه نحو كركميش، فقضى على كل المدن والبلدات التي صادفها في طريقه إليها، ومن ثم دمر كركميش، وبعدها اتجه نحو أواسط سورية (أمورو)، وجعل منها قاعدة لانطلاقته الجديدة، وخاصة نحو مصر والساحل الشامي.

٢ - الثاني: هو الاتجاه الذي اتخذ من كريت قاعدةً له، ثم اتجه نحو قبرص، ومنها نحو سواحل بلاد الشام، فدمّر أوغاريت، ثم استقر في جزيرة أرواد، ومنها انطلق نحو الجنوب وإلى الداخل نحو آلاخ، وقسم منهم توجّه بشكل خاص نحو فلسطين، وهو مؤلفٌ من بلست وزكار وليريا وتيكير^(١).

٣ - الثالث: وهو الذي انطلق من كريت أو قبرص نحو سواحل ليبيا، حيث اتحد مع القبائل الليبية، ومعها

(١) وربما اتحد هذا القسم، مع القسم المنطلق من سهول أمرور نحو فلسطين، لخوض معركة زاهي.

شكلوا مُنطلقاً نحو مصر، وعبر سنوات عديدة تجاوزت الخمسين سنة على الأقل.

ونلقت عنابة القارئ، إلى أن هذه التحركات لم تتم على دفعـة واحدة، وإنما على عدة دفعـات، وفي عـدة اتجاهـات، عبر فـترة زـمنية مـديدة، وسوف نـأتي على تـفصـيل بعضـها لاحـقاً، وذـلك حـسب تـسلـسل زـمنـي تـاريـخي مـُتـبـع قـدر المـسـطـاع، في تـرـقـب مـسـير هـذـه الشـعـوب نـحو هـدـفـها لـتـدمـير المـراكـز الحـضـارـية، بـغـية نـهـب خـيرـاتـها، وـسـلب شـعـوبـها، وـتـدمـير بـنـاهـا وـتـارـيخـها.

وصف شعوب البحر

لقد وردت بعض الكتابات والنقوش والرسومات التي تصف شعوب البحر، والحالة التي جاؤوا بها إلى بلادنا، وإن من يتأمل هذه الأوصاف، يدرك أبعاد انتقال هذه الشعوب، من أنها شعوب ارتحلت مع عائلاتها، وبحـالـة هـمـجـيـة توحي برغبتـهم بـتـدمـير كل مـعـالم الحـضـارـة، إـضـافـة إـلـى السـبـب الرـئـيـسـيـ قـدوـمـهـمـ، وـهـوـ السـيـطـرـة عـلـى مـقـدـراتـ بلاـدـناـ، وـخـيرـاتـها الـاقـتصـاديـةـ، وـمـن ثـمـ الـاستـيطـانـ فـيـهاـ دائـماًـ.

يدرك الباحث الكبير أنطون مورتكات، أن (الفيكنجيين)^(١) الذين أسهموا في تدمير الدولة الحشية كانوا يشعرون النيران من على ظهر سفنهم في سواحل آسيا الصغرى وبلاد الشام. أما فيما يتعلق بوصفه لقبائل البلست، فيقول: «أما فيما يتعلق بلغتهم، فإننا لا نعلم شيئاً عنها حتى الآن، وبالمقابل يمكننا أن نتصور منظارهم الخارجي، انطلاقاً مما خلفه لنا المصريون في رسومهم لهم: يتميز محاربواهم بتاج مُزَيْن بريشة يعطي رؤوسهم»^(٢).

ويصف الباحث فيليب حتّي أحد أسياد مدينة أشدود من البلست في كتابه الموسوم بـ / تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين / إذ يقول: «وتظهر صورة أحد أسيادهم بلحيةٍ على الشفة السفلی، وشعرٍ مجداوِلٍ على الجانب، على غطاء تابوت من الخزف وُجدَ في

(١) يقصد الفريجيين.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

بيت بِلْتِ Beth - (خربة المشاش) قرب بئر السبع في
أقصى جنوب فلسطين»^(١).

فيها يصف ليونارد وولي مكتشف آلاخ في كتابه الموسوم بـ /آلاخ مملكة منسية/ إذ يقول: «وأما حركة شعوب البحر الكبيرة التي دمرت مدينة حاتوشة في الأناضول، فاتجهت نحو الجنوب واجتاحت سورية كالسيل العارم، الذي يحرف الأرض ومن عليها، وكان مع هؤلاء الغزاة أطفالهم ونسائهم، محمولين على عربات ذات دولابين تجرها ثيران»^(٢) ذات سنام.

فيها تصف لنا مدونات السنة الثامنة لرعمسيس الثالث قبيلة (التيكير) وهي من شعوب البحر، بقولها: «وهؤلاء يرتدون بصورة مميزة عصابة للرأس تنتأ منها ريشة (الهبليت) الكبيرة

(١) هكذا وردت في الكتابات اليهودية.

(٢) فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ت. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) ليونارد وولي: آلاخ - مملكة منسية، دراسات ونصوص قديمة (٥)، ت. فهمي الدلاطي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٢م، ١٥٠.

العريضة، وقطعة واقية أسفل العنق، وتشتمل أسلحتهم على السيوف الطويلة، والرماح، والتروس المدور، وأحياناً الدروع»^(١)، وينبئنا السفير المصري (أون - أمون) عن إمكانية التيكيير البحريّة العظيمة، كونهم قراصنة متعرّضين، والذين استطاعوا بِشَقِّ النَّفْس قطع الطرق البحريّة التي كانت تسلّكها السفن الصوريّة^(٢)، وهذا ما أكدّه أيضًا فيليب حتى في كتابه الموسوم بـ / تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين / إذ يقول في وصف التيكيير: «وكان نشاط لصوص البحر في شرق المتوسط في زمن (أون - أمون) مصدره جوالة البحار هؤلاء...»^(٣).

وقد ورد في النصوص المصريّة القديمة وصف لشعوب البحر بأنّهم: «سكان الجزر الشماليّة». أما عن وصف شعوب البحر التي هاجمت مصر عن طريق ليبيا، بالتحالف مع قبائل (اللابو - الليبو) Labu إضافة إلى قبائل المشوش البحريّة،

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) يولي برковيتشر تسركين: الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت. يوسف أبي فاضل، دار جَرُوس برس، طرابلس، لبنان، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢٦.

(٣) فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ص ١٩٦.

فقد وصفوا بـ عباءاتهم الطويلة المذيلة، ولحاهم وشعورهم الملفوفة في جديلةٍ واحدةٍ على أحد الجوانب، وقد قدّم هيرودوت وصفاً مفصلاً نوعاً ما للقبائل الليبية في زمانه، وبالتحديد المشوش إذ يقول: «هي قبائل تعيش في بيوت عادية وتمارس الزراعة، وعلى رأسها قبيلة المشوش الذين يُطيلون شعورهم على الجانب الأيمن للرأس، ويحلقون الجانب الأيسر، ويلطفخون أجسادهم ببقعٍ حمراء، ويدّعون أنهم ينحدرون من أصل طروادي»^(١)... إلخ.

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٤.

الفصل الثالث

شعوب البحر تغزو مصر

أولاً: شعوب البحر في عهد منبتاح ١٢١٤ - ١٢٢٤ ق.م

لقد كان من أهم الآثار التي نجمت عن تفرق الآخين واضطراـب فترة حكم تودخاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م هو تحرير تلك الدول والشعوب الأقل شأناً في الجزر الممتدة على طول بحر إيجة، وعلى امتداد الساحل الغربي لآسيا الصغرى، والتي كانت فيها سبق، تخضع لسيطرة الإمبراطورية الحثية، أما الآن ومع المستجدات الدولية سالفـة الذكر، فقد قويت هذه الدول وبدأت بالتحرك بـغية إيجاد مناطق وفيـرة الغلال والمحاصيل، لذلك كانت الدول الغنية في الشرق «صيداً مناسباً» وقد منحتهم صفاتـهم القتالية الكـبيرة، وأسلحتـهم

المتفوقة (الحديد)^(١)، ثقة كبيرة بالنفس، خاصة في ظلّ اضطراب الحكم في دول الشرق، وخاصة مصر التي أَدَّت دور الجذب الكبير بالنسبة للشماليين (سكان جزر الشمال) وكان طريق وصول هؤلاء إلى مصر، عن طريق البحر المتوسط، عبر احتماليين:

- ١ - الوصول إلى قبرص، وعدّها محطةً للوصول إلى مصر.
- ٢ - الوصول إلى مصر، عبر جزيرة كريت، ومن ثم جنوباً إلى ساحل أفريقيا الشمالي، حيث ينزل، إما في شواطئ ليبيا، أو في منطقة مرسى مطروح المصرية، حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود موقع كان يُستخدم لخدمة التجارة بين كريت وقبرص والدلتا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد^(٢).

(١) يُعتقد أن الإيجيin ورثوا التقدم الكبير في مجال التعدين الذي حصل في البلقان في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، وهو تقدم أَفْسَحَ عن نفسه بالسيوف الطويلة، والتروس والخوذات والدروع، لدى عدد كبير من أفراد شعوب البحر.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٢، ٢١٣.

تولى مرنبياح العرش، وكان له من العمر ستون عاماً، ومنذ بداية حكمه واجهته المشكلة التي واجهت كل الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وجزره، ومن المحتمل أن بداية هذه الأزمة نشأت منذ عهد جده سيي الأول ١٣٠٧ - ١٢٩١ ق.م الذي ترك الحرب في فلسطين، وذهب إلى الحدود المصرية - الليبية، ليخوض معركتين ضد ما يعتقد أنهم شعوب البحر^(١).

ويبدو أن ثمة ثورة قامت بها مناطق غربي سوريا وفلسطين، التي كانت خاضعة لمصر، والظاهر أن مرنبياح - وحسب ما أوردته أنسودة خاصة بهذا النصر - قد ذهب شخصياً إلى هناك، وذلك في السنة الثالثة من حكمه، وقمع الاضطرابات، على الرغم من كبر سنّه^(٢). والثابت أن مرنبياح لم يرجع من آسيا

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٢) جيمس هنري بروستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي - صفحات من تاريخ مصر (٤)، ت. حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦ م، ص ٣١٣.

إلا بعد أن قمع ثورتها، وأرجع الأمان إلى نصابه، ولا يُحتمل أن يكون وسَّع حدوده هناك عِمَّا كانت عليه أيام والده^(١).

لم تقم شعوب البحر التي استقرت على الحدود المصرية الليبية بالهجوم مباشرة على مصر، فإنهم ومن بعد استقرارهم في ليبيا، ومزاحمة الليبيين على معيشتهم، بدؤوا بالتسرب إلى مصر، على شكل جماعات سُلْمِيَّة وطبيعية في بادئ الأمر، لكن هذه التسرُّبات ما فتئت تحول شيئاً فشيئاً لتصبح أكثر خطورةً على مصر، لأنها أضحت تتخذ صفة الفتح والاستيطان، خاصة بعد أن دخلوا معهم نساءهم وأولادهم ومواشيهم، وبدؤوا بالسيطرة على منطقة الدلتا^(٢)، وباتت تحركاتهم تُنبئ عن أعمال

(١) يذكر جيمس هنري برستد في كتابه / تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي /، أنه: «لا يستبعد أن يكون منباحث، قد اقتضى تماماً من الحثيين، والظاهر أن الحثيين في تلك الآونة، قد ساعدوا أهالي البحر المتوسط من ليسين ودردانيين، وهم الذين اتحدوا مع الليبيين في غربى الدلتا، والظاهر أن الحثيين قد ساعدوا هؤلاء الأقوام أديباً على الأقل، إن لم يكن مادياً، ثم زادوا على ذلك فأوقدوا نار الفتنة في مستعمراته الآسيوية رغبة منهم في ضمها إلى أملاكهم».

(٢) عبد العزيز عثمان: مرجع سابق، ص ١٥٤.

عسكرية مرتبة، وعندما حاول هؤلاء التقدم عبر طريق مُنخفض وادي النطرون^(١)، استطاعوا التوغل حتى اقتربوا من منطقة كفر الزيات^(٢)، ويذكر جيمس هنري برسيد في هذا الصدد: «أن الليبيين التحنو - Tehenu Libyans^(٣)، استمروا يزحفون على مصر بطريق مستعمراتهم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ويُحتمل أن تكون طلائعهم وصلت وقعت إلى قناة عين شمس»^(٤).

وعندما علم مرتباخ بالخطر المهدد لكيان مملكته، قام بتحصين قلاع عين شمس ومنف، وفي آخر مارس من السنة الخامسة - أي نحو ١٢١٩ ق.م - من حكمه بلغه خبر زحف

(١) محمد حرب فرزات: محاضرات في تاريخ الشرق القديم - مصر القديمة وحضارتها، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢ م، ص ٢١٦.

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ م، ص ١٩٤.

(٣) إقليم التحنو، متاخم لحدود مصر الغربية، ويلي ذلك غرباً القسم المعמור بقبائل ليبو أو ريبو المعروفين عند اليونانيين بالليبيين.

(٤) جيمس هنري برسيد: تاريخ مصر، مرجع سابق، ص ٣١٣.

الليبيين على مصر، فاستدعاى موظفيه بسرعة، وأمرهم بحشد جيشه وتجهيزها للقتال في ظرف أربعة عشر يوماً^(١).

لقد استطاع مرتبتاح التصدي لهم، والقضاء على زعيم ذلك التحالف الذي يدعى (ماراي) Maraye^(٢) وكان أبوه يدعى (ديد) Did الذي كان يُلقب بملك (ليبو) Libu أي الليبيين^(٣)، وقد ظهرت في هذا الوقت لأول مرة، ويعتقد الآن أن هذه القبيلة، ربما جاءت من منطقة برقة المشرفة على البحر، لأن حلفاءها كانوا من شعوب البحر الذين لا يستقرُّ لهم قرار، وقد

(١) جيمس هنري برستد: تاريخ مصر، مرجع سابق، ص ٣١٥.

(٢) مريي Mwryey الذي أجبر بدؤ التحنون على أن ينضموا إليه. وكان مريي قد استعان بحلفائه، قراصة البحر الأبيض المتوسط لامكزنيني من سلينيين وشاكلاشين من صقلية وأشين المعروفين باسم Ekwesh وهم الذين سطوا على مصر أيام منحوتب الثالث، والأتروسكين المعروفين على الآثار باسم (ترش) وهؤلاء الأقوام هم أقدم من آتوا إلى مصر من سكان أوروبا وكانوا ينهبون البلاد بالسطو وقد ورد ذكرهم في نصوص عهد المملكة الوسطى، ولكن هؤلاء ليسوا أول الأوروبيين الذين آتوا إلى مصر لأن المعروف عنهم أنهم عبروا البحر المتوسط كثيراً فيما مضى، وإليهم يعزى أصل الليبيين البيض البشرة.

(٣) كان قدماء المصريين يطلقون اسم ليبو على سكان الباذية الغربية.

ذهب مرنيتاج - بعدهما استطاع جمع جيشه فيما لا يقل عن أسبوعين - لصدّ هذا الهجوم عند حدود مصر الغربية في مكان من غرب الدلتا يدعى (باير) (Pi - Yer)، ومن المؤكد أن مرنيتاج نجح في صدّ هذا الهجوم، بعد معركة استمرت نحو ست ساعات، وقد انتهت بطرد الليبيين من مصر، إذ جاء في النصوص المصرية، ويبدو أن الأمير الليبي الذي ولّ هاربًا في جنح الليل وحيداً، لم تكن في رأسه ريشة، وكان حافي القدمين، ولم يكن معه ماء ليحفظ عليه حياته، فقد فرَّ إلى بلده يائساً من النصر، تاركاً جميع أسرته وأثاث منزله في أيدي المصريين.

والجدير بالذكر، أن بعض المصادر تذكر أن عدد المهاجمين كان كبيراً (نحو العشرين ألف مقاتل)، وقد بلغ عدد القتلى ستة آلاف^(١)، وعدد الأسرى أكثر من تسعة آلاف، كان من بينهم نساء الملك الليبي وأولاده وإخوته^(٢).

(١) وردت باريرو قرب بتوبي في شمال غرب الدلتا عند دونالد ب. روذفورد.

(٢) وردت تسعة آلاف عند دونالد ب. روذفورد.

(٣) يبدو أن العدد مبالغ فيه، وهي عادة ملوك مصر.

وهنا تتعدد أسماء هذه الشعوب، ما بين مصادر ومراجع تلك الفترة الزمنية، فيبينا يذكر د. محمود عبد الحميد أحمد، في كتابه الموسوم بـ / دراسات في تاريخ مصر الفرعونية / قبائل (الأكين، والتيرسيين، والليكيين، والسردينيين، والصقليين)^(١)، نجد أن الباحث د. أنطون مورتكات، يذكرهم في كتابه الموسوم بـ / تاريخ الشرق الأدنى القديم / إذ يقول: «وكما اتحد الليبي (الليبو) مع الشارданين، والليقيين، والتورشين، وشعوب بحرية أخرى»^(٢) ولا حاجة لبذل الجهد لنعرف أن الشاردانين هم السردينيون، والليقيين هم الليكيون.

فيها ذكرتهم صفيّة سعادة في كتابها الموسوم بـ / أوغاريت / إذ تقول: «ليس فقط الليبيون، بل الأكويش^(٣)، والترنيش^(٤) واللوكا،

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٣) الإيجيin أو الليسيين.

(٤) أي الليديين.

والشريدين، والمشوش^(١)، والشيكيليش^(٢)، فيما يعدد أسماءهم الأستاذ أحمد أمين سليم، في كتابه الموسوم بـ / دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - مصر - العراق - إيران / إذ يقول: «تمكّن ملك قبيلة ليبو من أن يجمع من قهق ومشوش بجانب خمسة من شعوب البحر، معهم نساؤهم وأطفالهم وماشيتهم...»^(٣)، فيما ترد أسماؤهم عند الباحث دونالد ب. رودفور في كتابه الموسوم بـ / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / إذ يقول: «وال مشوش، والآشوتا، والحسا، وآخرون...» ويرى أن هذه القبائل كانت تسير تحت قيادة قبيلة (اللابو) - وهم من سُمّي زعيمهم باسم (ميريه أو ماري) - الأقوى فيهم سياسياً وعددياً،

(١) المشوش: Meshwwsh قطنوا غربي بلاد الليبيين (الصحراء المجهلة الحد وقتئذ)، وهم قوم متبدلون نوعاً ما، وهم ماهرون في الفنون الحربية، ويلاحظ أن جهات غربى الدلتا امتزجت بالدم الليبي، وكثرت فيها الأسر الليبية.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٤ .

(٣) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - مصر - العراق - إيران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م، ص ١٦٧ .

كما أنه يرى أنهم اجتازوا مصر من أقصى الشمال، حيث يوجد شريط الواحات الغربية ومن ثم دخلت الدلتا.

إن نظرة ملية في الأسماء السابقة، تُظهر مدى حجم التطابق الكبير في أسماء هذه القبائل، ويفيدو أن الاختلافات ناجمة عن اختلاف الترجمة، أو لجنسية الكاتب، أو لأسباب فنية أخرى.

فالأكيون عند محمود عبد الحميد أحمد، هم الأكويش (الإيجيون) عند صفيّة سعادة، والتيروسيون عند محمود عبد الحميد أحمد، هم التورشيون عند أنطون مورتكات، وهم الترنيش (الليديون) عند صفيّة سعادة، فيما الليكيون عند محمود عبد الحميد أحمد، هم الليقيون عند مورتكات، وهم اللوكا عند صفيّة سعادة. كما أن السردينين عند محمود عبد الحميد أحمد، هم الشارداريون عند أنطون مورتكات، وهم الشرديون عند صفيّة سعادة، ومنهم جاءت تسمية جزيرة سردنية (التي سكنوا فيها فيما بعد).

وقد أورد محمود عبد الحميد أحمد اسم الشيكيليش، وهو الاسم الذي ورد عند صفيّة سعادة على شكل الصقليين، وهذا

طبيعي، فاسم صقلية قد جاء من (شيكيليش - ثكلس - صقلية)^(١)، أما تسمية اللافبو، فقد وردت على عدة تسميات، مثل: (ليبو - الليبيق - الليبيين) ومنها جاءت تسمية ليبيا حالياً، فيما انفرد د. دونالد ب. رودفورد بذكر اسمين هما (الآشوتا - الحاسا).

نجد، ومن خلال هذا التطابق في الأسماء بين مختلف الباحثين، مدى صحة حدوث هذه الغزوة على ليبيا، وعدم تشكيك أحدٍ بها، (انظر جدول الأسماء في ملحق الكتاب).

وبعد الانتصار الكبير الذي حققه مرتضى^(٢)، على هذه القبائل، اتجه قسم منها نحو الجنوب، بُغية الوصول إلى وادي النيل في منطقة النوبة، ولكن المصريين استطاعوا أن يردوهم عنها^(٣).

وبمowa مررت على مصر فترة من الانقلابات والاضطرابات، اغتصب خلالها الحكم بعض المغامرين من

(١) دونالد ب. رودفورد: مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٢) وردت عند دونالد ب. رودفورد: بمعركة الساعات الست.

(٣) محمد أبو المحاسن عصفور: مرجع سابق، ص ١٩٤.

خارج الأسرة المالكة (يارسو) الأموي السوري الأصل^(١)، ما أدخل البلاد في حالة من الضعف والتراخي، ولم يكن ثمة ما يدعو للاستخفاف بالليبيين، فخلال أكثر من عقدين من الزمن من الحكومات الضعيفة، حكم خلاها أربعة أو خمسة ملوك ضعاف، إلى أن وصل إلى الحكم (ست نخت) ١٢٠٠ - ١١٩٨ ق.م مؤسس الأسرة العشرين (أسرة الرعامسة) ووالد رعمسيس الثالث ١١٦٥ - ١١٩٨ ق.م الذي سيكون له شأن كبير في صدّ غزوات شعوب البحر على مصر، بعدما عادت من الغرب، وبدأت مقدماتها تظهر من الشرق.

ثانياً: شعوب البحر في عهد رعمسيس الثالث - ١١٩٨

١١٦٥ ق.م

بعد فترة الاضطرابات التي عمت مصر إبان الفترة ما بين موت مرنبتاح، ووصول رعمسيس الثالث إلى الحكم، استغل اللابو والمشوش ضعف وانشغال الدولة المصرية بصراعاتها الداخلية، فدخلوا مصر مجدداً، حتى وصلوا إلى غرب الدلتا

(١) محمد حرب فرزات: محاضرات، مرجع سابق، ص ٢١٧.

الغربية، من غير أن يعترضهم أحد، واستقروا بعيداً إلى الشرق، حتى ضفة النيل الأوسط، مُدْمِّرين مدن منطقة زويتي Xoite، ولم يتمكّن «الفرعون» سبياتح السيئ الحظ، من رُدِّهم عنها، بسبب إصابته بسلل الأطفال، وسيطرة أخيه (تاووسرت) ومستشاره الكنعاني الأصل (باي) Bay^(١)، على موقع القرار.

غزوة السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث عام ١١٩٣ ق.م ييدو أن السبب الحقيقي في تفجّر الأوضاع ثانيةً على الحدود الغربية مع ليبيا، كان بسبب العداوات التي تشكّلت حول خلافة السلالة الحاكمة بين قبيلة البابو، وقد كان رعمسيس الثالث قد رفض أن يُطلق سراح أحد أبناء الزعيم الليبي، الذي كان قد أسره ليَخْلُفَ أباه^(٢)، فكانت الشرارة التي أعادت الحرب ما بين الطرفين، وقد جاء في نقوش معبد هابو (حابو)، أن الملك رعمسيس الثالث، قام بحملة عسكرية ضد جيران مصر الغربيين المعروفين بـ (التحنو)،

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٥.

ونستتتج من هذه النقوش، أن ثورة قامت في هذه المنطقة، لأن «الفرعون» ساعد حاكماً ليبياً من الموالين لمصر على الوصول إلى السلطة.

وقد ذكرت النصوص المصرية في هذه الحملة ثلاث قبائل رئيسية^(١)، وقفت في وجه الفرعون، وهي قبائل (الليبو - السبد - المشوش)^(٢)، ولكن المؤرخ (دونالد ب. رودفورد) يذكر أسماء الذين غزوا مصر في هذه الحملة، فيقول: «كانوا من المشوش والأسبوتي والهاسا، ومن الإيجيin فرقة من الزاوية الجنوبيّة الغربية لآسيا الصغرى، الكاركـيز هذه المرة، وفرقـة أخرى من ساموس وأبديرا»^(٣)، ولا ندرـي من أين جاء رودفورد بأسماء الهاسـا والكارـكـيز، إذا رأينا أنه يعني

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٢) المشوش الذين ورد ذكرهم للمرة الأولى منذ عهد أمتحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م.

(٣) وقد صوّرت النصوص المصرية أسرى هذه الحملة بلحـى حمراء وخصلات شعر جانـبية، وثياب طـويلـة مـزـينة.

(٤) دونالد ب. رـدـفـورـد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

بالأسيوطي هم السبّد، فهل يعني بالكاركير (الказكاز) الذين
مرّوا معنا سابقاً، مع العلم أنه ذكر شعوب الحاسا من ضمن
الشعوب التي غزت مصر، وحاربها مرتباً في سنة حكمه
الخامسة، وقد ذكرناها سابقاً؟

وقد كان النصر في هذه المرة كبيراً، فاق نصر مرتباً
السابق، فقد دُون رعمسيس الثالث نصره هذا على جدران
معبد هابو، بقوله: «أنا رعمسيس الثالث، دَمَّرْتُهم وذبحتهم
وفي ضربة واحدة أطحنت بهم، أو قعدهم يتخطبون بدمائهم،
وحولتُهم إلى كوم من الجثث، ردعتهم عن وضع أقدامهم على
حدود مصر... وجئت بمن تبقى... أعداداً غفيرةً من الأسرى،
مثل طيورِ مقصوصة الجناح أمام خيولي، ونساءهم وأطفالهم
بعشرات الآلاف»^(١).

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في مدونات رعمسيس
الثالث، وهي صفة معظم ملوك الشرق، إلا أنها لن تُغيب
الحقيقة، في تحقيقه نصراً كبيراً على هذه الشعوب المُغيرة على

(١) المصدر نفسه: ص ٢١٥.

مصر، عند حدود الدلتا الغربية، والتي كانت في طريقها إلى منف، وربما على مقربة من الفرع الكاتوني، أي من نهاية الطريق الساحلي، أو عند (كوم أبو بلو)، وهي إحدى المدن المصرية المهمة في ذلك العصر، وقد وزع رعمسيس الأسرى الكثُر على حصون مصر، ليعملوا فيها^(١)، وبذلك زال الخطر الليبي، على الرغم من أن المشوش شنوا في مناسبة أخرى - بعد نحو سنتين - غارة لحسابهم الخاص، فقد خاب سعيهم، إلا أن تفاصيل ثانوية في مدونات رعمسيس الثالث في معبد هابو، تُنذرُ بأشياء قادمة، فاثنان من الزعماء الأسرى، يحملان اسمين ليسا من نوع الأسماء الليبية، وهما (ميلادي وموسخيون)، يتحدد شكل كل منهما كأسير راكع بخطاء رأس مُزَين بالريش، وله حاشية عريضة لينة، ولم يمضِ وقت طويل حتى شهدت مصر محيطاً حقيقياً من هذا الريش^(٢). وهذا ما سوف نراه في حملة رعمسيس الثامنة.

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث - ١١٩٠ ١١٨٩ق.م

لم تمضِ على حملة رعمسيس الثالث ضد تحالف قبائل شعوب البحر مع قبيلة الليبو سوی ثلاثة سنوات، رَمَّمْ فيها رعمسيس الثالث جراحه، وأعاد بناء قواته العسكرية، مُتَظَرِّاً الطريق الذي سوف تسلكه هذه التحركات البحرية والبرية الكبرى، والتي كانت تستهدف من ضمن ما تستهدف، الاستقرار في مصر.

وفي هذه الجولة الجديدة، التي يبدو أنها كانت حاسمة في إيقاف هذه الشعوب، وتدمير قواها، والقضاء على أملها في الدخول إلى مصر، فقد تقدمت هذه الشعوب باتجاه مصر قادمة من جهة الشرق.

بعد خروج الشعوب والقبائل المُغيرة من حاتوشة بعد تدميرها، وبعدما مررت على كركميش، اتجهت نحو منطقة أواسط سوريا، مُندفعة من خلال مرات جبال طوروس إلى سهول مملكة أمورو، ومن أمورو^(١)، اتجهت نحو مصر عن

(١) أي في وادي اليوثيروس، وهو وادي النهر الكبير الجنوبي.

طريق فلسطين، لتشتبك مع القوات المصرية في معركة زاهي نحو العام ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م، وفي وصفه لتقدير هذه الشعوب نحو بلاده، دون رعمسيس الثالث سيرهم على أحد جدران معبد مدينة هابو قائلاً: «قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة في جزرهم، وقد زعزعت المعركة، وبعثرت البلاد كلها في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم، وقد ابتدوا بخالي وقودي وقرقميش وأرزاوا والآسيا... أُقيم معسكر في مكان ما من أمور... وقضوا على شعبها وأرضها، فأصبحوا كأن لم يكن لهم وجود من قبل... ثم جاؤوا واللهب مُعدّ أمائهم، مُتقدمين نحو مصر، وكان حلفهم مكوناً من بلست وزكار وشكليس ودانو ووشش، متحدين جميعاً، ووضعوا أيديهم على البلاد جميعاً إلى محيط الأرض كلها، وقلوبهم تردد في ثقة (لقد نفذنا خطتنا)، ولكن قلب هذا الإله سيد الآلهة كان مستعداً ومجهاً لا قتالاً صفهم كالطيور، لقد دعّمت حدودي في زاهي (فلسطين وسوريا) وأعددت أمائهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والمarians (البدو)، وأمرت بأن يُجهَّز مصب النهر ك سور قوي بالسفن الحربية والغلايين

والزوارق، التي كانت مُعدّةً إعداداً تاماً من قبل ومن بعد بالشجعان من الرجال الذين يحملون أسلحتهم، ومن المشاة من خيرة المصريين، الذين كانوا كالأسود المزحمة فوق الجبال، أما العربات فكان بها المحاربون الأكفاء، وكل الضباط الممتازين ذوي الأيدي القادرة، وكانت خيوطهم ترتعد كل مفاصلها، مُستعدّين لِسحقِ البلاد الأجنبية تحت حوافرها».

ويتابع رعمسيس في وصفه من وصل من المغирين إلى حدوده، فيقول: «أما عن أولئك الذين وصلوا إلى حدودي، فليست فيهم بذرتهم، قلوبهم وأرواحهم انتهت إلى الأبد... أولئك الذين تقدموا من ناحية البحر^(١)... كان اللهب الكامل أمامهم عند مصب النهر، وكان سياج من الحراب يحيط بهم على الشاطئ^(٢)».

نستنتج من قراءة النص السابق، أن المعركة التي حدثت بين المصريين وشعوب البحر، كانت عبارة عن معركتين، واحدة

(١) تذكر بعض المصادر، أن شعوب البحر كانوا يمتلكون سفناً شراعية ذات مجاذيف، لكن مشهد المعركة البحرية في مدينة هابو، لا تظهر فيه تلك المجاذيف.

(٢) آلن جاردنر: مرجع سابق، ص ٣١٤.

برئيَّة على الأغلب في منطقة فلسطين الجنوبيَّة، والأخرى معركة بحريَّة، كانت على مصب نهر النيل في البحر المتوسط^(١).

أما عن وصفه للمعركة البحريَّة فيقول: «جهزت لهم شبكة لاقتناصهم، فكان من دخل منهم إلى مصب النهر، يُحصرُ ويُسقط في داخلها، ثم يقيدون في أماكنهم، ويُذبحون ثم تُقطع جثثهم»^(٢)، انظر إلى النقش الذي يصور المعركة في ملحق خاص بالكتاب.

أما عن الشعوب التي غزت مصر في السنة الثامنة، فإضافة إلى ما ذكره السير آلن جاردنر في قراءته لنقش هابو، يُضيف المؤرخ دونالد ب. رودفورد في قراءةٍ لـ«النقش نفسه»، إذ يقول: «إن من هاجم مصر في هذه المعركة هم شعوب البلست والتيجيكرو والشيكيليش والدعنو والـواش واش» وفي تفسيره لمصدر هذه الشعوب يرى رودفورد أن: الواش واش مرتبطون بجزيرة لاسوس قُبالة ساحل كاريا، أما عن الدعنو، فهم مُتطابقون مع (دنهشي) هومر، الاسم الوصفي العام الذي

(١) وقد تم تحديد موقعها بالضبط، في موقعة بيلوزيوم في الدلتا، انظر صفية سعادة في كتابها /أوغاريت/ ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٦.

أُطلق على الإغريق عامةً، فيما رأى أن مصدر الشيكيليش من ساغالاسوس في بيسيديا^(١).

فيما يذكر د. محمود عبد الحميد أحمد، أسماء الشعوب التي هاجمت مصر، في حملة السنة الثامنة، على الشكل التالي: (الشكلش والوشاش والدانو أو الدانونا^(٢) والبلست والزكار) مُضيفاً اسم الدانو إليهم، لكنه يطرح تسلسلاً جديداً لخط سيرهم، يخلط الأوراق من جديد، وخاصة فيما يخص الشعوب التي دمّرت أوغاريت، ونحن نعلم أن من دمّر أوغاريت، هم

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) تذكر رسائل تل العمارنة (الرسالة ١٥١) المتضمنة تحريراً - تقريراً عن الأوضاع في بلاد كنعان، وتشير إلى حدودها الشمالية ببلاد (دانونا)، وكانت هذه مملكة صغيرة في المناطق الشرقية من سهل كيليكيما قبالة خليج إسكندرية ومتاخمة لبلاد الحثيين في جهة الشمال. نص الرسالة: يقول (أبي ملكي) حاكم صوري (صور) فيها للملك المصري أمنحوتب الرابع (أخناتون): «لقد كتب، سيدني إلى عّما سمعته عن بلاد كنعان، أقول: لقد مات ملك بلاد دانونا، وصار أخوه ملكاً بعده، وببلاده تشهد السلام.....»، انظر كتاب /مراسلات تل العمارنة الدولية/، د. فاروق إسماعيل، ص ٤٧.

شعوب قادمة من قبرص، وهذا ما ستناقشه لاحقاً، ولكنني أعتقد أن ذكره لأوغاريت هنا، جاء عن غير قصد، أو ربما لأسباب نجهلها، إذ يقول في معرض ذكره، لمصير شعوب البحر التي دمّرت حاتوشا بشكل دقيق: «وانحدرت شعوب البحر بعد ذلك جنوباً، وقد جلبوا معهم نساءهم وأطفالهم على عربات تجرها الثيران، فقضوا على مملكة أوغاريت، وبعد ذلك عسكروا في سهول سورية الوسطى، للقيام بالمرحلة الثانية»، وأعتقد أنه يقصد بسهول سورية الوسطى، سهول أمورو، والمرحلة التالية، هي غزو مصر.

وبالعودة إلى معركة زاهي، والتي يعدُّها د. محمود عبد الحميد أحمد، فلسطين الحالية، إذ يقول: «واستطاع هذا الملك أن يهزّهم في منطقة زاهي (فلسطين الحالية/اليوم) ويقضي على قوتهم قضاءً مبرماً»^(١).

فيما يحدد د. عبد العزيز عثمان، بدقة أكثر موقع معركة زاهي البرية والبحرية، ففي كتابه الموسوم بـ /معالم تاريخ الشرق

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢١.

الأدنى القديم / يقول: «فَجَرَتْ معركة كبيرة في السنة الثامنة من حكمه، بين قواته وبينهم، عند مدينة رفح، بالقرب من الحدود المصرية، كما جرت معركة بحرية بالقرب من موقع بور سعيد اليوم».

إذن، فقد حقق رعمسيس الثالث انتصاراً كبيراً في هذه المعركة، ووقع عدد كبير من المغیرین فی الأسر، وهكذا نجح رعمسيس الثالث في إنقاذ مصر مجدداً، من غارة خطيرة لا تقل في نتائجها البعيدة عن دخول الهاكسوس، إن لم تكن أشد منها.

وبعد أن اطمأن رعمسيس على حدوده، ترأس حملة إلى سوريا، ليعيد سيطرته عليها، ويظهر فلسطين من بقايا شعوب البحر، وقد ذكرت أخبار هذه الحملة على جدران معبده في مدينة هابو، وهي تقصّ علينا أنه حاصر خمس مدنٍ، ووصل إلى الفرات، وتفرق شعوب البحر، فاستقر أكثرهم في البلاد التي حلوا بها كسكنٍ مُسلمٍ^(١).

(١) عبد العزيز عثمان: مرجع سابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

غزوة السنة الحادية عشرة من حكم رعمسيس الثالث نحو

١١٨٧ق.م

بعد أن خاض رعمسيس الثالث في سنة حكمه الثامنة حرباً ضد شعوب البحر الشماليين، وتمكن من هزيمتهم، عمل على تقوية جيشه، وتزويده بالعدة والعتاد، كما عمل على إقامة الاستحكامات الالازمة، اتقاء لخطير قد يقع، وهو في غفلةٍ من أمره، من الشرق كان ذلك أو من الغرب، وقد صدق حذْسُ الفرعون، إذ لم تأت سنته الحادية عشرة، حتى رأى الليبيين يُعيدون تنظيم أنفسهم ويهاجرون مصر من جديد.

ويعتقد البعض، أن الحرب الشمالية التي هاجمت مصر من الشرق، قد جذبت كل انتباه المصريين نحو الحدود الشرقية، وهكذا فقد تركوا حراسة الحدود الغربية، فأعطوا بذلك الليبيين الفرصة لكي يخترقوا الدلتا بسهولة^(١)، وبذلك فإن متاعب مصر الخارجية لم تنته مع النصر الذي حققوه في غزوة السنة الثامنة، وذلك أنه في العام الحادي عشر من حكم

(١) أحمد أمين سليم: مرجع سابق، ص ١٧١، ١٧٢، ١٧٣.

رعمسيس الثالث تجدد الخطر الليبي، لكن رعمسيس الثالث قد حقّق انتصاراً آخر على شعوب البحر، وقد دوّن أخبار ذلك النصر في الجزء الختامي من البردية الكبرى، التي نقتطف منها هذا الجزء البسيط: «كان الليبو والمشوش مُستقرين في مصر، وكانوا قد استولوا على الرقعة غرب (حيكو بتاح) أي (منف) حتى (قيروبن) ووصلوا إلى النهر الكبير^(١)، من كل جوانبه، وكانوا هم أولئك الذين خرّبوا مدن إقليم إكسوسيس^(٢)، على مدى بضع سنوات، حين كانوا في مصر... هاك إنني قد قضيت عليهم وذبحتهم بضربي واحدة، ولقد أذللت المشوش، وليبو، وإسبات، وقيقاش، وشاتيب، وهاسا، وبقى، وجعلتهم يرتدون عن وطء حدود مصر... وكان هناك عشرات الآلاف من نسائهم وأطفالهم، وكانت تعداد مواشيهم بعشرات الآلاف، وأحللت قادتهم في معاقل تحمل اسمي، وعيّنت عليهم قواد جيش ورؤساء قبائل، ثم دفعتهم، محولاً إلياهم إلى عبيد

(١) الفرع الكانوبي للنيل، أبعد الفروع غرباً.

(٢) سخا الحالية، على الفرع الكانوبي.

موسومين باسمي، وقد عوملت نساؤهم وأطفالهم بنفس المعاملة، أما ماشيتهم، فقد حملتها إلى بيت آمون، وجعلتها قطعاناً أبدية له».

وهناك نصان كبيران في مدينة هابو، أُرخا في السنة الحادية عشرة، يتناولان الموضوع نفسه نستطيع أن نستفيد منها في إضافة شيء واحد فقط، وهو أن (مشر) رئيس الـ (مشوش) أخذ أسيراً، وأن أباه (كب) التمس الرحمة من دون طائل، وقد وصف ذلك في منظر أخاذ^(١).

وبذلك تكون الشعوب التي هاجمت مصر في غزوة السنة الحادية عشرة، هي: (المشوش، لييو، إسبات، قيقاش، شايتب، هاسا، بقن)، وقد كانت راية الزعامة في هذه المرة، قد عقدت لقوم المشوش، فيما كانت زعامة الحرب الليبية الأولى لـ (ريسو)، واستطاع زعيمهم (كب) أن يقود المشوش، ومن تحالف معهم نحو مصر.

كما استطاع أن يقضي على قوم (تحنو) المسلمين، الذين كانوا يسكنون في غربى الدلتا على الحدود المصرية مباشرة. واستمر

(١) آلن جاردنر: مرجع سابق، ص ٣١٦، ٣١٧.

المشوش، وحلقاوهم الليبيون في تقدمهم داخل البلاد حتى وصلوا في زحفهم من رأس الدلتا حتى قاعتها. وتقدم الفرعون لِقابلة أعدائه، وتحدث معركة حامية الوطيس، أبلى فيها الفرعون ومشاته وفرسانه بلاءً حسناً.

وتقدم لنا المناظر المصوّرة على جدران معبد مدينة هابو، الجنود المصريين، وهم يتممون هزيمة الليبيين، ويوضح النقوش أن جلالته قد استولى على (٢٠٥٢) أسيراً، وأما الذين كان نصيبيهم القتل، فقد بلغوا (٢١٧٥) قتيلاً، وهكذا تنتهي المعركة بسحق المشوش المُعتدين، الذين غزوا البلاد. إلا أن أثمنَ الغنائم على الإطلاق كان (مشر) زعيم المشوش، وقائد حملتهم، وقد بلغ انتصار رعمسيس الثالث حداً جعل المصريين يعدّونه حدثاً يحتفلون به سنوياً، وسمى عندهم (عيد قتل المشوش).

وبعد أن قضى رعمسيس الثالث على هذا الهجوم، لم يعد أمامه ما يخشاه من هذه الناحية، بعد أن قلَّ أظافرهم، كما أن الليبيين بدورهم، لم يحاولوا ثانية بعد هزيمتهم هذه، أن يدخلوا عنوةً إلى مصر، فقد تحولَ دخولهم إليها عن طريق الدخول السلمي، ما شكَّل من بعد ذلك أثراً خطيراً على مصر في

مستقبل الأيام^(١)، فقد انخرط الكثير منهم في سلك الجندي
كجنود مرتزقة، وكان هؤلاء الليبيون يتحلّون بريشة فوق
الرأس، وعُرِفوا باسم (الماشواش)^(٢).

ثالثاً: مصير شعوب البحر التي هاجمت مصر
كَنَا قد ذكرنا سابقاً مصير الشعوب البحرية والليبية
المُتحالفة، التي هاجمت مصر في حملتي السنتين الثامنة والحادية
عشرة، من حكم رعمسيس الثالث، وهنا يأتي السؤال المهم:
ماذا حلَّ بقبائل وشعوب البحر، التي هاجمت مصر في غزوة
السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث؟، أي ماذا حلَّ
بشعوب البحر التي هاجمت فلسطين بعد خسارتها في معركتي
 Zahy ، البرية والبحرية؟؟.

فبعد معركة Zahy ، والنصر الذي يدّعيه رعمسيس الثالث،
والذي يبدو أنه لم يكن نصراً مؤزّراً^(٤)، كما يريدنا أن نظن، إلا أن

(١) أحمد أمين سليم: مرجع سابق، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢) وكان هذه الاسم يختصر أحياناً إلى كلمة «الما».

(٣) محمد أبو المحسن عصفور: مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٤) وذلك حسب رأي المؤرخ دونالد ب رو دفورد.

وقفته الصامدة، كانت كافية لفُرط التحالف، وإرغام الأعضاء الداخلين فيه على الفرار، والانتشار في كافة أرجاء بلاد الشام ومصر، فالسفن التي أفلحت في الوصول إلى الدلتا، تمَّ التعامل معها بأقصى سرعة، يقول: «أولئك الذين جاؤوا عبر البحر، واجههم اللهب المستعر عند مصاب النيل... استدرِجوا، وطوقوا وطِرِحوا على الشاطئ، وقد ذُبِحوا وكمُموا من أول السفينة حتى آخرها...»، أما من نجا منهم، فقد هرب من مصر، إذ أبحر بعض أفراد الشيكيليش غرباً إلى صقلية^(١) وربما وجد الدعنو مأوى لهم في قبرص، أما الواش واش فقد اختفوا عن الوجود^(٢).

وفي هذا الصدد، يذكر جواد بولس في كتابه الموسوم بـ /لبنان والبلدان المجاورة/ إذ يقول: «وبعد هزيمة اتحاد شعوب البحر والشمال، تفرق هؤلاء في الأرض، فاتجهت عناصر منهم إلى شواطئ سورية الشمالية وأسيا الصغرى وجزر البحر الإيجي،

(١) التي أعطوها اسمهم.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٩.

وسردينيا وإيطاليا...»^(١). أما عن مصير البلست، والتيكير، والزّكار، فهو ما سوف نناقشه بالتفصيل لأهميته الكبيرة.

مصير البلست والتيكير، وتسمية فلسطين

تُجتمع غالبية المصادر، باستثناء القلة القليلة جداً، على أن رعمسيس الثالث آخر محارب عظيم في مصر، قد سمح لبعض هذه الشعوب المهزومة بالاستيطان في ساحل فلسطين، وربما كان ذلك لتكون هذه الشعوب درعاً لمصر، يقيها من أي هجوم جديد، فاستقرَّ شعب البلست، الذي «ربما» جاء من جزيرة كريت، بين يافا وغزة، كما استقرَّ شعب بحري آخر يسمى التيكير إلى الجنوب من جبل الكرمل، وهو الجبل الذي صار فاصلةً تحجز بين الفينيقيين (كنعاني الشهال) والقادمين الجدد، ولهذا ما عاد الساحل الفلسطيني إلى الجنوب من الكرمل يدخل في فينيقيا بعد ذلك التاريخ، وصار اسمه «فلستيا» نسبة إلى قبائل البلست، ثم انتشر هذا الاسم على كافة ما يسمى الآن بفلسطين، وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على كل البلاد عنداحتلالهم لسوريا، وقد

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٠٨.

حلَّ البلست في خمس مدن كنعانية، هي: غزة، وعسقلان، وعقرورن، وأسدود، وجل، ونظم البلست مدنهم الجديدة، على هيئة مالك مستقلة في إدارتها وحوكمتها، إلا أن هذا الاستقلال لم يمنع المدن الخمس من أن تعرف ضرباً من ضروب الاتحاد، وربما كان مركزه في مدينة أسدود.

ولم يبتعد البلست عن البحر كثيراً، وذلك بحكم كونهم شعوباً بحرية تجهر البراري، ولا تستسيغ المناخ الجاف، وبهذا أن الساحل الذي لا يتغير القادمون الجدد أرضاً سواه، قد كان ممتئلاً بالمدن العامرة بسكانها الكنعانيين، فإن البلست لم يؤسسوا من المدن سوى اثنتين وحسب، وهما: اللد وزكلاج الواقعة إلى الشمال من بئر السبع، وأغلب الظن أن اللد قد أعادوا بناءها ولم يبنوها لأول مرة في تاريخها.

غير أن البلست، قد توغلوا قليلاً في داخل فلسطين، واستولوا على بعض المدن الكنعانية^(١) الصغيرة، التي لا تبعد

(١) في الحقيقة هم لم يستولوا على تلك المدن، بل على الأغلب اندمجوا مع السكان الأصليين.

كثيراً عن ساحل البحر، وفوق ذلك فقد انتشروا في بعض المدن البعيدة عن البحر، ولا سيما بيسان الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الأردن إلى الجنوب من بحيرة طبرية.

وقد كان البلست يتقنون صناعة المعادن، وعلى رأسها الحديد، ويستخدمون الأسلحة الحديدية على نحو وفير، فقد تركوا الكثير من هذه الصناعات المعدنية، ولا سيما المطارق والأزاميل والأدوات الزراعية، ولا شك في أنهم استخدمو العربات الحديدية في القتال، ما كان له أثر كبير واضح، خلال معاركهم وانتصاراتهم في الأنضوص وبلاد الشام، كما كان البلست بحارة مهرة، لكن سرعان ما اقتبس البلست الديانة الكنعانية، فعبدوا آلهة الكنعانيين، أمثال (داجون - دجن) بوصفه إلهًا للحروب في أسود، وإلهًا للسمك في غزة، وما زال حتى اليوم في ساحل يافا أكثر من قرية تحمل اسم دجن، أما عسقلان، فقد جعلوا منها مركزاً للعبادة عشتار الكنعانية.

ومع مرور الزمن، أخذ البلست يذوبون في الثقافة الكنعانية ذوباناً تدريجياً، غير أن لغتهم - وكما ذكر يوسف سامي

اليوسف في كتابه الموسوم بـ /تاريخ فلسطين عبر العصور / - استمرت في الوجود حتى القرن الخامس قبل الميلاد، ولا يعرف المؤرخون متى زالت تلك اللغة من الوجود على وجه الدقة^(١).

هذا ما يخصُّ استقرار البليت في فلسطين، وإعطاءهم إياها الاسم الذي مازال متعارفاً عليه حتى الآن، إضافة إلى انصهارهم في حضارتها، وهذا ما نجده دائمًا عبر التاريخ، إذ نجد الكثير من الشعوب الغازية الأقل حضارة، تتمثلُ حضارة الشعوب التي غزتها، وتنصهر فيها حتى تتلاشى كعرق أو إثنية، أو قوم، عبر التاريخ، والباحث في التاريخ يجد الكثير من هذه الأمثلة.

وقد يعرض البعض على فكرة إعطاء هذه الرقعة (كنعان الجنوبي) أو زاهي (الساحل الفلسطيني) اسم فلسطين، نسبةً لهذا الشعب الغريب عن المنطقة، بداعيعروبة، والتمسّك بها، ورفض فكرة أن تكون هناك أرض عربية، مُسمّاة باسم شعب غريب عنها، وللإجابة عن هذا التساؤل أقول ما يلي:

(١) يوسف سامي اليوسف: تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠.

نحن، وأمام عدم وجود أدلة أو دراسات تثبت أن اسم فلسطين اسم عربي، فما الضير في قبول هذه التسمية، وهذا النسب، إن كان هذا لا يؤثر علىعروبة هذا البلد الغالي على قلوبنا، وعلى كلّ حال، فإن عروبة فلسطين تبقى في انتهائها إلى الأمة العربية، وتحريرها من نير الاحتلال الإسرائيلي، وليس في تسميتها، إن كانت فلسطين، أو حتى «العرباء».

كما أن هناك العديد من المدن العربية الخالصة، جاءت تسميتها من أسماء أشخاص، وبلدان غير عربية، ولم يؤثر ذلك في عروبتها، ولنا في أسماء (اللاذقية، وإنطاكية، وأفاميا، والإسكندرية، وأسكندرونة، وطرابلس... إلخ) خير مثال على ذلك.

أما عن باقي القضايا التي طرحت حول موضوع استقرار البلست في فلسطين، وبنائهم للعديد من المدن، وتمثيلهم للحضارة الكنعانية، فقد ورد في العديد من المراجع العربية والمترجمة، التي أيدت ما ذكر سابقاً، نوجز بعضها:

فقد ذكر د. محمود عبد الحميد أحمد، في كتابه الموسوم بـ / دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، وفي حاشية الصفحة ٢٢١ إذ يقول: «إن رعمسيس الثالث قد سمح لقبيلة (الزكار) وقبيلة (بليست) بالاستقرار على ساحل فلسطين الجنوبي، وقد تسمت المنطقة باسم قبيلة البليست، ثم أطلق - الاسم - على فلسطين كلها، ومن المحتمل أنهم جاؤوا من جزيرة كريت (كفور) ولكن ربما كانت كريت محطة فقط من محطات هجرتهم»^(١).

فيما يذكر د. محمد حرب فرزات، أن: «قبائل البليست الذين تمكنوا بعد توقف في جزيرة كريت، وعلى الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، أن ينزلوا على الشاطئ الممتد من أسودود إلى غزة... وقد انضم البليست إلى الكنعانيين، واندجوا بهم، واعتقدوا عقائدهم، وحملوا معهم أسلحتهم الحديدية... وقد أعطوا اسمهم لجزء من بلاد كنعان، حيث أقاموا واستقروا... ثم أطلق الرومان اسمهم على كل البلاد، عندما احتلوا سورية...»^(٢).

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٢) محمد حرب فرزات: موجز تاريخ، مرجع سابق، ص ١٥٠.

ويُفرد. صالح عبد الحكيم، بعض الأسطر، من كتابه الموسوم بـ / الحياة الدينية في المجتمع الأوغراري / للحديث عن البلست، إذ يقول: «كانت نتيجة هذه الغزوات، أن استقرت قبائل الفلستو في خمس مدن ساحلية، هي: عكا، أسدود، عسقلان، جت، غزة، وأصبحت أسدود عاصمة لدولة فلستية (فلسطينية) بحيث انصهرت القبائل الإيجية الغازية مع القبائل الكنعانية التي كانت تسكن تلك المدن...»^(١).

أماد. أحمد سوسة، وفي كتابه المعروف، والموسوم بـ / العرب واليهود في التاريخ / يذكر: إنَّ قبائل الفلسطينيين، وبعد هزيمتهم على يد رعمسيس الثالث، يقول: «فاتجهوا بعد إخفاقةِهم في النزوح إلى مصر نحو الساحل الفلسطيني الجنوبي، في القسم الذي يمتدُّ من غزة جنوباً إلى أسفل يافا شماليًّاً، ومنهم جاءت تسمية فلسطين... وكانت المدن التي أسسوها... هي غزة، أشقلون، جت، أسدود، عقرورون...». ويذكر في مكان آخر «أن هؤلاء الفلسطينيين، قد اندمجوا

(١) صالح الحكيم: مرجع سابق، ص ١١٤.

بالكنعانيين والعموريين كلياً، بحيث لم يعد بالإمكان تمييزهم عن العناصر الكنعانية والعمورية» ثم يُضيف، داعماً رأيه برأي الباحث (لودز) الذي يقول: «إن الفلسطينيين قد (تكتنعوا) بسرعةٍ في حدود القرن الحادي عشر قبل الميلاد، خلال فترة تقلُّ عن ١٥٠ عاماً، بعد استقرارهم على أرض فلسطين» ويضيف د. سوسة أن: «الإله الرئيس (داجون) الذي كانوا يعبدونه، هو نفس داجون... (داجان) إله الغلة الذي كان يعبده الكنعانيون»، ثم يضيف أيضاً، أن: «أقدم ذكر للفلسطينيين ورد في النصوص المصرية والآشورية، فقد سُميَّت بلادهم باسم (بلاستو) Palastu أو (بيليستو) Pilistu وهو نفس الاصطلاح اليوناني (فلستيا) Philistia الذي أصبح (باليستينا) أي (فلسطين)»^(١).

وكانت الباحثة صفية سعادة، قد ذكرت في كتابها الموسوم بـ /أوغاريت/ أن: «البلست، وإثر معركة بيلوزيوم (Zahiy)

(١) أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٦، ص ٢٠٠، ١٩٩٩، ١٩٨٠.

في الدلتا، استوطنوا في فلسطين، وتأكد من صحة هذا الاستيطان من خلال وثيقة فريدة من العصر اللاحق لوفاة رعمسيس الثالث، وهي رحلة وينامون، الذي قام برحلاً إلى فلسطين، ووصف الأوضاع هناك، وهو يذكر أنه زار مدينة (دور) حيث يعيش التيكيير»^(١).

أما عن الكتاب الأجانب، فقد ذكر فرانسوا دوكريه في كتابه الموسوم بـ / قرطاجة الحضارة والتاريخ / أنه: «كان من نتائج هذه الحركة، استقرار شعب جديد هو البيلست... وقد استقر هؤلاء الغزاة الذين أعطوا اسمهم لفلسطين على شريط ساحلي يمتد من عسقلان إلى غزة، ووجب على الشعب الكنعاني الذي كان يستقر قبلهم في هذه المنطقة، أن ينسحب منها»^(٢)، وهذا ما أكدّه أنطون مورتكات، عندما ذكر: «بعد الهزيمة عاد هؤلاء (الفلسطينيون الليريون) الذين جعلوا قبل ذلك من كريتا محطة لهم، فحطّوا رحالتهم في السهول

(١) صفية سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) فرانسوا دوكريه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، دار طлас للنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩٤ م، ص ١٣.

الساحلية للجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، فاستوطنوا وأعطوها منذ ذلك الوقت اسمها الحالي (فلسطين)...» ثم يضيف: «ولما لم يحصل هؤلاء على مدّ شعبي جديد مستمر، نجد أن القوة الكافية لم تتوفر لديهم بالمقابل ليؤثروا تأثيراً واضحاً في الكنعانيين سكان البلاد الأصليين، بل بالعكس لم يدم الأمر طويلاً حتى انحلوا في هؤلاء - يقصد الكنعانيين - عرقياً وحضارياً»، أما فيما يتعلق بلغتهم، فهو يقول: «إننا لا نعلم شيئاً عنها حتى الآن»^(١).

أما جيمس هنري برستد، وفي كتابه الموسوم بـ /العصور القديمة، ص ٢٧٨ / فيقول: «وكانت فلسطين الجنوبية البلد الوحيد الذي كان عدد المهاجرين الإيجيin فيه كافياً لاحتلاله، وتأليف أمّة منهم، وهكذا استطاعت قبيلة كريتية عُرفت باسم الفلسطينيين أن تُحرز لنفسها مقاماً، وتبني عدداً من المدن الظاهرة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد».

(١) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٦.

وهكذا نخلص من كل ما سبق إلى النتائج التالية^(١):

- ١ - البلست قبائل قدِمت من البحر المتوسط - بحر إيجة - أو من جزيرة كريت.
- ٢ - شارك البلست في اجتياح الدول والمالك التي سبق ذكرها.
- ٣ - البلست ليسوا دولة واحدة، إنما جزء من مجموعة قبائل مجهولة.
- ٤ - لم يشكل البلست في فلسطين دولة أو قوة موحدة، وإنما كانوا موزعين على مجموعة مدن، لكلّ مدينة ملِكُها المستقل.
- ٥ - استوطن البلست الساحل الجنوبي، الذي سُمي باسمهم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.
- ٦ - ظهر البلست في بلاد كنعان فجأة، ولم يخلفوا أي أثرٍ، بل اندمجوا وتمثلوا في الحضارة الكنعانية، وأصبحت آهتمام آلهة كنعانية، وأهمها داجون وعشтар.
- ٧ - البلست شعبٌ متقدمٌ في صناعة واستخدام الحديد.

(١) أحمد داود: تاريخ سوريا القديم (تصحيح وتحرير)، سلسلة (الكتاب الأول)، دار المستقبل، دمشق، ط ١، ١٩٨٦، ص ٧١٩.

أما د. أحمد داود، وفي سياق اعتناقه لنظرية أن الأحداث التي وردت في التوراة بما يخص فلسطين، أنها كلها قد حدثت في غرب شبه الجزيرة العربية، إذ يقول: «وفي بلاد غامد وزهران تحديداً، هي هكذا: أرض كنعان، هي من جبل جاد في لبنان شمال جذانه في بلاد غامد إلى جنوببني سار في بلاد زهران ...».^(١)

ويدعم هذه النظرية أيضاً، د. كمال الصليبي، ففي كتابه الموسوم بـ /التوراة جاءت من جزيرة العرب/ وهو الكتاب الذي بحث في جغرافيا التوراة، على أساسٍ جديدة، وخلاصته، أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين، بل في غرب شبه الجزيرة العربية، بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومسارف اليمن^(٢).

(١) المصدر نفسه: ص ٧٢٢.

(٢) كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ت. عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م. بيروت، لبنان، الطبعة العربية السادسة، ١٩٩٧ /، من الغلاف الخارجي للكتاب.

لذلك فإن د. أحمد داود يرفض كل الأحداث السابقة، وال المتعلقة بشعوب البحر - جملةً وتفصيلاً - ويَتَّهِمُ المؤرخين الذين يكتبون عنها، بأنهم: «يعتمدون جغرافياً التوراة المزورة...»، وبعد شرحه لنظريته الجديدة - سواءً آمناً بها، أم لم نؤمن - يقول: «والحقيقة هي أن ثمةً واديين في جنوب بلاد غامد يُدعيان بهذا الاسم: فهناك وادي كريث (كريت) شرقي جبل سوده... وهناك وادي (قرية) جنوب (شمران)...»، ومن يتبع شرحه السابق في سياق رفضه الكامل لكل الأحداث السابقة والخاصة بشعوب البحر^(١)، ولن نخوض في تحليل ما كتبه د. أحمد داود، وإنما، وحرصاً منا على الموضوعية في البحث، فقد تطرقنا إلى رأيه، علَّه يجد له مكاناً ما في عقول القارئين...

هذا فيما يخص البلست، أما فيما يخص قبائل الـتيكير، فهم شعوب أيضاً سكنت منطقة فلسطين، لكن يبدو أن الدراسات حولهم قليلة ومحدودة، فلا يعرف المؤرخون

(١) أحمد داود: مرجع سابق، ص ٧٢٤، ولمزيد من المعلومات حول رأي د. داود، يرجى مراجعة كتابه /تاريخ سوريا القديم/.

عنهم إلا القليل، وأهم ما في الأمر، أنهم قد بنوا مدينة سموها (دور) إلى الجنوب من جبل الكرمل، وقد وفد عليهم السفير المصري (ونامون) وهو في طريقه إلى جبيل، بغية الحصول على خشب الأرز من أجل بناء معبد لآمون في طيبة، وفي (دور) سرق التيكيير الذهب الذي مع (ونامون)، وحاول ملك المدينة أن يُعيد الذهب المسروق إلى طيبة، ولكنه عبّاً فعل، ودَوْن (ونامون) هذا في المذكرات التي كتبها عن رحلته، والجدير بالتنويه، أن رحلة (ونامون) هذه قد تَمَّت في الثلث الأول من القرن الحادي عشر قبل الميلاد^(١)، ويبدو أن سلوك هؤلاء القوم كان مُشيناً، فقد كانوا تجاراً مهرة، لكنهم عملوا بالقرصنة، فقد ذكر د. فيليب حتي في كتابه الموسوم بـ /تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين/ أنه: كان نشاط لصوص البحر في شرق البحر الأبيض المتوسط في زمن (ون آمون) مصدره جَوَالَةُ البحْرِ هؤلاء^(٢).

(١) يوسف سامي اليوسف: مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) فيليب حتي: مرجع سابق، ص ١٩٦.

وهنا نعود للقول: قد يأخذ البعض على هذا الكتاب، إعطاء اسم فلسطين هوية أجنبية، وسواء كان ما قدمناه صحيحاً أم لا، فتبقى تسمية فلسطين، إن كانت من مصدر عربي، أم لا، أمراً ثانوياً، إذا ما قيست بالعمق الحضاري لهذا البلد العربي القديم قِدَمُ الْإِنْسَانِ، ولا ننسى أن الإنسان العاقل - الجد المباشر للإنسان الحالي - قد عاش في أرض فلسطين العربية^(١)، وتبقى مسألة عروبة فلسطين برأيي المتواضع، مرهونة بتحريرها من المغتصب الإسرائيلي، وسواء بقي الاسم - فلسطين - أم لم يبق.

(١) تشير أغلب الدراسات الحديثة، إلى أن الإنسان العاقل، جدّ إنساناً الحالي، قد عاش في العديد من مناطق فلسطين، منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة.

الفصل الرابع

شعوب البحر تغزو آسيا الصغرى

كنا قد ذكرنا في السابق، أن شعوب البحر عندما تحركت، لم تحرك في اتجاه واحد، وليس في زمن واحد، بل هي تحركات عمّت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وعلى مدى أكثر من ٢٠٠ سنة، وكانت ذروة هذه التحركات، ما بين ١٢٢٠ - ١١٨٩ ق.م، ومن ضمن هذه التحركات، كانت التحركات التي استهدفت آسيا الصغرى، والتي أدت إلى إشارة بعض القبائل والشعوب المختلفة، والتي كانت أصلاً تتضرر - وكعادة هكذا شعوب - الفرصة المواتية لتحركها، فوُجِدَتْ في قدوم جحافل شعوب البحر فرصتها المُتَنَظَّرة، فاتَّحدَتْ معها، مشكلين معاً تحركاً هائلاً أزال في طريقه عاصمةً من أقوى عواصم الدنيا حينذاك، ألا وهي العاصمة الحثية حاتوشـا.

وقد دَمَّرت هذه التحرّكات في طريقها مدينةً لطالما سمعنا عنها، وشاهدنا الكثير من الأفلام عنها، إنها مدينة طروادة، التي كانت حلقة حاتوشة عشيّة سقوطها، أو تابعة لها سياسياً، وقد تأخر الدعم الحثي لها، وبعد حصار دام نحو عشر سنوات، كما هو معروف - ويبيّن هذا الرقم مُبالغًا فيه - سقطت هذه المدينة، قبل وصول إمدادات الحشين إليها، فكان ذلك بوابة سقوط حاتوشة نفسها؟!!.

أولاً: حرب طروادة

لن نخوض في هذه العجلة، في كيفية سقوط هذه المدينة، أو أسبابها، أو نحاول إثبات الأبعاد الحقيقية لهذه الحرب، ولدمار طروادة، من أبعاد اقتصادية بحتة، وبعيداً عن الأسطورة المعروفة لدى الجميع، وقد كنّا قد نوهنا عنها سابقاً، ولو باقتضاب.

فعلى الرغم من وقوف طروادة إلى جانب بعض المُتفضّلين على السيادة الحشية، في أواسط القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فقد واجه الملك تودخاليا الرابع ما بين ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م تحالفًا معادياً مؤلفاً من اثنتين وعشرين دولة متمردة، على امتداد

الساحل الأيوني^(١)، من كاريا (ليسيما) إلى ويلوسا (إليون أي طروادة)، وقد دحر الحثيون هذا الحلف، لكن الأطراف الغربية من إمبراطوريتهم بدأت تتصدع^(٢).

وعلى الرغم من عدّ طروادة من أعداء حاتوشا، في بدايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إلا أنها كانت تابعة لها سياسياً في أواخر هذا القرن، وإلى حين سقوطها نحو العام ١٢٠٠ ق.م تقريباً، بعد نحو «سنوات عشر» من الحصار.

ولكن يبدو أن انتصار الآخائين في حرب طروادة كان بداية نهايتهم، وذلك بسبب إنهاكهم الطويل في حصار وحرب طروادة، ما أدى إلى تشتتهم في الجزر - جزر بحر إيجة - واستقرارهم فيها. وأمام هذه الفوضى التي حلّت بالآخائين، والتي أدت إلى ضعفهم، ما شجّع القبائل الهمجية على مهاجمة البلاد - بلاد اليونان أي ميسينا - وعلى دفعات متتالية استمرت مدة من الزمن^(٣)، وقد

(١) الساحل الغربي لآسيا الصغرى، تركيا حالياً.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

(٣) خليل سارة: مرجع سابق، ص ١٥٦.

أدت هذه الهجمات إلى دمار ميسينا، وتشكل دفعات جديدة من الهجمات البحرية المشكّلة مما تبقى من الأسطول الآخي (الميسيني)، إضافة إلى القادمين الجدد (الدوريين) وبعض أساطيل جزر بحر إيجية، والأررين من آسيا الصغرى، ومن جزيرة كريت، فقد اتجه جزء من هذا التجمع البشري الهائل نحو العاصمة الحيثية حاتوشا، التي سقطت تحت ضرباتهم^(١).

ونستطيع إيجاز ما حصل، ومن خلال بعض الأدلة الأثرية المعاصرة، وال موجودة في الأدب الكلاسيكي، أن نرسم صورةً لما حدث: ففي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أثمرت الجهود الحيثية لإعادة توحيد المجتمعات الميسينية المتسخة في توجيه تحالفٍ هشٍ من الدول السابقة ضد طروادة، قائد هذه الاتحاد الأيوني السابق ضد الحيثين، وفي الأعوام التي أعقبت الإطاحة بطرودا مباشرةً، تجمعت بعض الدول المشاركة في الحملة الميسينية - ضد طروادة سابقاً - معاً في اتحادٍ تحت قيادة مقاطعات من كاريا، وتحركوا شرقاً على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ومعهم

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ٩٤، ١٠٧، ١٠٨.

عائلاتهم، ليستقرّوا في سهول كيليكيا، وشمال سورية، وبعضها إلى جزيرة قبرص^(١)، الواقعة تحت الميمنة الحثية حينها، وعبشاً حاول شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩١ ق.م - آخر الأباطرة الحثيين - الدفاع عنها، لكن القسم الأكبر من هذه الحشود، كان قد اندفع نحو العاصمة حاتوشة، وقد انضمّت إليه بعض الشعوب والقبائل، هنا وهناك، مدمّرة العاصمة الحثية حاتوشة^(٢).

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٢) تأتي بعض المصادر الكلاسيكية أحياناً، على ذكر بعض القادة الذين شاركوا في حرب طروادة، فيقال مثلاً: إن موسوس الكولوني تمكّن من لاجئين من يويوشة، قاد الشعوب مباشرة بعد الحرب الطروادية من الساحل الأيوني إلى جبال طوروس، ومنها إلى بامفيليَا وكيليكيا، والتي هاجر منها البعض إلى سورية وفلسطين، وبالمثل، يُقرن اسم أمفيلوخوس أيضاً بهجرة من إيجيَّة إلى بامفيليَا، بعد حرب طروادة، وأصبح المؤسس الشهير لـ بوزيدون في سورية، وبالطريقة نفسها قاد تيوكير أخوه أجاكس، الذي قاتل في حرب طروادة، هجرات انتهى بها المطاف في قبرص وكيليكيا، ويُظنُّ أن أغايينور أيضاً ملك الأركاديين، قد قَدِمَ إلى قبرص بعد حرب طروادة، ويقى كل ما ذكرناه في هذه الحاشية برسم الأسطورة، التي لا ترقي إلى الحقيقة التاريخية، انظر كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / دونالد ب. رودفورد، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

ثانياً: سقوط العاصمة الحثية حاتوشا

كنا قد ذكرنا في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، الأسباب التي دعت الحثيين إلى توقيع معاهدة السلام - مع المصريين - بعد معركة قادش، وكنا قد ذكرنا الظروف الصعبة التي أودت بالعاصمة الحثية، وجعلتها لقمة سائغة في يد هجمات شعوب البحر، ولم تكن السنوات العشر الأخيرة، وخاصة بعد سقوط طروادة، بالسنوات الهاوئة في حاتوشا، في ظلّ تسامي الأخطار الخارجية، واقترابها شيئاً فشيئاً من العاصمة.

كان لوصول طلائع شعوب البحر إلى البر الأيوني، وتغلغلها داخل آسيا الصغرى، أن تحركت قبائل وشعوب آسيا، وتحالفت مع هذه الشعوب القادمة عبر البحر، ومن ثم الانقضاض على حاتوشا، وتدمرها عن بكرة أبيها، وإزالتها من الوجود كلياً. وكان لِجمل الأسباب التي أضعففت الدولة الحثية، وعلى رأسها المناخ الجاف الذي ساد الخمسين سنة الأخيرة من حياة الدولة، أثره الكبير في ضعفها ووقعها لقمة سائغة بيد شعوب البحر.

حاتوشا عشية سقوطها

لقد بدأ أ Fowler الملكة الحثية في عهد أرنو واندا الثالث - ١٢٢٠ ق.م إذ تأثرت بتغلغل الإغريق وانفصال بعض المقاطعات البعيدة عن العاصمة، ونشوب بعض الحرروب الداخلية التي أفقدت العاصمة هيبيتها، واستمر ذلك في عهد أخيه شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩١ ق.م، الذي استطاع أن يُحسنَ الأوضاع قليلاً، وتحدث بعض تقاريره عن انتصارٍ على قبرص (آلاشيا)، ولكن ازدياد تغلغل المجموعات البشرية التي تُسمى في النقوش المصرية بـ (شعوب البحر)، وهجومها على بلاد الأناضول وسورية الشمالية، أنهى الكيان السياسي للحثيين^(١).

المجاعة وطلب المساعدات

أكّدت الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية - وكنا قد ذكرنا بعضها في بداية هذا الكتاب - أن جفافاً كبيراً شهدته

(١) فاروق إسماعيل: **الحيثيون وحملتهم على سوريا**، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١ - ٨٢ ، ٢٠٠٣ م ، جامعة دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب، ص ٢٨.

معظم مناطق الشرق الأدنى القديم، بما فيها مناطق الأناضول، ما أدى إلى حدوث عوزٍ كبير في المناطق التي شهدت هذا المناخ الجاف، وتحدث الكثير من الوثائق عن كارثة الجوع، التي أصابت المملكة الحيثية^(١)، وقد ذكر هيرودوت وديودوروس هذه المجاعة التي أجبرت الناس من سايمي، ونكوسوس، وسرديس على الهجرة، وقد تحدث الكثير من الوثائق المعاصرة من مصر وأوغاريت أيضاً عن مجاعة الأناضول^(٢)، كل هذه المستجدات، أدت إلى تراخي قبضة السلطة المركزية في العاصمة حاتوشا، فقد استقلت بعض الولايات الحيثية، التي يُقاتل بعضها بعضاً، ويبدو أن شح المحاصيل وفقر البلاط الملكي، الذي لم يعد قادراً على تمويل جيشه، كان عاملاً أساسياً في تفكك البنية السياسية للمملكة الحيثية، فانتشار المجاعة في أرجاء البلاد، إضافة إلى انتشار العصابات المسلحة، التي تبحث عن لقمة العيش بكلّ الوسائل، دفعت بالبلاط الملكي إلى

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١١.

استجداء القمح من مصر وأوغاريت، ومعظم الدول الصديقة
والتابعة له^(١).

وتتحدث نصوص متعددة من أوغاريت، عن دور المدينة
 بتزويد بلاد الأناضول بالمواد الغذائية، وبخاصة الحبوب، لكن
 من غير الواضح ما إذا كانت كل هذه النصوص، تعود إلى
 عصر حمورابي آخر ملوك أوغاريت أم لا، على أيّة حال، نذكر
 هنا رسالة من الملك العظيم إلى ملك أوغاريت، يطلب منه فيها
 الانتباه إلى الحبوب القادمة من بلاد موكيش (الالاخ) والمنوي
 إرسالها إلى حاتوشة عبر ميناء (أورا) البحري، وذكر أن
 الموضوع عاجل جداً، أي أنه قضية «حياة أو موت»، وهذا ما
 يؤكّد حدوث المجاعة الكبيرة، التي حلّت ببلاد الأناضول، كما
 يُشير إلى ذلك أيضاً نقش للملك المصري مرنبياح، يُظهر (أورا)
 كميناء لاستيراد الحبوب، في نص من بوغازكوي - الاسم
 الحالي لحاتوشة - له علاقة بمجاعة في حاتوشة، وعلى الرغم من
 أن المجاعة في حاتوشة لم تكن حدثاً فريداً، فإن تزويد قلب

(١) فراس السواح: مرجع سابق، ص ١٨٢.

المنطقة الحية بالمواد الغذائية كان مصحوباً ببعض الإشكالات خلال الفترة الأخيرة من حياة الإمبراطورية.

وكانت أوغاريت في تلك الآونة، قد تحولت إلى مركز لشحن المواد الغذائية القادمة من سوريا، عبر ميناء مدينة (أورا) في كيليكيا، أو إلى أماكن أخرى، تعبّر منها المواصلات سلسلة جبال طوروس، وهذا ما يؤكد له لوح أرسل إلى ملك أوغاريت، الذي لم يذكر اسمه، من قبل شخص يدعى Pgn ربها يتطابق مع بوكانا المذكور على خاتم اكتشف في طرسوس في كيليكيا، والذي كان وجيهًا كبيراً في الإمبراطورية الحثية^(١).

كما أن منباحث ملك مصر، كان قد أرسل بعض المساعدات الغذائية إلى حاتوشا، وعلى رأسها القمح، فقد دلت إحدى الوثائق إرساله لشحنة عاجلة من الحبوب، نزولاًً عند رغبة حمورابي ملك أوغاريت الذي نقلها إلى حاتوشا، ولقد ورد في نص هذه الرسالة حدثان، هما: المجاعة والعدو، فنقوش

(١) هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي ٣٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م، ت. سيف الدين دياب، تدقيق. عيد مرعي، دار المتنبي، دمشق، ط١، ١٩٩٨، ص ١٦٢، ١٦٣.

من بناح الموجودة على جدران معبد الكرنك في مصر، تذكر إرسال بعثةٍ إلى حشى (حاتوش)، وتأكد بعد النظر لدى من بناح، عندما قرر إرسال المساعدة، فهو قد أدرك أن المتابع قد بدأ، نعم، لقد ساعدت مصر الحثيين، لأن حاتوش لعبت دور الدولة العازلة بين تلك القبائل التي بدأت تصبُّ من الشمال، وبين الدولة المتقدمة في مصر.

فمن بين الرسائل التي كان كلود شيفر^(١) قد اكتشفها في أوغاريت^(٢)، لوح يتحدث عن رسالة بأمر (الملك - الشمس)، ودون المقدمة المعتادة والسلامات والتنميات الطويلة، يقول لـ ملك أوغاريت حمورابي: «اجمع ما عندك وابعث به إلى»^(٣).

ويبدو أن طلب المساعدة الحثية لم يقتصر على المساعدات الغذائية فحسب، فقد بلغ الضعف بالدولة الحثية، أن أقدمت

(١) مكتشف مدينة أوغاريت.

(٢) فبينما كان كلود شيفر يُنقب في أوغاريت، عثر على فرن مطبخ الألواح الفخارية، وكان هذا الكشف حدثاً مهماً، لأنه لم يُعثر في أي مكان من الشرق الأدنى على فرن مماثل له.

(٣) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٣، ١٠٤.

على طلب المساعدة العسكرية من أصدقائها وحلفائها. وتتحدث العديد من المراجع عن طلبات الاستغاثة التي وجهتها حاتوشة إلى حلفائها، فقد تحدثت رسالة موجهة إلى الملك الأوغاريتي، من قبل الحثين يطالب كاتبها الملك بتجهيز وإرسال ١٥٠ سفينية، وكذلك ذكرت الرسالة، التي كانت ترجمة لرسالة آخر ملوك الحثين شوبيلو ليوما الثاني إلى حمورابي آخر ملوك أوغاريت، إذ يطلب فيها مساعدةً ضد العدو الذي يهدد بلاده، وضد كارثة الجوع^(١).

ويبدو أن حالة الضعف التي وصلت إليها العاصمة الحثية حاتوشة، وقبل فترة وجيزة من سقوطها، دعت بالملك الحثي أن ينقل الأسرة الحاكمة خارج العاصمة، وهذا ما بيته رسالة موجهة إلى أوغاريت، من أجل تأمين عدد كبير من السفن لنقل (جنود)، وبشكل خاص لإخلاء أفراد العائلة المالكة إلى مكان غير محدد. وقد كان الهدف من ذلك مقاومة الخطر المُحدق بالملكة، فقد تحدثت إحدى رسائل الملك

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٤٩.

الخي إلى ملك أوغاريت: «سفنك وأنت عليها، تعال مقابلة الشمس - سيدك»، وعده مقابل ذلك بكمية كبيرة من الذهب والفضة^(١).

وقد بلغَ الضعف بحاتوشَا، أَن ملَكَ أوغاريت حُمورابِي، أَصْبَحَ يتعامل مع حاتوشَا، وَمَعَ ملَكَهَا شُوبِيلُو لِيُومَا الثَّانِي مِنْ مَوْقِعِ النَّدِ لِلنَّدِ، وَذَلِكَ لِمَرْفَتِهِ بِأَنْ حاتوشَا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ وَإِلَى أَسَاطِيلِهِ وَجِيشِهِ، مِنْ أَجْلِ صَدِ هجومِ الشَّعُوبِ الْبَحْرِيَّةِ الْغَازِيَّةِ، هَذَا مَا نَسْتَخلِصُهُ مِنْ مَرَاسِلَاتِ شُوبِيلُو لِيُومَا الثَّانِي مَعَ حُمورابِي ملَكَ أوغاريت^(٢)، لَكِنْ وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ بَيَّنَتِ الأَحْدَاثُ أَنْ حُمورابِي قد أَرْسَلَ فَعْلًا عَرَبَاتِهِ وَجَنُودَهِ وَسَفْنَهِ الـ ١٥٠ إِلَى حاتوشَا لِلمساَعِدَةِ^(٣).

وهناك رسالة أخرى كُتِبَتْ هَذِهِ المَرَةِ مِنْ قِبَلِ ملَكِ كِرْكِمِيشِ نَفْسِهِ، تَعْلَقُ بِتَفْقِدِ فَرَقِ المشَاةِ وَالْعَرَبَاتِ الْأَوْغَارِيَّةِ التِّي أُرْسَلَتْ كِفَرَقَ مَسَاعِدَةً لِدَعْمِ الْخَيْنِ، وَقَدْ تَمَّ التَّفْقِدُ مِنْ قِبَلِ

(١) قاسم الشوّاف: أخبار أوغاريتية، مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٢١١.

(٣) قاسم الشوّاف: أخبار، مرجع سابق، ص ٨١.

موظف يدعى تالمي تيشوب^(١)، كان يعمل في خدمة (الشمس) أي الملك العظيم (ملك حاتوشا)، وتشير الجملة الأخيرة في الرسالة، إلى وضع خطير جداً، ربما كان سببه هجوم آشوري^{(٢)؟}.

وأغلب الظن أن أرنو وانداش الثالث أو شوبيلو ليوما الثاني آخر ملكين في حاتوشا، لم يتراكا أية وثائق تشير مباشرة إلى تهديدات شعوب البحر، وهكذا لم تصلنا أية وثائق من حاتوشا، وحتى أوغاريت نفسها بقيت صامتة بشأن سقوط حاتوشا^(٣).

وقد يكون الصراع على قبرص، بين الحثيين وشعوب البحر، هو السبب الذي جعل هذه الشعوب تهاجم حاتوشا وتدميرها، وعيثاً حاول شوبيلو ليوما الثاني أن يُنقذ الموقف، فها هو يصف صراعه معهم، فيقول: «اصطفت السفن من قبرص ثلاث مرات في منتصف البحر ضدي - دمرتها، استوليت على السفن، وأضرمت النار فيها، وهي في عرض البحر»، ومع

(١) وهو حاكم كركميش (جرابلس الحالية) الموالي والتابع لحاتوشا.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي، مرجع سابق، ص ١٦٠ .

(٣) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٥ .

ذلك نسمعه بعد بضعة أسطرٍ، يقول: مرة أخرى: «خرج علىَ العدو من آلاشيا (قبرص) بحشود لا حصر لها». فقد كانت سفن المُغَيْرِين تظهر على كامل الشاطئ السوري والقبرصي^(١) في انتظار تدميرها لخاتوشا، ومن بعدها أوغاريت.

كما أثبتت رسالة نقشت على الرقيم الذي يحمل الرقم /Rs 34.129/ الذي كُتبَ إبان حكم حمورابي، أن الملك الحثي القلق من الوضع المضطرب في المشرق العربي الغربي، كان قد خاطب حاكم أوغاريت للحصول على معلومات تتعلق بأهالي سيكيلا Sikilia المُقيمين على القوارب، وكما تشير إلى ذلك لائحة رعمسيس الثالث الشهيرة، فقد فُهمَ على ما يبدو أنهم: أحد شعوب البحر، وقد توجه الملك الحثي مباشرة للحاكم، لأن ملك أوغاريت لا يزال فتياً وقليل الخبرة، حيث يدّعى الملك الحثي أنه أرسل شخصاً يُدعى (إياندوشو) وهو سجين لدى الـ Sikileen (السيكيلين) ولكن أطلق سراحه لاحقاً، بهذا فهو يأمل بالحصول منه على معلومات عدة، خاصة بالوضع في

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٨.

البحر المتوسط^(١)، وليس من الصعب تحديد هوية هؤلاء السيكيليين Sikileens بأنهم الشيكيليين (الشكليس) وهم من شعوب البحر.

القبائل التي هاجمت حاتوشة وأسقطتها

يبدو أن القبائل التي هاجمت حاتوشة، جاءت من البلقان، وهم من الفريجيين والساسا، الذين وصلوا إلى سواحل آسيا الصغرى، واتحدوا مع قبائل الكازكاز Kazkaz أعداء الحشين التقليديين، الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، ولا سيما السواحل الجنوبيّة من البحر الأسود وبحر مرمرة، فتحركوا نحو العاصمة الحشية حاتوشة، وعملوا على إحراقها وتدميرها^(٢) نحو العام ١١٩١ق.م رغم مؤازرة الدول المؤيدة لها كأوغاريت.

(١) رينيه لوبران: أوغاريت وخاتي في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، مقال في مجلة مهد الحضارات، ت. غادة الحسين، المديرية العامة لآثار ومتاحف، مركز الباسل للتدريب والبحث الأثري، العدد ١١ - ١٢، ٢٠١٠م، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٤.

وفي نفس الصدد، يذكر د. محمد حرب فرزات، في كتابه الموسوم بـ / موجز في تاريخ سوريا القديم / إذ يقول: «وتسبّبت هذه الهجمات في انهيار الإمبراطورية الخشية، ثمَّ عاصمتها حاتوشة بيد شعوب الكازاخ التي تحركت من جهات شواطئ البحر الأسود» وفي مكان آخر من الكتاب نفسه، يقول: «إن هجرة الآخائين إلى شرق البحر المتوسط، ووصولهم إلى سواحل آسيا الصغرى، أدى إلى تحريك شعوب الإمبراطورية الخشية، ومنهم شعب الكازاخ (الكاشكيون) «على شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة» فتحركوا نحو العاصمة الخشية، وعملوا على حرقها وتدميرها...»^(١).

فيما يذكر د. فيصل عبدالله، في كتابه الموسوم بـ / تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الشام - سوريا ولبنان وفلسطين والأردن / شعوب البحر التي هاجمت حاتوشة، فيقول: «فقد كانت الشعوب الأوروبية المتمرضة في غرب الأنضول من آخين وأرزاوين ولوسيين متحددين ضد حاتوشة»^(٢).

(١) محمد حرب فرزات: موجز، مرجع سابق، ص ١٠٨، ١٤٩.

(٢) فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي - بلاد الشام، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

إذن، الشعوب التي دمرت حاتوشا، هي مزيج من الشعوب الأوروبية القادمة من جزر بحر إيجة، والشعوب الآسيوية، وبالمجمل تكون الشعوب التي دمرت حاتوشا هي: شعوب: «الказاكاز (الكاشكين) - شعوب الفريجين - شعوب الماسا - الآخائين - أرزاوين - لوسين».

وهكذا دُمرت العاصمة الحثية حاتوشا، ولم يعد لها ذكرٌ في التاريخ، إلا بعدما ظهرت مجدداً على يد منقبي الآثار في منطقة بوغازكوي الحالية. أما عن مصير شعوب هذه العاصمة، وهذه الدولة الكبيرة، فلا توجد دراسات حول مصيرهم، ولكن المنطق العقلي والتاريخي، يقول: إنهم ساحوا في البلاد إلى أماكن أكثر أمناً في كافة مناطق الأنضول، ولا بدّ أن قسماً منهم قد دخل الأراضي السورية عبر جبال طوروس، مُهرولين أمام تقدم شعوب البحر، ومتقددين أن إمارات وممالك سورية، ستتحميهم من القادمين الجدد، فنجا بعضهم، ولاقي الآخرون مصير ما لاقته شعوب الساحل السوري، إثر وصول شعوب البحر إليهم، وذلك حسب مناطق انتشارهم الجغرافية.

أما فيما يتعلّق بالسلطة الحشية المُنهارة في حاتوشا، فأغلب
الظن أنها انتقلت إلى كركميش التابعة أصلًا للحثين، التي تُعدُّ
العاصمة الثانية لهم بعد حاتوشا، والتي (ربما) ستلاقي مصير
حاتوشا نفسه لاحقًا، لكنها لن تزول عن الوجود تماماً كما
زالت حاتوشا، وستبقى كركميش في قادم الأيام، المركز الذي
يُمثل السلطة الحشية في سوريا بعد خروج شعوب البحر منها،
فهذا عن سقوط كركميش - إن حدث ذلك - بيد شعوب
البحر، هذا ما سنتعرّف إليه في الفصل القادم.

- 14 -

الفصل الخامس
شعوب البحر تغزو
بلاد الشام والساحل السوري

أولاً: غزو كركميش

اختلفت الروايات حول صحة دمار كركميش على يد شعوب البحر القادمة من بعد ما دمرت حاتوشا، ويبدو الدليل الأكثر إقناعاً لسقوط هذه المدينة ضحية لهذه الغزوة، هو ما ذكره رعمسيس الثالث في تدوينه على جدران معبد هابو في سياق ذكره لخطة سير جحافل شعوب البحر القادمة من حاتوشا باتجاه كركميش، ومنها نحو سهول أمورو، إذ يقول: «وقد بدؤوا بخاتي وقرقميش وأرزاوا وألاسيا...»^(١).

(١) آلن جاردنر: مرجع سابق، ص ٣١٤.

وهذا ما يؤكد أن هذه المدينة قد لاقت المصير حاتوشان نفسه، وهذا ما أكدّه أيضًا (ليونارد وولي) في كتابه الموسوم بـ /الالاح مملكة منسية / ففي وصفه لخط سير جحافل الغزوات التي دمرت حاتوشان، يقول وولي: «دُمِّرت مدينة (يوجازكوي)^(١) في الأناضول، فاتجهت - جحافل الغزوات - نحو الجنوب، واجتاحت سورياً كالسيل العارم... وكان يرافقهم أسطول بحري على امتداد الساحل السوري، كانوا يجتاحون المدن التي أخذت تساقط تباعًا... ثم سقطت كركميش، حلب...»^(٢).

ويبقى الجسم في مجال التاريخ، هو دعم الرأي بالتنقيبات الأثرية، فقد أظهرت الحفريات الأثرية التي جرت في جرابلس (كركميش) تتابع الفخار الذي يُشير إلى استمرارية خاصة، وما من دليل على حدوث دمار كبير في نهاية عصر البرونز المتأخر، وهنا يبدو التناقض واضحاً ما بين الكتابات التي دونها رعمسيس الثالث، ويصف فيها كركميش، كواحدة من المدن التي سقطت على أيدي شعوب البحر، وما بين التنقيبات

(١) يقصد بها العاصمة الحثية حاتوشان.

(٢) ليونارد وولي: مرجع سابق، ص ١٥٠.

الأثرية، وفي الحقيقة قد لا نستطيع أن نعد ذكر كركميش في نقوش رعمسيس الثالث برهاناً كافياً على سقوطها^(١)، وذلك اعتماداً على إمكانية قيام رعمسيس الثالث بتضخيم حجم القوات التي حاربها، من أجل إعطاء عظمة أكبر لانتصاره الكبير في معركة زاهي، وبالتالي قد لا تكون كركميش من بين المدن التي دُمرت على يد شعوب البحر، وما يُضيف على ذلك برهاناً، هو بقاوتها عامرة بعد فترة الاجتياح، واستمرارها كمركيز للنفوذ الحثي، بل وعاصمتهم الجديدة في سوريا، إلى زمنٍ ليس بالقصير.

لكننا، يمكن أن نفّغر في إيجاد صيغة قد تبدو مقبولة، ما بين التنقيبات الأثرية التي يعتمد على نتائجها، وما بين الكتابات والنقوش الأثرية، التي لا يُستهان عادةً بصحتها، صحيح أن الملوك عادةً قد يضخّمون الحدث، لكن على الأغلب، هم لا يخلقونه، وهذا ما نجده غالباً في دراسة حوليات ملوك الشرق عادةً.

(١) هورست كلينغل: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ٢٠٤ .

إذن، قد يبدو الاحتمال الأقرب إلى الصواب، أن شعوب البحر قد مرّت من قرب كركميش، وربما حاصرتها، ودارت بعض المعارك حولها، لكنها - أي شعوب البحر - لم تتمكن من تدميرها وفتحها، وبالتالي بقيت عامرةً صامدةً أمام هذا الإعصار الجارف والمُؤقت، فلربما تركتها هذه الشعوب محاصرةً، مُعتمدةً على قوتها، ومتعتقدةً أنها سوف تعود إليها لاحقاً، بعد القضاء على الحكم في مصر - هدفها المنشود - لكن ما حدث في معركة زاهي، والقضاء على جيوشهم وسحقها وتشتيتها، أدى إلى تشتت شعوب البحر المحاصرة - افتراضياً - لكركميش، وبالتالي انتهاء الحصار، وهروب القوات المحاصرة عنها. ويبقى كلُّ ما ذكرناه برسم التفكير السليم غير المعتمد على الأدلة القاطعة، وبرسم الرغبة في الوصول إلى الحقيقة، التي لا ندعُى الوصول إليها، متظرين نتائج الدراسات المعتمدة على تقييمات جديدة، والتي قد تفضي لاحقاً إلى كشف ما حدث لكركميش، إبان مرور شعوب البحر من قرها، ومعرفة الحقيقة المرجوة.

ثانياً: غزو مملكة أمورو

كنا قد ذكرنا مراراً في الصفحات السابقة، أن شعوب البحر، ومن تحالفَ معها، كانت قد اندفعت بعد تدميرها لحاتوشة سالكةً طريقاً دمّرت من خلاله معظم المدن التي اعترضت طريقها، إلى أن اجتمع عسكرهم في بقعة واحدة بأرض أمورو^(١)، وجعلوها قاعدةً لهم، ولتحركاتهم المقبلة،^(٢).

وقد ذُكرت أمورو في الكتابات المسماوية منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد باسم (مارتو - Mar.tu) وبالصيغ الأكادية بـ (A-mur-ru) إذ كانت تُشير إلى جهة الغرب من وجهة نظر سكان بلاد الرافدين، ولاسيما المنطقة الواقعة غرب نهر الفرات الأوسط^(٣)، وبعد ذلك أطلقت تسمية (أمورو) على السكان أو المجموعات القبلية القادمة من هذه الجهة (الغرب)،

(١) أمورو - وادي إلويثروس (وادي النهر الكبير الجنوبي) وعاصمتها (صُمر) حالياً تل الكزل - قرب صافيتا، انظر كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / لـ دونالد ب. رودفورد.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ١٦٥ .

(٣) ووردت كذلك في نصوص إبلا.

إلى بلاد الراfdin، ونحو منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، أصبحت أمورو اسمًا لمنطقة جغرافية تقع ما بين ساحل البحر المتوسط، وسهول حمص^(١)، وقد كان لها دور بارز في الفترة ما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م وهي فترة رسائل تل العمارنة، فقد لعب ملوكها عزيرو وابنه عبدي عشرتا دوراً بارزاً في الصراع الحضري المصري، وغير معروف من كان يحكم أمورو أو ما إذا كان هناك ملك على الإطلاق، عندما نصبت أولى جماعات شعوب البحر خيامها، في هذه المنطقة، كما أنه لا توجد معلومات إضافية عن الفترة الأخيرة من تاريخ المملكة وسلطتها.

وتستحق الرسالة المرسلة إلى ملك أوغاريت من قبل شخص يدعى بارسو (برصو) Parsu الاهتمام، فقد طلب فيها من ملك أوغاريت، وبأدب، أن يوصل كل الأخبار المتعلقة بتحركات عدو (لم يذكر اسمه) كما كانت العادة سابقاً ما بين أوغاريت وأمورو، وهكذا يصبح واضحاً أن العدو كان نشطاً في منطقة ليست بعيدة عن أوغاريت، ما يشكّل تهديداً لأمورو،

(١) هورست كلينغل: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ١٧٥.

وهذا ينطبق تماماً على الحالة، التي كانت جماعات شعوب البحر تقاتل في شمال شرق البحر المتوسط، ووصلت أخبار تحركاتها إلى ملك أوغاريت عن طريق حاكم ألاشيا (قبرص)^(١).

وفيما يلي نقدم نص الرسالة Ugaritica v,115,Rs 20.162,86 المرسلة من (برصو) إلى ملك أوغاريت، الأغلب أنه حمورابي، ويطلب منه إخبار بلدانه بأموره بتحركات العدو المتربص بهم يقول فيها:

سيّدي قلْ:

هكذا (يقول) خادمك بِرْصو

اسجد عند قدمي سيّدي

٥ - بالنسبة لك ليت (كل شيء) سالم

يا سيّدي! هكذا (يقول) ملك بلدان

أموره

٧ - ٨ - (٩) لم أقل أمامك حقاً: «عندما

(١) المصدر نفسه: ص ١٩٠.

١١ - تسمع خبراً يخصّ الأعداء
الغرباء، فأرسل إلى بلداني (خبراً). والآن

يا سيد لماذا

لم ترسل (خبراً)

إلينا

١٥ - بخصوص كلام الأعداء الغرباء

مثلما تسمع؟

أمر ثانٍ، يا سيد

بلدان أمورو وبلدان أوغاريت

هي وحيدة

٢٠ - يا سيد! إنْ تسمع خبراً

عن الأعداء الغرباء فليت سيد

٢٢ - ٢٣ - يرسل (له) إلينا. يا

سيدي!

الآن أنا سأرسل ما يلي:

٢٥ - حقاً سأرسل السفن التابعة لنا

للقائك

فليت سيّدي يعرف (بذلك)^(١).

والمُتبَعُ لهذا النص يُدرك أن كتابته كانت في المرحلة، ما قبل وصول تلك الشعوب إلى أوغاريت وأمورو، ويبدو أن حاكم أمورو الذي يُعلِّن نفسه تابعاً لاً أوغاريت إذ يخاطب ملك أوغاريت بـ(سيد) وبلهجة استجداء وترجّ، ويستنتاج أن الأخبار قد وصلت إلى أمورو عن طريق آخر، وليس عن طريق ملك أوغاريت، ففي كلامه شيء من العتب: «لم أقل أمامك حقاً: عندما تسمع خبراً يخصُّ الأعداء يا سيدي لماذا لم ترسل (خبرها)».

لكن الأمر يُبَدِّي حالة من اليأس والخوف والتبعية: «يا سيدي إن تسمع خبراً عن الأعداء الغرباء فليت سيدي يرسله إلينا...»

(١) جيهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، وزارة الثقافة، سوريا، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، ٢٠١١م، ٢٤٨، ٢٤٩.

وعلى الرغم من تجاهل ملك أوغاريت، وعدم إخبار أمورو بالتحركات البحرية التي عَلِمَ بها من ملك آلاشيا (قبرص)، فإن ملك أمورو سوف يُرسل سفنه للتلاقي سفن أوغاريت، وتساعدها في وقف هذا العدو، عَلَّه بذلك يُنقذ أمورو من الخطر القادم، لكن دمار أمورو على ما ييدو لم يأتِ من جهة البحر، وإنما جاء عن طريق البر، ويبدو أن سقوط أمورو كان مُحققاً، فهذا ما أثبته النص (٨٦: ١٢ - ٢٥) الذي يُشير إلى عدو خارجي، كان يتربص بمملكة أمورو، وإلى أن الخطر مُحْدِق بها لا محالة، وهذا ما رأيناه في النص السابق.

وفي هذا الصدد، يقول هورست كلينغل في كتابه الموسوم بـ / تاريخ سوريا السياسي ٣٠٠٠ - ٣٠٠ ق.م /: «يُذكَرُ نصُّ هيروغليفى - يعود إلى السنة الخامسة من عهد رعمسيس الثالث، يذكر (ملك أمورو) الذي (أصبح رماداً) (أي فقد حياته) الذي اختفى اسمه، أما أهالي أمورو، فقد أُسِروا، وُشُتِّتوا، وأُخْضِعوا...»^(١).

(١) هورست كلينغل: تاريخ سوريا السياسي، مرجع سابق، ص ٢٠٥ . ٢٠٦

وليست لدينا معلومات عن السنوات الأخيرة لمملكة أمورو، ولا ندري إن كان هناك حاكم اعتلى عرশها بعد (شاوش جاموا ١٢٣٥ - ؟ ق.م) ويعود ذلك لعدم اكتشاف وثائق كتابية توضح ذلك حتى الآن. لكن المؤكد أن أمورو قد لاقت مصيرها، ونهايتها كغيرها من مدن ومالك ساحل بلاد الشام، على يد شعوب البحر^(١).

ثالثاً: غزو مملكة آلاخ

تقع مدينة آلاخ^(٢) التي يُعرف موقعها الحالي باسم تل العطشانة، الواقع عند المجرى السفلي لنهر العاصي، بالقرب من إنطاكية في لواء اسكندرون المُغتصب، وقد جرى التنقيب في هذا الموقع على سبعة مواسم ما بين أعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ و ١٩٤٦ - ١٩٤٩ م، وذلك من قبل بعثة بريطانية برئاسة السير ليونارد ووللي L.woolley^(٣).

(١) المصدر نفسه: ص ٢٥٩.

(٢) عاصمة مملكة موكيش الأمورية.

(٣) مُكتشف مدينة آلاخ.

إن تاريخ مملكة آلاخ الأمومية، لا بد أنه مرتب بشكلٍ مباشر بتاريخ مملكة يمحاض (حلب) الشهيرة، وذلك لقربها جغرافياً، ولأن مملكة آلاخ كانت تابعةً وفي معظم مراحل تاريخها للنفوذ الحلبية، فقد حكمت فيها أسرة حلبية، خاصة في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد، وقد دخلت تحت سيطرة الحثيين^(١) إثر سيطرة شوبيلو ليو ما الأول على النصف الشمالي من سوريا عام ١٣٦٦ ق.م.

وقد لاقت آلاخ المصير ذاته لمدن شمال سوريا، عام ١١٩٠ ق.م بعد مرور شعوب البحر، الذين كانوا يسرون رجالاً ونساءً وأطفالاً وعربات تجرُّها الثيران، فكانوا قوة متحركة لم تستطع قوة كقوة الحثيين إيقافها، فما عساها دولة مدنية متحضرّة كآللاخ أن تفعل أمام غزو مدمر كهذا، فقد اجتاحت شعوب البحر التي دمّرت حاتوش آلاخ، ودخلوا سوريا «كالسيل العارم»^(٢).

(١) نزار مصطفى كحلة: إبداعات حضارية في تاريخ العرب قبل الإسلام، كتاب قيد الطباعة، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٢) عمار عبد الرحمن: مملكة آلاخ - أول التاريخ على العاصي، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٥٥.

ويقدم ليونارد ووللي وصفاً للدمار المدينة على يده هذه الشعوب، إذ يقول: «أما أطلال الحرائق التي التهمت أكبر بيوتات المدن، فتؤكد أن آلاخ تقاسمت مع جيرها الآخرين الأقوى منها الدمار والفناء، ويعود ووللي ليقدم دليلاً أثرياً على دمار المدينة الكامل، في حادث تمثال الملك (إيدري - مي)^(١) المُحطم، والذي حاول أحد سكان المدينة مجازفاً بحياته جمع ما باقى من قطع التمثال وإعادته إلى مكانه السابق، ولكنه لم يعد، وبعد مرور خمسين عاماً على مأساة آلاخ، قامت محاولة لبعث المدينة القاحلة (الصحراء) من جديد، وجعلها مدينة مزدهرة تعج بالحياة والنشاط، وفي هذا الوقت بالذات كانت أطلال جدران معبد المدينة التي تداعت على أثر غزو شعوب البحر التي ابتلعت موجودات المعبد، التي ملأت ساحتها، وأصبحت آلاخ ذكرى طواها الزمن، ودخلت في عالم النسيان^(٢)، ويأتي الدليل على صحة ما قدمه ليونارد ووللي في رغبة السوريين إعادة إحياء المدينة، وبعد مرور نحو من خمسين عاماً على دمارها، عشر ووللي ذاته على قبر

(١) أحد أشهر ملوك آلاخ، وقد حكم نحو ١٥٠٠ - ١٤٨٠ ق.م.

(٢) ليونارد ووللي: مرجع سابق، ص ١٥٠.

يحتوي منحوته مصرية، وهي (جعل) أو خنفساء رعمسيس الرابع، ويعود تاريخها إلى نحو ١٤٠٠ ق.م تقريباً، ولكن المدينة لم تُقم لها قائمة بعد، وبُنيت مدينة أخرى على تل مجاور فيما بعد، ولكن لم يكن لها مجدٌ مشرقٌ كآلآخر^(١).

رابعاً: شعوب البحر تغزو أوغاريت

يقع تل رأس الشمرة، حيث عُثر على أنقاض مدينة أوغاريت، على الساحل السوري الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وعلى بعد نحو ٩ - ١٠ كم شمال مدينة اللاذقية، وقد اختار الإنسان قديماً هذا الموقع لكي يكون ميناً ينقل البضائع نحو العالم القديم، وقد سُكِّنَ هذا الموقع منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد، لكن عصر ازدهارها كان في أواخر عصر البرونز الحديث، ما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م، ثم طواها الزمن، واختفت عن الوجود آخذة معها أسرارها وجمال عمرانها ورقّيها، إلى أن اصطدمت سكة فلاح بتمثال حجري يعود للمدينة، وجاءت في

(١) محمود عبد الحميد أحمد وآخرون: آثار الوطن العربي القديم - العراق - سورية - مصر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م، ص ٣٩٠.

الحال بعثة أثرية فرنسية برئاسة العالم كلود شيفر، وبدأ التنقيب المنهجي، وفي آب ١٩٢٩ م ظهر اسم المدينة أوغاريت Ugarit وتم العثور علىآلاف الرُّقْم الفخارية التي دُوِّنت عليها نصوص لغاتٍ، منها الأكادية المقطعة، والأوغاريتية الأبجدية.

وقد كانت سلطة أوغاريت السياسية، تتد على سيانو^(١)، ومنطقة آلاخ^(٢) على بعد ٣٠ كم من أوغاريت، وجنوب جبال طوروس منطقة الأمورو، وقد حكم نيقمادو الثالث ١٢٢٠ - ١٢١٠ ق.م كآخر الملوك الشرعيين، في عصر ازدهار أوغاريت قُبِيل وصول آخر حكامها غير الشرعيين، وهو عموري (عموري) ١٢١٠ - ١١٩٠ ق.م، وفي عصره سقطت أوغاريت على يد شعوب البحر عام ١١٩٠ ق.م.^(٣).
وتشير أغلب الدراسات على أن عموري ١٢١٠ - ١١٩٠ ق.م، ليس ابنًا شرعياً لنيقمادو الثالث ١٢٢٠ - ١٢١٠ ق.م، غير أن

(١) قرب جبلة، المدينة السورية الحالية.

(٢) تل العطشانة - في سهل العمق.

(٣) محمد عبد الحميد الحمد: حضارة طريق التوابل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧ م، ص ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.

هناك ترنيمتين أوغاريتيتين تربطانه مع أسلاف ملكيين (يقاروم - عميشتمرو - نيقادو - نيقميما - أرخلبا - إيرانو) وتطidan السلام له شخصياً، ولزوجته، ولدينته أوغاريت، ولبيته وأبوابه، وقد اعتقد بعضهم أن هذه الترانيم، قد استعملت بمناسبة تسويج عمورابي، وإن اعتلاءه العرش - وهو فتي جداً - لم يتم من دون مشاكل، وعندما اعتلى عمورابي العرش، كان تالياً تি�شوب، لا يزال يحكم في كركميش، ومن المؤكد أن عمورابي كان معاصرأ لشوبيلو ليوماً الثاني ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م، آخر الملوك الحثيين، ويجب أن يكون شوبيلو ليوماً هذا، هو الملك الحثي الذي أرسل إلى عمورابي الرسالة التي اكتشفت بين ألواح (الفرن) الواحد والسبعين، أي مجموعة الألواح الطينية التي وُضِعت في الفرن لشيئها قبل دمار أوغاريت بوقت قصير^(١).

ولقد شهدت أوغاريت في أواخر أيامها، دماراً شاملأً، أتى على كلّ المدينة، فلم يُبق في المدينة على شيء عامر، فقد أتت الحرائق والدمار على كلّ شيء.

(١) هرست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦١، ١٦٢.

وُجِّمِعْ أَغْلَبُ الْآرَاءِ بِاسْتِثنَاءِ الْبَعْضِ مِنْهَا - وَهَذَا مَا سَنَاقْشِهِ لاحقًا - عَلَى أَنْ دِمَارَ الْمَدِينَةِ، كَانَ عَلَى يَدِ شَعُوبِ الْبَحْرِ، فَقَدْ دُمِّرَتْ مَدِينَةُ أُوْغَارِيتْ أَسْوَةً بِبَاقِي مَدَنِ السَّاحِلِ السُّورِيِّ، إِضَافَةً إِلَى حَاتُوشَا عَاصِمَةِ الْخَتِينِ، وَكُنَّا قَدْ عَرَضْنَا لِدِمَارِ هَذِهِ الْحَاضِرَةِ، إِضَافَةً لِلْغَزَوَاتِ الَّتِي قَصَدَتْ مَصْرَ بِغَيْةِ اسْتِيْطَانِهَا، وَلَكِنْ مَلُوكُ مَصْرَ، وَبِإِمْكَانِيَّاتِهِمُ الْكَبِيرَةِ، اسْتَطَاعُوا رَدَّ هَذَا الْغَزوَ، وَخَاصَّةً فِي عَهْدِ رَعْمَسِيسِ الْثَالِثِ - ١١٩٨ق.م في معركة زاهي الشهيرة.

وَهُنَا يُطْرَحُ السُّؤَالُ التَّالِيُّ: مَنْ أَيْنَ جَاءَتْ جَحَافِلُ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ الَّتِي دُمِّرَتْ أُوْغَارِيتْ؟، فَهَلْ قَدِمْتْ مِنْ الْبَحْرِ؟، أَمْ مِنْ الْبَرِّ؟، أَوْ مِنْ الطَّرِيقَيْنِ مَعًا؟، هَذَا مَا سَنْحَاوِلُ الإِجَابَةِ عَنْهُ مِنْ خَلَالِ الْعَرْضِ الْقَادِمِ.

لَقَدْ سَلَكَتْ شَعُوبُ الْبَحْرِ الَّتِي ذَكَرْنَا هَا، انْطَلَاقًا مِنْ شَوَاطِئِ شَبَهِ جَزِيرَةِ الْبَلْقَانِ وَجَزِيرَةِ بَحْرِ إِيجَةِ، فِي تَحْرِكَهَا نَحْوَ آسِيَا الصُّغُرِيِّ وَسَوَاحِلِ بَلَادِ الشَّامِ، وَمَصْرَ وَلِيَبِيَا، عَلَى مَحاورٍ مُخْتَلِفَةٍ، كُنَّا قَدْ عَرَضْنَا لَهَا سَابِقًا، أَمَّا عَنِ الْمَحْوَرِ الَّذِي سَلَكْتَهُ

شعوب البحر، التي يُفترض أنها دَمِّرت أو غاريت، والتي سبق ذكرناها، فهو:

المحور الذي اتجه من جزيرة كريت بعد سقوطها، نحو جزيرة قبرص، ومنها نحو السواحل الشامية، ومن ثم إلى أوغاريت، وتتألف قبائل هذا المحور، من: قبائل البلست، الليدية، الزكارية، وكان من شأن هذا الهجوم بالتعاون مع القبائل المهزومة أمام رعمسيس الثالث، في معركة زاهي، تدمير معظم المدن الكنعانية الساحلية^(١). وكانت هذه القبائل بعد سيطرتها على قبرص، التي كانت تابعة للدولة الخشية، وذلك بعد انتصارها على الأسطول الحشبي إبان حكم شوبيلو لليوم الثاني^(٢)، ومن ثم إلى أوغاريت، فقد دَمِّرَتها واتجهت نحو جزيرة أروداد، فجعلتها قاعدة لها في الهجوم على باقي الساحل السوري كله^(٣)، وهذا يعني أن سقوط أوغاريت

(١) صالح الحكيم: مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) كُنّا قد ذكرنا وصف هذا الملك في صراعه مع هذه الشعوب، بُغية الاحتفاظ بقبرص، لكنها سقطت أمامهم وبالتالي جعلوا منها مركزاً انطلقت منه نحو دمار العاصمة الخشية.

(٣) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٤.

قد جاء في مرحلة لاحقة من سقوط حاتوشا، ومعركة زاهي، أي
نحو ١١٩٠ق.م.

وفي الحقيقة إننا لا نملك تأريخاً متسللاً واضحاً عن تسلسل الأحداث بدقة، مرجعه ليس منطقية الأحداث، وإنما بسبب تضارب سنوات حكم ملوك ذلك العصر، ما بين مصدرٍ وآخر، لأننا عادةً ما ننسب الأحداث إلى سنوات حكم هؤلاء الحكام، فإننا سوف نقع في مطبٍ تضارب تحديد زمان حدوث أي حدث منهم، فمثلاً: عندما نقول إن معركة زاهي قد وقعت في السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م. فهذا يعني أن المعركة وقعت في سنة ١١٩٠ق.م، وبالتالي إذا كانت فلول معركة زاهي من شعوب البحر قد شاركت في الهجوم على أوغاريت، فإن دمار أوغاريت جاء بعد معركة زاهي، أي بعد العام ١١٩٠ق.م. أما إذا كان سقوط أوغاريت قبل معركة زاهي، ولم تشارك الفلول فيه، فهذا يعني أنها حدثت ما قبل العام ١١٩٠ق.م. وربما كان ما بين ١١٩٤ - ١١٩١ق.م، هذا كلُّه إذا كنَّا متفقين على زمن حكم رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م الذي أصلاً غير متفقٍ عليه ما بين مصدرٍ وآخر؟!.

أما عن سقوط أوغاريت، فيبدو أن شعوب البحر التي كانت قد احتلت قبرص، كانت قد تقدمت إلى أقرب مكان من سواحل أمورو، أي سواحل بلاد الشام، وعلى الأغلب جنوب أوغاريت، حيث أقامت لها جسراً عسكرياً على هذه السواحل، في الوقت الذي كانت فيه قوات وأسطول أوغاريت الحربية تحاول مساعدة القوات الحثية في عاصمتها حاتوشا، فقد استغلَّ قادة جيوش البحر انشغال أسطول وقوات أوغاريت الحربية، في مساعدة حاتوشا في قتال الفرع الآخر من جيوش قبائل البحر، فقادت شعوب البحر بإنزال قواتٍ بحرية لها على سواحل أمورو، ومن ثمَّ وصلت هذه الجيوش إلى أوغاريت واحتلتها، بعد حصارها برياً وبحرياً، وقد أحرق المتصرون البيوت والقصور، وسرقوا ونهبوا ما وجدوه في أوغاريت، ومنذ ذلك التاريخ، وعلى الأغلب لم تقم قائمة لهذه المدينة العريقة بالحضارة^(١).

وييمكن أن تكون هذه القوات التي دمَّرت المدينة بعد نزولها على شواطئ أمورو، هي التي دمَّرَ فرعٌ منها أمورو،

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٩٧.

أو لربما دمرتها بعدما دمّرت أوغاريت، أو قبلها بوقت قصير، وهي القوات نفسها التي كان يتساءل عنها (برصو) الذي أرسل الرسالة ٨٦ (Ugaritica v,115, Rs 20.162) إلى ملك أوغاريت، والتي ذكرناها في بحث سقوط مملكة أمورو، وقد كان قد تساءل فيها عن تحركات من سَاهِم بالاعداء، وطلب من ملك أوغاريت إخباره عن تحركاتهم.

وهنا نستطيع أن نتخيل ما حدث على وجه التقرير، فقد احتلت شعوب البحر قبرص، ومن ثمَّ اتجه قسمٌ منها إلى حاتوشا، وبعدما اتجهت سفن أوغاريت وقواتها لتساعد الأسطول والقوات الحية في الدفاع عن حاتوشا، استغلت هذه القوات البحرية خلو أوغاريت من قواتها البحرية والبرية، فأقامت لها جسراً عسكرياً على السواحل الجنوبيَّة لأُوغاريت، ومن ثمَّ أطبقت على المدينة من البر والبحر، مُدْمِرَةً إياها. ولربما تكون القوات التي دمّرت أمورو، هي من القوات التي نزلت على البر، لذلك يمكن أن تكون قد دمّرت أمورو قبل أوغاريت، وعلى الأغلب بعد دمارها.

لكن أوغاريت لم تكن لقمة سائغة في يد شعوب البحر، فقد قاومت القطع البحريّة والبرية المتبقية في أوغاريت، وبعد قتالٍ مستميت، استطاعت القوات الأوغاريتية تدمير الأنساق الأولى لشعوب البحر، وإحراق بعض السفن المعادية، ومن ثم طلبت النجدة من قبرص، وإعلامها فيما إذا كانت هناك سفنٌ أخرى مُبِحَّرةٌ نحوها، لكن الغزاة، كانوا أقوى من أيّة دولةٍ مُنفردة من دول بلاد الشام والساحل السوري، فوقعَت الكارثة، وسقطت أوغاريت، وقد أثبتت التنقيبات الأثرية، أن المدينة أُحرقت، وفرَّ منها سكانها^(١)، ويبدو أن الرسائل التي كان مُرْمَعاً إرسالها إلى قبرص، لم تُرسَل، لأنها بقيت في الفرن بغية شَيْهَا، لأن المدينة كانت قد سقطت، وحتى قبرص، كانت قد سقطت قبلها. وبعدما سقطت أوغاريت، جعلت شعوب البحر من جزيرة أرواد قاعدة لقواتها، بغية الإغارة على ما تبقى من سواحل بلاد الشام.

(١) علي أبو عسّاف: نصوص أوغاريت - دراسات ونصوص قديمة (٣)، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ١٩٨٨ م، ص ١٩.

عمورابي في أيامه الأخيرة

على الرغم من الرُّقم الكثيرة التي عُثر عليها في أوغاريت، إلا أن الرُّقم التي عالجت الأيام والأشهر الأخيرة من حياة المدينة، وحياة ملكها عمورابي، تكاد تكون معروفة، وهذا ما يدلُّ على أن سقوط المدينة، كان مفاجئاً، إذ لم يتسع لكتاب «مؤرخي» المدينة، تدوين مجريات الأيام الأخيرة، في هذه المدينة، ونحن نكاد نكون أمام صندوقٍ مغلقٍ، وظلامٍ دامسٍ، فيما يخصُّ سقوط المدينة، لو لا العثور على بعض الرُّقم التي عُثرَ عليها في فرن القصر، والتي قدمت لنا العديد من الرسائل، التي من خلالها نستطيع مقاربة الأحداث الأخيرة، ورسم صورةٍ تقريبية للأيام الأخيرة التي شهدتها هذه المدينة العاتمة بالسكنِ والسكنَان، فما هي قصة هذا الفرن المهم جدًا؟.

بينما كان (كلود شيفر) ينقبُ في المدينة، عثر على فرنٍ لطيخ ألواح الفخار^(١)، وكان هذا الكشف حدثاً مهماً، لأنَّه لم يُعثر في أيٍّ مكانٍ من الشرق الأدنى على فرنٍ مماثل له^(٢).

(١) وهو الفرن الواحد والسبعون.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٣.

وقد قدّم لنا هذا الفرن بلوحة الفخارية، والكتابات التي وجدت منقوشةً على هذه اللوحات، معلومات لا بأس بها^(١)، حول الرسائل التي كانت متبادلة بين عموري، وأخر ملوك الحثيين شوبيلو ليوما الثاني، وملك آلاشيا (قبرص)، وهنا سنفرد بعض الأسطر لتقديم بعضٍ من هذه الرسائل، ومن خلالها سندرك أهميتها في تقديم لوحة تقريبية عن آخر أيام أوغاريت، وماذا حدث فيها.

في رسالة كُتبت من الملك العظيم (ملك الحثيين)، إلى ملك أوغاريت، يطلب منه فيها الانتباه إلى الحبوب القادمة من بلاد موكيش (اللالخ)، والمنوي إرسالها إلى حاتوشة عبر ميناء (أورا)^(٢)، وقد ذُكر أن الموضوع عاجل جداً، «أي أنه قضية حياة أو موت»، وهذا ما كان قد ذكرناه سابقاً حول حدوث مجاعة في حاتوشة، فقد أصبحت أوغاريت مركزاً لتحويل المساعدات إليها.

(١) يُذكر أن الألواح الفخارية السومرية، والبابلية، والآشورية، والسورية عموماً، كانت تُعرض لحرارة الشمس فقط، انظر كتاب / نصوص أوغاريت / علي أبو عساف، ص ١٩٥ .

(٢) وهو ميناء بحري.

وهنالك ثلاث رسائل، تستحق عناء خاصة، وهي من فرن قصر أوغاريت، تُشير إلى أعداء، وتجهيزات سفنٍ وفرقٍ عسكرية ، أي إلى وضعٍ في غاية الخطورة، قد تكون وراءه شعوب البحر. ومن بين النصوص التي اكتشفت في أوغاريت عام ١٩٧٢ م والتي نُشرت في مجلة Ugaritica VIII هناك لوح يشير إلى (شيكالايو - Shikalayu) وهم إحدى مجموعات شعوب البحر (العدو) الذي لا يُذكر عادةً بالاسم في النصوص المتعلقة بذلك، والذي بناءً عليه، يمكن أن يُنسب إلى شعوب البحر^(١).

وفي رسالة موجَّهةٌ إلى عمورابي (ملك أوغاريت) من قبل إشووارو Eshuwarw الوجيه الكبير في مملكة آلاشيا (قبرص 20.18 RS) يُخبره فيها عن تحركاتِ أعداء هاجموا التوهم أنساً وسفناً من أوغاريت، ويستعدون الآن مع عشرين سفينه لاعتداءات جديدة.

(١) وقد قيل عن جماعة الشيكالايو، إنهم يعيشون على سفن ينهبون ويهاجمون المستوطنات الساحلية.

وتتحدث رسالة أخرى، أرسلها ملك آلاشيا نفسه (Rsl.1) عن سفن أعداء، وتوقع هجوم على مملكة أوغاريت^(١)، وينصح ملك آلاشيا - حليفه عمورابي - باتخاذ التدابير الاحتياطية التالية: عليه أن يُحصّن مُدنه بالأسوار، وأن يضع جنوده وعرباته الحربية خلفها، أي عليه أن يكون مستعداً للدفاع عن مدنته، بأية لحظة.

وفي رسالة مُرَسَّلة من قبل عمورابي إلى ملك آلاشيا (Rs20.238)، وقد خاطبه فيها بعبارة «أبي» ربما بسبب صغر سنها، ويعلمه فيها عن اقتراب السفن المعادية، وأن بعض المستوطنات قد تم تدميرها بالنيران^(٢).

كما وجد في فرن مطبخ القصر في أوغاريت، ومن بين الألواح، رسالة يأمر فيها «الملك - الشمس»^(٣) دون المقدمة

(١) على الرغم من أن سفن شعوب البحر لم تكن مجهزة بالكثير من المجدفين والمحاربين، إلا أن هذه السفن، كانت تعتمد على السرعة والمباغطة والتفوق في السلاح.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.

(٣) وهو اللقب الذي كان يُلقب به عادةً ملك حاتوشا.

المعادة والسلامات والتمنيات الطويلة، ملك أوغاريت عمورابي «اجمع ما عنْدَكَ، وابعث به إلَيَّ»^(١).

وكان عمورابي قد أرسل سفنه إلى حاتوشة الإنقاذها، وترك أوغاريت خالية من السفن والقوات العسكرية، ففي رسالة مُرسَلةٍ من حاتوشة، يطلب كاتبها من ملك أوغاريت تجهيز وإرسال ١٥٠ سفينه. فيما تتحدث رسالة أخرى، أرسلها شوبيلو ليوماً الثاني إلى عمورابي، والتي طلب من خلاها مساعدته ضد العدو الذي يهدد بلاده، وضد كارثة الجوع^(٢).

وفي رسالة أخرى أيضاً، ومرسَلةٍ على الأغلب من ملك الحثيين، إلى عمورابي، يقول فيها: «سُفْنَكَ، وأنتَ عَلَيْهَا، تعالِي لِمَقَابِلَةِ (الشمس) سِيدَكَ» وقد وعده مقابل ذلك بكمية كبيرة من الذهب والفضة.

كما نجد في رسالة موجهة من حاكم جزيرة قبرص، إلى ملك أوغاريت عمورابي، يشكوا فيها (استنكاراً) قيام بحرارة

(١) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٤٩.

أوغاريتين، كانوا راسين في قبرص، بتسليم سفنهم إلى عدوٌ (غير محدد)، في دلالةٍ واضحة على «خيانتهم» لمدينتهم. فيما نجد في رسالة أخرى موجهة من ملك قبرص - يبدو أنها جاءت ردًا على رسالة سابقة - إلى عمورابي ملك أوغاريت، أجابه فيها، بقوله: «ما كَتَبْتُ لِي: شوهدت سفن في البحر، حتى لو لم يكن ذلك صحيحاً، ابق حازماً، فيما يختص بك، أين هم إذن جنودك وعرباتك؟... أليست بالقرب منك؟... إن لم يكن الأمر كذلك، فما الذي يجعلك تundo خلف العدو؟... احم مُدنك بالأسوار، أدخل إليها جنودك وعرباتك، وانتظر العدو بحذر...»^(١).

كما نوردُ رسالة مُرسلة من عمورابي إلى ملك آلاسيا (قبرص) والتي تقول ترجمتها: «وصلت سفن الأعداء إلى بلادي، ومن ثم أحرقوا مدنى، وسبوا دماراً كبيراً، ألا يعرف والدي أن جنودي موجودون في بلاد خطى^(٢)، وأن سفني بعيدة؟... عندما تظهر سفن عدوة مرة أخرى، أرسل لي الخبر بأية طريقة...»^(٣).

(١) قاسم الشوّاف: أخبار، مرجع سابق، ص ٨١، ٨٢.

(٢) أي بلاد حتى.

(٣) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٥٠.

ويبدو أن عموري، قد توجَّه أيضًا إلى ملك كركميش (جرابلس) تلميٍّ تيشوب أو ربما ابنه كوزي تشبُّب، حتى آخر لحظةٍ في حياة المدينة، على أمل تلقي المساعدات والنجدة منه^(١). ونجد في رسالة أخرى، يبدو أنها من مجھول، إلى ملك أوغاريت، وقد وجدت في فرن القصر السالف الذكر، تقول: «أنا هو حارس حياتك، ولن أتخلى عن واجبي هذا، عليك تجهيز مئة وخمسين سفينه».

ومن الرسائل التي وجهها ملك أوغاريت - ويبدو أن الأيس كان قد نال منه كثيراً - إلى ملك قبرص، وكأنها جاءت بعد فوات الأوان، يقول فيها: «أبي، أبي، ها هي سفن العدو، وقد وصلت، وأحرقت بالنار مدینتي، خربت وارتکبت سوءاً في بلادي... أبي لا يعلم أن جنودي وعرباتي هي في البلد الحسي، وجميع سفني، هي في منطقة (ليسيما)^(٢) ولم تعد بعد إلى

(١) جاك فرو: علاقات أوغاريت الدولية في نهاية عصر البرونز، مقالة في مجلة المعرفة السورية، ت. موسى ديب الخوري، العدد ٥٦٦، م ٢٠١٠، ص ٣٨.

(٢) منطقة تقع في جنوب غرب آسيا الصغرى، وهي قرية من الساحل.

حتى الآن... وهكذا فإن البلد متربوك لمصيره، فليعلم ذلك أبي من الآن فصاعداً، نعم، سفن عدوة أخرى في الأفق، أعلمني بذلك بطريقة ما»^(١)، فقد كان جنود أوغاريت في بلاد الحثيين، أي أنهم كانوا في خدمة السيد الأعلى، بينما كانت سفنه في بلاد (لوكا)، وهكذا كانت مملكة أوغاريت^(٢) بلا مدافع عنها.

وهنا نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم جداً: هل سقطت أوغاريت قبل قبرص؟ وذلك بناءً على ما ورد في النصوص (الرسائل) السابقة، وإذا كان هذا صحيحاً، فهو ينافق ما قدمناه سابقاً. وهنا يتضح التساؤل التالي: لو كانت هذه الرسائل تُعبّر عن واقع الحال، فلماذا وجدَ أغلبها في فرن القصر في أوغاريت؟... ولماذا لم تصل إلى قبرص إذن؟.

لا نستطيع، والحقيقة هذه، تفسير كل هذه التساؤلات، وذلك لغياب التاريخ الصحيح لها، لكننا نستطيع تقدير ما حدث على أن رسائل قبرص إلى أوغاريت قد أُرسِلت قبل سقوطها، أما

(١) قاسم الشوّاف: مرجع سابق، ص ٨١، ٨٢.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٤.

رسائل أوغاريت، والتي يبدو أنها تأخرت، فلم تُرسل في
أغلبها، بل بقى في فرن طبخ اللويحات في قصر أوغاريت،
وهنا نقف عاجزين عن توضيح هذه الإشكالية، عسى أن نجد
في قادم الأيام والاكتشافات، ما يُجيئ هذا الغموض، ويُظهرُ
الحقيقة كاملةً، والتي لا نملك منها إلا أن أوغاريت وقبرص،
وحسب كل ما سبق، قد دُمِّرتا على يد شعوب البحر.

أوغاريت في أيامها الأخيرة

يبدو أن الأوغاريتين، وبعد أن استطاع ما تبقى لديهم
من سفنٍ وجنودٍ، تدمير الموجات الأولى من هذه الجموع
التي تهدف إلى دمار المدينة، أدركوا أن المدينة ساقطة لا محالة
بيد الأعداء المُغirين من كل حدبٍ وصوبٍ، فما كان
أمامهم، وفي ظروف كهذه، إلا اللجوء إلى معبد بعل
(حامي المدينة) عبر ابتهال له لحماية المدينة، بعدما فشلت كل
السبل في حمايتها.

ابتهال أوغاريت الأخير للإله بعل لحماية المدينة، والذي لم
يُجِد نفعاً، وخاصة الأسطر (٣٦ - ٢٦) من لوحة (الابتهاال)،

وهو جزء من لوحٍ تُشير إلى الطقوس الواجب إقامتها تكريراً
لله بعل:

«إذا هاجم عدوٌ قوي أبوابكم
و(هاجم) مقدامُّ أسواركم
فَنَخُوا بعَلَّاً

ارفعوا أنظاركم

أي بعل، أبعد القويَّ

عن أبوابنا

والتقدامَ عن أسوارنا

ثوراً أيها الإله

بعل سوف نخصص

ونذرًا يا بعل

(سوف نُقدِّم، ثوراً (ذكراً)

يا بعل سوف نخصص

وذبيحة يا بعل، سوف نُقدِّم

وليمة نذرية، أي بعل
 سوف تُقدّم
 إلى مقرّ بعل، سوف نصعد
 الطرق نحو معبد بعل
 سوف نسلك
 ويستجيب بعل لصلاتكم
 إنه سَيُسعد القويَّ عن أبوابكم
 والمِقدامَ عن أسواركم...»^(١).
 وقد تؤكّد هذه المواد المكتوبة، من الفترة الأخيرة من حياة
 مملكة أوغاريت، الفرضية التي تقول: إن العدو المذكور في
 النصوص، كان مسؤولاً عن التدمير النهائي للمدينة، وفقد
 عموري آخر ملوك أوغاريت حياته أو عرشه فقط، خلال
 الكارثة، ودُمِّرت في الوقت نفسه تقريباً مستوطنة وقصور رأس
 ابن هانئ التابعة لأوغاريت أيضاً^(٢).

(١) قاسم الشوّاف: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٤.

لقد قام الغزاة بتدمير وإحراق ونهب أجمل وأغنى قصور الشرق الأوسط، كما أنهم تسبّبوا بانهيار أجمل مدينة في منطقة الشرق العربي القديم، تلك المدينة التي كانت ذات كثافة سكانية أعلى من جميع المدن الأخرى، لقد نهب هؤلاء الغزاة القصر الملكي بأكمله، ولكن الأشياء القليلة التي تركوها تُنبئ عن عزّ وازدهار أوغاريت، فخر ساحل المتوسط والعالم القديم^(١). لكن، وفي حين غادر سكان أوغاريت بيوتهم بسرعة، ولم يعودوا إليها بعد ذلك، أُعيد استيطان رأس ابن هانيء بعد الكارثة بوقت قصير، ربما من قبل الغزاة أنفسهم^(٢)، ففي هذا المكان يتجلّى للمرء من خلال أطلاله المتبقية، أن حريقاً مُخيّفاً قد دمّر المدينة في الوقت نفسه الذي دمّر فيه مدينة أوغاريت، وقد تم العثور على هذه الأطلال من منشآت يُقال: بأن بانيها هو فريق كان يؤلف جزءاً من شعوب البحر، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نجزم، ما إذا كانت عودة هذه الشعوب إلى رأس ابن هانيء من جديد، قد تمت بصورة فجائية، لكن التحريرات والتنقيبات الجارية في موقع

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٥١.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٤.

كثيرة، إضافة إلى موقع ابن هانئ، مثل رأس البسيط، قد بدأت توضح أنه: إذا كانت الفئات الاجتماعية الحاكمة في أوغاريت، قد زالت نهائياً من الوجود، وزالت معها الكتابة، فإن المنطقة لم تخُل من السكان الذين برزت أجيالهم المتعاقبة الأولى أو الثانية إلى الوجود ثانية، وقد بدا هنا جلياً، وخاصة في صناعة الخزف، الذي كانت منه تلك الأواني ذات الأشكال والرسوم التي تؤكد أن شعوب البحر الغازية قد ذابت في بوتقة الشعب المقيم في منطقة أوغاريت، وإن العلاقات الدولية مع قبرص لم تقطع أبداً، وإن ازدهار تجارة حوض البحر الأبيض المتوسط من جديد خلال الألف الأول قبل الميلاد، قد لاقى في المنطقة المذكورة أرضاً خصبة، جرى إعدادها إعداداً كاملاً^(١).

وفي نحو العام ألف قبل الميلاد، جرت محاولة جديدة لبناء أوغاريت، لكنها قد باءت بالفشل، كذلك بُنيت مستوطنة صغيرة على هذا التل (الخراب) نحو القرن السادس أو السابع

(١) البعثة الفرنسية المنقبة: رأس الشمرة ١٩٢٩ - ١٩٧٩ / ت. فهمي الدالي، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ١٩٨٠، ص ٩٧، ٩٨، ٩٩.

قبل الميلاد لكنها اندثرت بسرعة، كذلك كانت محاولة التجار اليونانيين لبناء ميناءً جديداً في المينا البيضا نحو القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد، وكانت فاشلة أيضاً، وقد عُثر في الطبقات العليا من هذا التل على بعض الآثار التي تركتها جحافل الروم التي حطّت لمدة قصيرة، وفيها بعد عُثر على بعض آثار وبقايا مستوطنات عربية وتركية على هذا التل، ويبقى الثابت أن المدينة (الدولة) أوغاريت، قد وجدت نهايتها في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد^(١).

زلزال يدمر أوغاريت

إضافة لما قدمناه سابقاً في كل هذا البحث الذي تناول سقوط أوغاريت على يد شعوب البحر، ظهرت نظريات أخرى تتحدث عن نهايات مختلفة لهذه المدينة.

ففي حين يذهب البعض إلى أن المدينة لم تُدمر على يد شعوب البحر، مع الاعتراف بوجود هذه الغزوات، مُبررين رأيهم هذا، أنه كان يعيش في أوغاريت أفراد يتبعون إلى مناطق

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٩٧.

جاءت منها شعوب البحر، وقد استطاعت أن تتفاوض مع هذه الشعوب، ونجحت في أن تبقى في معزل عن كُلّ نزاع يقع بينها وبين الشعوب المذكورة، لذلك يلجمون إلى الكوارث الطبيعية لتبرير دمار هذه المدينة، وهنا تبرز النظرية الثانية^(١).

تقول هذه النظرية: إنه وبناءً على التنقيبات التي أجريت في رأس الشمرة، تبيّن أن زلزالاً أصاب المدينة نحو عام ١٢٠٠ ق.م وقد ترافقت الزلزلة الكبرى فيه مع حرائق هائلة، فالرماد وأثار الحريق تنتشر في كل مكان في أوغاريت، ولا بدّ يومئذ، أن هَجَرَ من بقي على قيد الحياة من الناس، فلا أثر لعودة الحياة فوق طبقة الحريق والأنقاض، غير ما راكمته الدهور منأتربة ورمال، مستندين في رأيهم إلى الساحل السوري كان يتعرض باستمرار للهزات والزلزال في تلك الآونة^(٢)، وأنه من غير المقبول تفسير بقاء المدينة خالية وعدم

(١) البعثة الفرنسية المنقبة: مرجع سابق، ص ٩٨.

(٢) هورست كلينكل: آثار سورية القديمة - آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥ م، ص ٤٧، ٤٨.

بنائها بعد ذلك، إلا إذا كانت المزة الأرضية قد غيرت شروط الحياة في منطقة أوغاريت، لأن المدن كانت تُبنى من جديد وبسرعة زائدة نسبياً، بعد تعرضها لاحتلال من قبل الأعداء، أو كوارث أخرى، أما في أوغاريت، فربما كانت البنية التكتونية للمنطقة قد تأثرت بشكلٍ كبير، وبخاصة الميناء، أو أن الظروف العامة لكسب الرزق تغيرت لفترة طويلة^(١).

وربما يكون كلود شيفر (مُكتشف أوغاريت) من أشد مؤيدي أن أوغاريت دُمرت بوساطة زلزالٍ قوي، إذ يقول: «إنَّ نهاية أوغاريت جاءت بعد عدة سنوات من هذا الغزو (شعوب البحر) عبر زلزالٍ عنيف أصاب المدينة وتسبَّب في اندلاع الحرائق، التي أكلت المدينة ومحاتوياها» وكدليل على ذلك، فإن شيفر يسوق بعض الأدلة، ومنها: الطبقة الترابية الصفراء التي غطَّت حي الميناء بمساحة عدة أمتار، التي يعتقد فيها آثار وبقايا النيران التي أكلت المدينة، ويضيف كلود شيفر إلى الشعر بيتاً، عندما يعطي سبباً عن عدم دمار المدينة على يد شعوب البحر،

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ١٦٥.

إذ يقول: «إن حكام المدينة استطاعوا عبر الاستسلام والخضوع ودفع الكثير من الذهب، إقناع الغزاة البرابرة من شعوب البحر، بعدم احتلال أوغاريت» وكدليل آخر على رأيه، يأتي شيفر بأحد «اللوح العمارنة» التي تعود إلى عهد رعمسيس الثالث، حيث لم يذكر من هذه القائمة اسم أوغاريت ضمن التقرير عن المدن التي احتلتها شعوب البحر الغازية، إذ يعتقد شيفر أن سكان أوغاريت، قد غادروا فراراً إثر الزلزال الذي أصاب المدينة، التي تعرضت فيها سبق لاضطرابات الحرب، ولسنوات من الجفاف، وعدم سقوط الأمطار...^(١).

أما النظرية الثالثة: والتي يقول بها الدكتور أحمد داؤود، الذي يرفض أصلاً فكرة شعوب البحر، إذ يقول في كتابه الموسم بـ / تاريخ سوريا القديم (تصحيح وتحري) الصفحة ٧٢٤/: «وبالطبع لم يكن أمام أولئك المؤرخين إلا أن يفترضوا أن قبائل تجتاح سواحل المتوسط المتدة من شمال مرسين إلى مصر، لا يمكن أن تأتي إلا من البحر، فأطلقوا عليها اسم شعوب البحر» وبما أن د.

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٢١٢.

أحمد داود يبني نظرية (أن كل الأحداث التي نقرؤها في التاريخ، قد جاءت من غرب شبه جزيرة العرب)، فإنه يرفض - بالطبع - نظرية دمار أوغاريت على يد شعوب البحر، لكنه وفي مكان آخر من كتابه سالف الذكر، يعود ليقول في الصفحة ٧٣٢ ما يلي: «أما مملكة أوغاريت التي دمرتها شعوب البحر (الفلسطينيون» فليست أوغاريت المتوسطية، وإنما هي «أغرتا» (هـ - جرتا - حجرة) في جبال زهران، حيث تبع مياه وادي حجرة المنحدرة غرباً إلى البحر الأحمر...»^(١).

ولمناقشة هذه الآراء مجتمعةً، والتي أتمنى ألا أفهم منها أنها أني أدافع عن نظرية دمار أوغاريت على يد شعوب البحر، وإنما محاولاً معرفة كنه الحقيقة، أقول التالي: إن وجود جاليات تعيش في أوغاريت من منشأ شعوب البحر، هي من أقنعت تلك الشعوب بالعدول عن دمار المدينة والرحيل عنها، لا يقبله العقل، فال التاريخ يقول لنا، إن الشعوب الغازية التي امتهنت القتل والتدمير، ودمّرت مملكة ميكييني وكريت وقبرص، بكل ما لهذه المدن من

(١) أحمد داود: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ٧٢٤، ٧٣٢.

علاقات قربي (عرقية) ومنشأ واحد، لن تنجو من كوارث هذه الشعوب المُتحركة التي لا يربط بينها سوى الرغبة في القتل والاستقرار على أرض التحضر، فهي لن تأخذ بكل تأكيد بكل الحاليات الموجودة في أوغاريت، ولنا بها فعلته غزوات الفرنجة (الصلبية) وخاصة الحملة الأولى (حملة الفقراء) بسكان مدن وقرى الأوروبيين المسيحيين، وفي مدن وقرى بيزنطة المسيحية أيضاً، من نهبٍ وسلبٍ وقتلٍ، وذلك أثناء سيرهم باتجاه بلادنا، فكيف سترحم معرة النعمان - مثلاً - لوجود جالية أوروبية مسيحية فيها؟!، وهنا يطُلُّ هذا الرأي الافتراضي أصلاً.

أما عن الرأي القائل: إنَّ أوغاريت قد دُمرت بزلزال كبير، فهذا أمر فيه الكثير من الريبة والشك أيضاً، لأنَّ معرفة ما إذا كانت تلك المنطقة، قد تعرضت لزلزال في تلك الآونة، ليس يبالغ الصعوبة - منطقياً - أمام العلماء بعلم الأرض (الجيولوجيا) أو حتى علماء الآثار، لأنَّ الدمار الذي عادة ما ينجم عن الزلازل، أعتقد أنه لا يصعب تمييزه عن الدمار بفعل البشر، هذا إذا ما كانت العين الفاحصة خيرةً.

ثم إذا كان سبب دمار أو غاريت هو زلزال، والزلزال الذي يقضي عادة على المدن الكبرى، وينهي الحياة فيها بالكامل - كما حصل في أوغاريت - هو زلزال كبير جدًا ربما زاد في قوته عن الـ 7.5 درجة على مقياس ريختر على الأقل، وإذا ما كُنا نتحدث عن مدينة ساحلية كأوغاريت، فمن الطبيعي أن تتشكل أمواج (تسونامي) التي عادة ما تترك آثارها على مدن الساحل، مثل رأس ابن هانئ ورأس البسيط وغيرها، فهل دلت آثار تلك المناطق على عمرٍ بلياه عمَّ المنطقة إبان خراب أوغاريت؟؟.

أما عن مقوله أنه من غير المقبول أن تقضي هجمات شعوب البحر أو أية جيوش غازية على مدينة، وتنهي الحياة فيها بالكامل، إلى يوم الكشف عنها، فهو أمر غير مقبول أيضًا، فهناك العديد من المدن في التاريخ، كانت نهايتها التامة على يد غزوٍ دمرتها، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، ولم يتبنَ أحد دمارها بوساطة زلزال كبير، نذكر أمثلة عنها: مدينة ماري التي دمرها حمورابي البابلي 1792 - 1750 ق.م. عام 1759 ق.م. ولم تقم لها قائمة بعد ذلك الدمار، ونذكر آلاخ التي دُمرت على يد شعوب البحر ولم تقم لها أيضًا قائمة بعد ذلك، ولم يدع

أحد أن زلزالاً قد دمرها، ونذكر مدينة قرطاجة العظيمة، التي حَرَثَ غُزاتها الرومان أرضاً لها بالملح لمنع أهلها من العودة إليها - كدليل على قيام الغزاة أحياناً، بكل ما يمكن أن يمنع المدينة التي دمّروها من العودة للحياة ثانية - وقد نجحوا بذلك، فهي - أي قرطاجة - لم تُبْنَ من جديد على يد أبنائها بل على يد غزاتها من الرومان، فهل كان الرومان أرحم من شعوب البحر؟، ثم أين مدينة أكاد؟، وأين واشوكاني عاصمة الميتانيين؟، وهل بقيت حاتوشة مستمرةً بعد دمارها على يد شعوب البحر، أم أن زلزالاً آخر قد أصابها أيضاً!!!... والقائمة تطول...

وسواء أكانت أوغاريت، قد دُمِّرت على يد شعوب البحر، أم بفعل كارثة طبيعية، فإنها غابت عن صفحات التاريخ، بعلومها، ومعارفها، وألقها، وأساطيرها، وجمايل نسائها، وعظمة أبجديتها، وموسيقاها الأولى... إلى أن عادت إلينا مجدداً، لتعزز بجماليها، وعصريتها، أعظم متاحف التاريخ في العالم أجمع.

خامساً: غزو مملكة قادش

يُعرَفُ موقع قادش الحالي باسم تل النبي مندو، الواقع على بعد نحو خمسةٍ وعشرين كيلو متراً جنوب غربي مدينة حمص الحالية، وقد استمدَّ أهميته من كونه قريباً من جبال لبنان، ومن البحر المتوسط، ومن تقاطع طرق التجارة والمواصلات الذاهبة من دمشق إلى حلب، ومن جبيل إلى تدمر وببلاد الرافدين.

وقد كان أمير قادش قد تحالف مع الأمراء السوريين الذين خاضوا معركة مجيدو ضد ملك مصر تحتمس الثالث - ١٤٦٨ ق.م^(١)، كما وقفت قادش مع الحثيين في معركة قادش ١٤٣٦ ق.م^(٢). كما وقفت قادش مع الحثيين في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م ضد المصريين، أي أن المعركة نفسها جرت في منطقة تابعة للمملكة، ويبعدو أن قادش قد دُمِّرت بشكلٍ نهائي خلال الفترة التي وصلت فيها شعوب البحر إلى وسط سورية، أي في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد^(٣).

(١) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ١٧٥.

سادساً: غزو صيدا وصور وباقى الساحل السورى

تُجمِع غالبية المراجع على أن مدينتي صيدا وصور، قد نالتا نصيبهما من جرَأ مرور شعوب البحر، إذ دُمِرت المديستان، لكن السكن فيها لم ينقطع كما انقطع في أوغاريت والالاخ، فقد أعاد أبناء المنطقة بناءهما مجدداً، ويذكر (يولى برковيتش تسركين) في كتابه الموسوم بـ /الحضارة الفينيقية في إسبانيا/ أن قوماً يسمون بـ (الفيليستميين)^(١)، أتوا من عسقلان، وهدموا صيدون، التي أُعيد بناؤها فيما بعد، ويرجح البعض أحياناً، أن تكون صور قد هدمت أيضاً نتيجة هجوم (الفيليستميين) وذلك على حدّ ما يقول (تروغ - جوستين) عن بناء هذه المدينة على يد الصيدونيين، الذين هاجروا إثر الهجوم العسقلاني، وإذا كان انتقال قسم من الصيدونيين إلى صور، قد حصل بعد هجوم (الفيليستميين) فإن ذلك لا بدّ من أن يؤدي إلى تقوية صور، لا إلى إدخال المدينة في فلك الدولة الصيدونية، كما يدعى أولبريت، وما كان نشاط (الفيليستميين) البلست والتىكير الذين استوطنوا فلسطين ليعيق نشاط الصوريين^(٢).

(١) هم أنفسهم البلست السالفو الذكر.

(٢) يولي برковيتش تسركين: مرجع سابق، ص ٢٥، ٢٦.

وقد أكَّد سباتينو موسكاتي في كتابه الموسوم بـ /الحضارة الفينيقية/ مُعتمدًا على ما قاله جوستين، أنه: «كان لغزوات شعوب البحر نحو ١٢٠٠ ق.م أثُرٌ كبيِّرٌ في دمار كُلٌّ من أرواد وصيدا، وهذا ما أثبتته الاكتشافات الأركيولوجية (الأثرية)»^(١)، وهذا ما أيدَه أيضًا الباحث فرانسوا دوكريه في كتابه الموسوم بـ /قرطاجة الحضارة والتاريخ/ ففي معرض ذكره لغزوات شعوب البحر يقول: «وقد اجتاحت هذه الغزوات ساحل كنعان اجتياحًا قاسياً حتى إن مُدنًا كنعانية من أمثال صيدا، خُربَت ودُمِّرت وأُشعلت فيها النيران»^(٢).

كما يذكر المؤرخ جواد بولس في كتابه الموسوم بـ /لبنان والبلدان المجاورة/ أن: «صور وصيدا اللتين غزتهما شعوب البحر والشمال، ودمرتها، ما لبثتا أن نهضتا...» وقد ذكر أن هاتين المدينتين لم تنهضا قبل بضع عشرات من السنين^(٣).

(١) سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ت. نهاد خياطة، دار العربي للنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٩.

(٢) فرانسوا دوكريه: مرجع سابق، ص ١٣.

(٣) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٠٩، ١٢٢.

وأمام هذه الجمهرة من المؤيددين لدمار هاتين المديتين، يأتي هورست كلينغل ليرفض دمارهما، إذ يقول: «أما المدن الرئيسية على الساحل الجنوبي مثل جيبل وصيادا وصور وصاربإتا، فيبدو أنها لم تُعَانِ أبداً من تحركات شعوب البحر، واستمرت في البقاء، وهذا ما تؤيده قصة وينامون Wen – Amon (كاهن الإله آمون في طيبة في مصر) إذ تُظْهِرُهُم كحكام مستقلين سياسياً عن مصر^(١)، وقد أَيَّدَهُ عيد مرعي ما ذكره هورست كلينغل، من أن جيبل لم تُعَانِ من غزوات شعوب البحر، ويظهر حُكمها مستقلاً عن مصر^(٢).

سابعاً: مصير باقي الساحل السوري

إثر الخراب الذي عانت منه معظم مدن الساحل السوري، بسبب غزوات شعوب البحر، فقد دُمِّرت الأرشيفات السورية، التي أوضحت لنا التاريخ السياسي، للعصر البرونزي المتأخر، وحتى الآن لا توجد شواهد كتابية يمكن مقارنتها من القرنين الأخيرين من الألف الثاني قبل الميلاد، وقد اتَّسعت نُدرة المعلومات

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

المكتوبة إلى تسمية هذه الفترة بـ (العصر المظلم) فقد دُمِّرت أوغاريت ومستوطنة رأس ابن هاني، لكنها سُكِّنت من جديد بشكلٍ جزئي من قِبَل وافدين جدد، وتشير الشواهد الأثرية المكتشفة في تل سوكاس (شوكسي Shuksi القديمة) وفي تل الكزل (صومورا) وفي تل أرقا (إرقاتا - عرقاتا) الساحلية، إلى انقطاع في استمرار الاستيطان، فقد دُمِّر القصر في كامد اللوز (كوميدي) نحو ١٢٠٠ / ١١٠٠ ق.م^(١)، وكذلك منطقة البقاع.

وسواء دُمِّرت صيدا وصور وجبيل، أم لم تُدْمَر، إلا أنها استمرت في البقاء، فقد حُكمت من قِبَل حكام محليين مستقلين عن الحكم في مصر^(٢).

وفي جنوب الكرمل، احتلَّ البلست الشواطئ والموانئ الفلسطينية، وجعلوا منها موطنًا لهم، فيما قامت في جنوب صور جماعة من القراضنة التيكير، بتعطيل الموانئ الساحلية لمدة طويلة من الزمن، وأخيرًا جاءت مجموعة كبيرة من اللاجئين

(١) المصدر نفسه: ص ٢٠٣، ٢٠٥.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

الكنعانيين، كان قد أجلأها الغزارة عن الشواطئ الفلسطينية والسورية الشمالية، فغصّت بها المدن اللبنانيّة، بعد إعادة إعمارها وسكنها، وقد تأزم وضعها الاقتصادي أكثر فأكثر، والذي كان بالأصل سيئاً، وقد كان لهذه الظروف السيئة التي عانت منها السواحل السورية، أن اتجه الفينيقيون (كنعانيو الشمال) نحو البحار البعيدة، مُدشنين بذلك سياسةً جديدةً في التوسيع الاقتصادي والبشري، الذي حملهم إلى عالم غربي البحر المتوسط، وحتى شواطئ الأطلسي الأوروبيّة (بريطانيا) والأفريقيّة^(١)، ولمَ لا الأمريكية!^(٢)

ويبدو جلياً أن تحركات شعوب البحر هذه، قد أثّرت بالتأكيد على المراكز الساحلية السورية، أمّا سورية الداخلية وبخاصة الأجزاء الشرقيّة، فقد بقيت دون مساسٍ من قبّل القادمين الجدد من جهة الغرب، غير أنها كانت مفتوحة لتوسيع الجماعات الآراميّة، التي تغلغلت داخل سورية حتى الجبال الساحليّة^(٣)، ومُشكّلة بدءاً من بداية الألف الأوّل قبل الميلاد إمارات ومالك متعددة.

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

ثامناً: مصير شعوب البحر

على الرغم من الضربة القاصمة التي وُجهت للشعوب البحرية المتحركة والقبائل المتحالفة معها في معركة زاهي وتشتيتهم في البلاد، إلا أن وجودهم لم ينتهِ بشكل كامل، وخاصة في آسيا الصغرى.

فبعد أن استعادت القوى المحلية أنفاسها، واستومنت الصدمة الأولى لهذه التحركات الهمجية، نشأت قوى جديدة استطاعت إبعاد هذه الشعوب عن المنطقة العربية.

فعلى الرغم من ضعف مصر على المستوى الخارجي، فقد انحصار السيطرة على ممتلكاتها في سوريا، إلا أنها كانت لا تزال قوية في مصر، فحافظت على حدودها الشرقية والغربية آمنةً، أما عمّا تبقى من شعوب البحر فيها، فقد استقروا فيها واندمجووا مع السكان الأصليين، وأما في بلاد الشام، فقد كان لظهور الآراميين وانتشارهم في بلاد الشام والرافدين، ومن ثمَ البدء بتشكيل ممالكهم مع دخول الألف الأول قبل الميلاد، والدخول في عصرٍ جديدٍ من الصراع الآشوري الآرامي.

وفي الساحل السوري وكما ذكرنا سابقاً، فقد تمكنت مدن صور وصيدا وجبيل... إلخ من استعادة قوتها، واتجاهها لغزو البحر المتوسط حضارياً (تجارياً)، حيث أقاموا العديد من المستعمرات على شواطئه الجنوبيه والشماليه، فيما اتجه ما تبقى من السلطة الحيثية إلى كركميش، التابعة أصلًا لهم، وقد مارسوا سلطتهم وجودهم فيها، وكانوا على درجة كافية من القوة.

إلا أن ما حدّ كثيراً ممّا تبقى من هذه القبائل المتحركة «البحرية» كان ظهور الدولة الآشورية الوسطى، وخاصة في عصر قوتها... والتي استطاعت القضاء الكامل عليهم، بمعنى استئصال شأفتهم، فلم يعد لهم ذكر في التاريخ، فقد استكانوا، ولجؤوا إلى المدّوء بعد هزائمهم المتواترة مع الآشوريين، فما الذي حدث وأدى إلى فنائهم؟ .

- ۲۲۲ -

الفصل السادس

شعوب البحري في مواجهة الآشوريين

ظهرت المملكة الآشورية الوسطى كقوة معتبرة في الشرق العربي القديم، على يد ملكها آشور أوباليط الأول I Assur – ubalit الأول ١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م الذي استطاع التحرر من نير مملكة حوري ميتاني، وإقامة علاقات ودية مع ملك مصر أمنحوتب الرابع (أختناتون) ومع ملك بابل الكاشي بورنا بورياش الثاني.

وقد استمرت قوة الدولة الآشورية بالتصاعد في عصر خلفاء آشور أوباليط الأول الكبار، أمثال أدد نيراري الأول ١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م وشلما نصر الأول ١٢٤٥ - ١٢٧٤ ق.م وتووكولي نينورتا الأول ١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م، ومن ثم دخلت الدولة في فترة قصيرة من الضعف دامت أقل من قرن، إلى أن عادت لعصر قوتها من جديد مع وصول تجارات بليسير الأول Tiklat – pilesser

I ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م الذي لم يكتفي بتوسيع حدود مملكته باتجاه الشمال والشرق، بل اتجه نحو سوريا أيضاً^(١).

كان تحجلاً بليسر الأول يتمتع بذكاء ومقدرة عسكرية فائقة، فقد قام أولاً بالقضاء على تحالف عسكري هدد حدوده الشمالية، ثم أخذ يوسع نفوذه في هذه المنطقة على حساب الملك الصغيرة، التي نشأت هناك بعد سقوط الإمبراطورية الحثية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

ففي سنة حكمه الأولى سار ضد قبائل الموشكى^(٢) Mushki الذين ينتمون إلى أصول (تراقية - فريجية)، والذين احتلوا بلاد آرزي و/or بورولومزي /، وانتشروا في بلاد كوموسخي في الأناضول شمال سوريا^(٣). ويقول عنهم المؤرخ طه باقر في كتابه

(١) عيد مرعي: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ١٨٤٨٥ .

(٢) الموشكى^(٢) Mushki، وهم العزة الأوروبيون من الفريجيين القادمين من تراس (ترacia) والذين عُرِفوا في وثائق الآشوريين بـ: موشكى، وهم موشو الذين ذكرهم هيرودوت، انظر تاريخ الوطن العربي - بلاد الشام - سوريا ولبنان وفلسطين والأردن / فيصل عبدالله، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٨ .

الموسوم بـ / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة/: إنهم جاؤوا من الأنجاء الشمالية من آسيا الصغرى، ويعرّفهم بأنهم الأفريجيون الوارد ذكرهم في المصادر الكلاسيكية^(١).

إن أسلاف شعب الموشكي لا يدعون لدينا مجالاً للشك في أنهم أحد الشعوب التي انخرطت في عملية الهجرة الكبيرة في آسيا الغربية، في أواخر الألف الثاني ق.م، وبعد أن نظم تجلات بليصر الأول عرباته الحربية وقواته من جديد، عبر جبال كشتياري ووصل إلى كومموخي، حيث أُلحق هزيمة بقوات الموشكي، التي كانت تتألف من عشرين ألف رجل بقيادة خمسة قادة^(٢)، وفي هذا الصدد يذكر تجلات بليصر في حولياته «أنَّ عشرين ألف موشكي الذينقطنوا في الأراضي الواقعة شمال غرب جبل طور عبدين، قد دخلوا بلاد آشور من حدودها الشمالية، ووصلوا حتى حوض دجلة الأعلى، وذلك

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الوجيز في تاريخ حضارة الرافدين، الجزء الأول، منشورات دار البيان ٥٣، بغداد، دار الثقافة، بيروت، ط ١٩٧٣م، ص ٤٨٩.

(٢) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

قبل خمسين سنة من حكمه» أي نحو ١١٦٧ ق.م، أي أنهم جاؤوا واحتلوا أرض «قدموخ» المجاورة لبلاد آشور من الشمال الغربي، التي كانت تُعدُّ من أطراف الدولة الآشورية.

كما ذكر تجلات بليصر الأول أنه اضطر أيضاً إلى القتال ضد قبائل الكاشا التي وصلت في تغلغلها إلى هذه المنطقة أيضاً^(١)، فيما يذكرهم البعض باسم (جاسجا - كاشكا - الكاز كاز) وقال إن آثارهم وُجدت على ضفاف الفرات^(٢)، وتذكر بعض الكتابات عن حرب تجلات بليصر الأول مع الموشكي فتقول: «إنه جعل الدماء تسيل في الوديان، وجمع رؤوس القتلى خارج المدن المعادية كأكوام القمح»، وبعد أن استولى على الغنائم والآلهة المعادية، ضمَّ إلى قواته ستة آلاف من عساكر الموشكي، وهؤلاء كانوا قد هربوا قبل بدء القتال وخضعوا له، وقد تابع تجلات بليصر الأول حملاته في السنوات التالية بشكل أكبر نحو الشمال والشمال الغربي في منطقة الإمبراطورية الحيثية،

(١) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٢) فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي - بلاد الشام، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

فتذكر كتاباتهُ أن القوات المعادية انتشرت أمام الزحف الآشوري «كالطيور على قمم الجبال العالية»^(١).

لا توجد آية مؤشرات على تدابير من قبل الآشوريين ضد الموشكي، طالما كان هؤلاء خلف جبل طور عبدين، وتدابير تحجات بليصر اللاحقة كانت لحماية الأمن الآشوري، ولن يُغدو عداً للنهب، إذ إن التدخل الآشوري بدأ فقط مع غزو «قدموخ».

من الواضح أن هذا الغزو كان يbedo بمثابة تهديد مباشر لبلاد آشور، إذ إن تحجات بليصر قام بهجوم معاكس وفوري، وهو يسجل أنه لم يُسرّج خيله كي يشنّ الهجوم، ما يعني أنه كان ينظر إلى الموقف بوصفه حالة طارئة لا تتحمل أي تأخير لأجل ترتيب الإجراءات التكتيكية المعتادة.

كان الهجوم الأول ناجحاً، فقد أسر ستة آلاف من جنود الموشكي المهزومين، وأسكنهم في المنطقة التي هاجموها بمثابة أتباع للدولة الآشورية، إضافة إلى إمكانية استخدامهم في مجال الإنتاج

(١) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

الزراعي، كما كان هؤلاء الأسرى مُغددين لأجل أغراض تجسسات
بليصر العسكرية، فقد زُودوه بـ ١٢٠ عربة، ويفرق من الخيل، مع
ما يستلزم ذلك من أصحاب المهارات المختلفة.

وقد ذهبت العملية الناجحة ضد الموسكي بتجسسات بليصر
الأول إلى أبعد من ذلك إذ وقف سكان قدموخ الأصليون، إلى
جانب الغزاة، وعبروا إلى ضفة دجلة اليسرى (الشمالية)
للانقضاض على الآشوريين من غابة تقع هناك، ما جعل تجسسات
بليصر الأول يطارد التمردين ويصطدم بشعب يدعى (رانجو)
وينتشر إلى الشمال من دجلة، ومن الواضح أنـ (رانجو) كانوا
يتكلمون اللغة الحورية، كما تدل على ذلك أسماء ملوكيهم، ويبدو
أن تسمية (رانجو) ذاتها ليست مصطلحاً عرقياً، بل كلمة حورية
تعني (شعب الجبل)، وبعد مناوشات ثانوية في جوار دجلة
المباشر، شنَّ تجسسات بليصر حملةً على أراضيـ (رانجو) في
العمق، ورغم أنه يشير إلى حرق المدن، وكسب الغنائم، فإن قلة
التفاصيل حول تسميات الأماكن، تجعل من الواضح أن ذلك لم
 يكن أكثر من هجوم استطلاعي.

لقد أسفرت عمليات تجلات بليصر الحازمة ضد الموشكي في قدموخ عن آثار انعكست على المناطق المجاورة، حيث كانت توجد مجموعات أخرى من الشعوب المُهَجَّرة، ويرد وصفٌ لإحدى هذه المجموعات بأنهم: «جنود مستاؤون أصلهم من أرض الحثيين» ما يعني ربما وجود مجموعات منظمة، انتقلت باتجاه الجنوب الشرقي، بعد تفكك الإمبراطورية الحثية.

كما يَرِدُ ذِكْرُ لشعب (الكاسكا - الكازكاز) السالف الذكر، المعروف بأنه كان يقطن على طول شواطئ البحر الأسود في عصر سابق، ويجب أن تكون مثل هذه الشعوب قد رَحَبَتْ كثيراً بفرصة قبولها ضمن رعايا دولة قوية مستقرة، فسلّمت أمرها لتدارير تجلات بليصر، الذي أعلن الجميع رعايا له. وهكذا بدأ يتكون التمازج العرقي الواسع للإمبراطورية الآشورية^(١)، وبعد ذلك جاء دور مناطق مملكة حوري - ميتاني.

هَجَّر تجلات بليصر الأول أربعة آلاف جندي من كشكبي وأورمي إلى داخل المنطقة الآشورية، ولكن رغم أخبار النصر، فقد

(١) هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ت. آحو يوسف، دار اليابع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٩٣، ٩٤.

مارس العدو مقاومة، ويظهر ذلك من ذكر ضرورة فتح مناطق كان الجيش الآشوري قد احتلها سابقاً^(١)، كما اصطدم تحجات بليصر الأول أثناء حروبه في المناطق الجبلية الشمالية، بيلدان النيريين^(٢)، أي في الجبال الأرمنية، التي كانت الشعوب الحورية قد انسحبت إليها مع الموشكين بين جماعات الشعوب المتجولة.

انتصر تحجات بليصر الأول على الأمراء المحليين في معارك عديدة، ووصل حتى البحر الأسود، كما أنه أكره مالاتيا في بلاد (حانيلكلبات) على تقديم الجزية، وتمجد رسوم منقوشة وكتابة على جدار صخري في يونجالو بالقرب من (ميلاز - جارد) هذا النصر الكبير، الذي فتح بنفس الوقت للإمبراطورية الآشورية الطريق إلى شمال بلاد الشام^(٣).

وهكذا نكون قد وصلنا إلى نهاية ما تبقى من هذه الشعوب المتحركة، التي انطلقت من شواطئ شبه جزيرة البلقان، ومن جزر بحر إيجي، نحو سواحل بلاد الشام وأسيا الصغرى، وشمال أفريقيا،

(١) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٩.

(٢) أي بلاد نائرى - البحر الأعلى - بحيرة فان.

(٣) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٨٣.

فأدى وصوّلها إلى هذه الشواطئ، إلى تحرك قبائل أخرى، تحالفت معها في القضاء على العديد من المراكز الحضارية، وعلى رأسها العاصمة الحثية حاتوشا، وعروض الشاطئ السوري أوغاريت، إلا أن هذه القبائل، وعلى الرغم من الضربة القاصمة التي وجهها لها رعمسيس الثالث في معركة زاهي، وبالرغم من تشردّها واندماجها بين شعوب المنطقة، فاستكانت، إلى أن تحركت من جديد في أواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد، في شمال، وشمال شرق مناطق الدولة الآشورية الوسطى، ^{مستغلةً} فترة الضعف التي مرّت بها، ما بين عامي ١٢٠٠ - ١١٢٠ ق.م تقريباً، فتمادت في تقدمها نحو الجنوب، أي في أراضي الدولة الآشورية الوسطى، إلى أن وصل تحالفات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م بجبرونه وعقربيته العسكرية، فاستطاع إخضاع هذه الشعوب بحد السيف، فقتل من قتل، وهجر من هجر، ومن بقي منهم فقد امتزج مع السكان الأصليين، وأصبح برضاء منه، أم بغير رضا، من أفراد وسكان الدولة الآشورية الوسطى في عصر ازدهارها وقوتها.

الفصل السابع

نتائج غزوات شعوب البحر

إن الباحث في التاريخ، ومن خلال تبعه للعلاقات بين الدول، والصراعات الكبرى، والتي دائمًا يلعب الجانب الاقتصادي الدور الأكبر بحدها، وإن ورد حدوثها على صفحات التاريخ أحياناً لأسباب مختلفة (دينية - عرقية - عاطفية - شخصية - صراع آلهة... إلخ) إلا أنها تبقى مجرد ذرائع تخفى وراءها السبب الحقيقي الماثل عادةً بالسبب الاقتصادي، ومحاولته نهب خيرات المناطق الأخرى، والسيطرة على مواردها الاقتصادية، ولكن هذه الصراعات تأخذ أشكالاً مختلفة في سيرها، ما بين «حروب باردة» حيناً، إلى تحركات عسكرية، وحروب محدودة أحياناً أخرى، لكنها وفي بعض مراحل التاريخ المفصلية، التي تأخذ صفة المراحل الانتقالية الكبرى، تأخذ هذه التحركات صفة التحركات الكبرى

(عسكرية - ديمografie - ثقافية... إلخ) فتؤدي إلى نتائج مهمّة وكبيرة جداً، قد تؤدي إلى زوال دولٍ كبرى، ونشوء دولٍ جديدة، تاركةً تأثيراتٍ كبيرة على كافة مناحي الحياة (السياسية - الاقتصادية - الاجتماعية - الثقافية - العرقية - الدينية... إلخ) وقد تقصير مدة هذه التحركات الكبرى، لتكون بحدود ٢٠ - ٣٠ سنة، وقد تطول لـ٢٠٠ سنة، وإن لم تكن على الوتيرة نفسها من التحرك والصراع، لكنها تأخذ في فترات معينة صفة الهيجان، وخير مثال عليها، هي الفترة ما بين ١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م هذه الفترة التي عادة ما تُدعى بعصر الظلمات، وذلك فيما يتعلق بمناطق الأناضول والساحل السوري، حيث دُمرت الأرشيفات، وسادت الحرائق، وانتشر الخراب لعشرين من السنين، وقد تركت لنا هذه التحركات، وخاصة في ذروتها ما بين ١٢٢٠ - ١١٨٠ ق.م نتائج كبرى، على مستوى المنطقة بأسرها.

فقد تضافرت سلسلة أحداث لا تربط بينها علاقة منطقية واضحة، والتي لا يمكننا بوجود هذه المسافة الزمنية أن نقدّرها، إلا على نحو ضبابي، تضافرت في دفع واحدة من أضخم وأهم الهجرات في التاريخ إلى شرق المتوسط، وليس

من قبيل المبالغة أن ندعّي أن حركة شعوب البحر هذه، قد غيرت وجه العالم القديم، أكثر من أيّ حدثٍ مُنفردٍ آخر قبل عهد الإسكندر المقدوني ٣٣٤ - ٣٢٣ ق.م. فهذه الحركة تحدد في تاريخ الشرق نهايةً، بل تضع حدًاً لـ حقبةً أخرى، وبدون اتصال بين الاثنين، وقد ثبت أن تأثيرها في مصر، الهدف الواضح للحركة، غير جدير بالذكر، إذا ما قورن بما فعلته هذه الحركة بفلسطين خاصة، والساحل السوري عامّة^(١).

فعلى صعيد جزر البحر الأبيض المتوسط: أدت هذه الحركة إلى انتهاء الحضارة الكريتية بعد عصرها الذهبي ما بين ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق.م، وذلك بسبب غزوات البرابرة من الشمال (غزوات الدورين) وقد حلَّ محل العصر البرونزي الذي استمر نحوً من ألفي سنة، عصر جديد، وهو عصر الحديد، والمدة التي تمَّ فيها الانقلاب من عصر البرونز إلى عصر الحديد (المراحلة الغامضة)، فقد انتشرت الفوضى والاضطرابات،

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١١.

وحلَّ الظلام في القرون السابقة قبل حلول عام ١٠٠٠ ق.م، وبعض القرون التالية لها مباشرة^(١).

كذلك أدت هذه التحركات إلى نشرِ الخراب في العديد من جزر البحر الأبيض المتوسط، وجزر بحر إيجه، وإلى انتقالات عرقية ديموغرافية كُبرى، وحدوث امتزاج بين عناصر السكان، أدى إلى ظهور اختلاط في الأجناس، استغرق مدة من الزمن، بُغية حدوث الاندماج الفكري والثقافي، ما أدى إلى تأخر سير الحضارة لبضعة قرون.

أما على صعيد بلاد الأناضول، فقد دُمرت حاتوشـا العاصمة الإمبراطورية الحثية، وزالت إلى الأبد، فيما انتقل مركز الثقل الحثي إلى مدينة كركميش (جرابلس الحالية) ما أدى إلى حدوث فراغ سياسي في الأناضول، ملأته بعض المـالـكـ الصـغـرـيـ، وحدثت بعض التحركات القبلية في شرق، وجنوب شرق الأناضول مستغلةً فـترة الـضعفـ الآـشـوريـ ١٢٠٠ - ١١١٧ ق.م محاولة

(١) جورج سارترـونـ: تاريخـ العـلـمـ، جـ ١ـ، دـارـ المـعـارـفـ، طـ ١٩٥٧ـ مـ، طـ ٢٣٤ـ مـ، ١٩٦٣ـ مـ، صـ ٢٣٦ـ .

الانتشار في بعض مناطق نفوذ الدولة الآشورية، بجوار نهر دجلة والفرات، وخاصة قبائل الموشكى والказاكز (الكاشاكا) إلى حين وصول تجلات بلصir الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م الذي قضى على تجمعاتهم، وهجر من هجر، وأدخل بعضهم في النسيج السكاني الآشوري، موسعاً مساحة دولته باتجاه الشمال، والشمال الشرقي، والشمال الغربي على حساب الملك الضعيفة التي نشأت على أنقاض حاتوشا.

أما في الساحل السوري، فقد دُمرت معظم مدن هذا الساحل، لكن بعضها غاب عن صفحات التاريخ تماماً، إلى أن أيقظته معاول الأثريين، كما حصل في أوغاريت، وبعضها أكان قد دُمر أم لم يُدمر، لكنه عانى لفترة من الرمن من تداعيات هذه التحركات، كمدن صيدا وصور اللتين لم تنهضا قبل مرور بعض عشرات من السنين، وفي جنوب صور، قامت جماعة من شعوب البحر المندحرة في معركة زاهي، بتعطيل الموانئ الساحلية لمدة طويلة من الزمن، وأخيراً جاءت مجموعة من اللاجئين الكنعانيين كان أجلالها الغزاوة عن الشواطئ الفلسطينية والسورية الشمالية، فغصّت بها المدن اللبنانية، وتآزم

وضعها الاقتصادي أكثر فأكثر، فكان الحل الناجع عن هذه الظروف الصعبة، أن اتجه الكنعانيون في ما بعد سنة ١٢٠٠ ق.م نحو البحار البعيدة، مُدشّنين سياسة جديدة في التوسيع الاقتصادي والبشري، الذي حملهم إلى عالم غربي المتوسط، وحتى شواطئ الأطلسي الأوروبية والأفريقية.

كما نجم عن غزوات شعوب البحر والشمال، نتائج جيدة فيما يخص كنעניي الشمال (الفينيقين) والذين عرفوا كيف يستفيدون منها خير استفادة، فخراب المملكة الحثية، وانكماش مصر المنهكة إلى داخل حدودها، ثم انحسار السيطرة الأخيرة، حررت الفينيقين من كل وصايةٍ ومزاحمةٍ خارجية، وفتحت أمامهم البحر المتوسط على مصراعيه، فلم يَعُد ينافسهم فيه أحد، وبذلك انتقل الفينيقيون في ذلك العصر، من مرتبة بلدٍ ثانوي وتابعٍ، إلى المرتبة الأولى على مسرح السياسة الشرقية، والعالمية، وقد استمر دورهم هذا عدة قرون بعد ذلك.

وقد كان من نتيجة السلام، الذي أعقب تلك الغزوات، أن شهدت الأراضي الفينيقية ولادة أربع مدن مستقلة، هي: أرواد، وجبيل، وصيدا، وصور، وقد كانت السيطرة على المدن

الواقعة بين هذه (المدن - الدول) موزَّعة فيما بينها، ومن خلال سيطرتهم على البحر المتوسط، وإنشاء إمبراطوريتهم البحريّة، ففي نحو ١٠٠ ق.م. أسسوا مدينة (أوتيكا) في أفريقيا الشماليّة (بلاد تونس حالياً) وغاديرا وهي اليوم (كادوكسي) مدينة إسبانية على الأطلسي^(١)، حتى وصل نفوذهم إلى إنكلترا وأمريكا الجنوبيّة (البرازيل).

وفي الجنوب، حلَّ البلست الذين سمح لهم رومسيوس الثالث، بعد معركة زاهي بالاستيطان في ساحل فلسطين، في خمس مدن كنعانية، هي: غزة، وعسقلان، وعقرورن، وأسدود، وجدت، وقد نظم هؤلاء القادمون الجدد مُدنهم الخمس على هيئة مالك مستقلة في إدارتها وحُكمتها، إلا أن هذا الاستقلال لم يمنع المدن الخمس من أن تعرِفَ ضرباً من ضروب الاتحاد، ربما كان مركزه مدينة أسدود، ومن ثم اندمج هؤلاء بالحضارة الكنعانية، وتبنّوها وأصبحوا جزءاً منها، لكن أثرهم الوحيد المتبقّي، هو الاسم الذي أعطوه لهذا الساحل (فلسطين).

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٢٢، ١٢٤.

أما التيكيير، فلا يُعرف عنهم كثيراً، إلا أنهم بنوا مدينة سِمْوَها (دور) إلى الجنوب من الكرمل، وكانوا يجوبون البحار، ويعملون كقراصنة وقطاع طرق، وهم من دفع بسلوكهم هذا الكنعانيين إلى ركوب البحر والسيطرة عليه، فيما ذابوا هم بين السكان الأصليين، ومع مرور الزمن، لم نعد نسمع عنهم شيئاً^(١).

ويبقى الأثر الأهم لهذه الغزوات، هو تحرير سورية من الهيمنة الخارجية المتمثلة بالحتيين في الشمال، والمصريين في الجنوب، وقد دفعت الملك والإمارات السورية الكثير من أجل التحرر من هذه الهيمنة، بدءاً من معركة مجيدو ضد تحوتيس الثالث ١٤٦٨ ق.م ووصولاً إلى معركة قادش ١٢٨٥ ق.م التي دفع فيها السوريون الدماء الكثيرة، ما بين الصراع الحثي المصري من أجل السيطرة على سورية، لكن وبعد عام ١٢٠٠ ق.م ومع دمار حاتوشة، وانحسار تأثير الحتيين في مدينة كركميش، وتراجع الدور المصري، على الرغم من انتصارهم في معركة زاهي، لكنها خسرت أراضيها في سورية والساحل الفينيقي، واضطربت إلى التراجع والانكماش في

(١) يوسف سامي اليوسف: مرجع سابق، ص ٥٩، ٦٠.

وادي النيل^(١)، استطاع السوريون، وخاصة على الساحل تيَّلَ حريتهم واستقلالهم، فبدؤوا بتشكيل أولى ممالكهم الحضارية، التي غزت عالم المتوسط بحضارتها.

ومع زوال السيطرة الحيثية المصرية عن الداخل السوري، ومع مرور الدولة الآشورية بدور الضعف، كانت الفرصة سانحة للقبائل الآرامية للانتشار في بلاد الشام والرافدين، وقد زادت هذه القبائل من شدة ضغطها على المدن وأهالي الحضر، وأخذت تستقر في جوارها، وهيأت نفسها لتأخذ دورها البارز في صُنْعِ مستقبل المنطقة، وخاصة مع حلول الألف الأول قبل الميلاد، وهي الفترة التي بدأ فيها الآراميون بتشكيل إماراتهم ومالكون في بلاد الشام والرافدين، وبدأ صراعهم الميرر مع الدولة الآشورية الوسطى والعائدة بقوه، ومن ثم مع الدولة الآشورية الحديثة - ٩١١ - ٦٦٢ ق.م، وإلى جانب هذه القوى، ظهر الميديون في المضبة الإيرانية نحو عام ١٠٠٠ ق.م ليصبحوا قوة جديدة تضاف إلى هذه القوى في صنع هذا التاريخ، خلال الألف الأول قبل الميلاد. وهكذا انتهت

(١) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٥.

بظهور هذه القوى الجديدة (الآرامية - الميدية (الفرس) - المصرية -
الكنعانية - الآشورية - البابلية) حقبة طويلة من تاريخ الشرق
العربي القديم، بعد أن خلقت شعوبه للأجيال القادمة تراثاً حضارياً،
يُعدُّ بحق المدماك الأساسي في بناء صرح الحضارة الإنسانية، ولكن
شعوب المنطقة التي عركتها التجارب، وقامت ويلات المحن،
وعاشت الكوارث، استطاعت أن تخرج من هذه المحن القاسية، وأن
تنتصر في أحاديثها المريرة، فقد تابعت مسيرتها الكبرى، وبنت المالك
وأنشأت الإمبراطوريات^(١)، التي سيكون لها أثر كبير في تشكيل
خريطة المنطقة، ربما عشرات أو مئات السنين، سواءً سياسياً أم
حضارياً، وعلى رأسها الإمبراطورية الآشورية الحديثة ودولة بابل
الثانية (الكلدانية) بعمقها الحضاري، وإمارات الآراميين في سوريا،
و(دول - مدن) الساحل السوري، إلى حين السيطرة الفارسية ٥٣٩
- ٣٣٣ ق.م، ومن بعدها المقدونية (اليونانية) الهلينستية ٣٣٣ -
٦٤ ق.م، ومن ثم الرومانية - البيزنطية ٦٤ ق.م - ٦٣٦ م قبيل مجيء
الإسلام، وحتى عصرنا الحاضر.

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٧، ٣٨٨.

أختامه

لن نأتي في هذه الخاتمة بجديد عَمِّا ذكرناه في بحثنا المُطَوَّل عن شعوب البحر، ولن ندَعُي أننا قدمنا الحقيقة فيما أوردناه من آراءٍ أو تحليلات، حول تحركات هذه الشعوب الغازية، ولا ننسى أن فئةً، وهم من كبار الباحثين في التاريخ يرفضون هذه التحركات وحدودتها، وإن وافقوا على جزءٍ منها، وخاصة فيما يخصُّ مجريات الأحداث في شبه جزيرة البلقان، والخوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وبحر إيجية، ومصر، فالتحركات التي حدثت في شبه جزيرة البلقان ما بين ۱۹۰۰ - ۱۱۰۰ ق.م، وكذلك ما حدث في جزيرة كريت، وما نال الساحل الأيوني (ساحل آسيا الصغرى الغربي) من خراب ودمار حاتوشا عاصمة الحثيين، لا تحتاج أدلةً ولا براهين، لأن هذه الأحداث واضحة وضوح الشمس، وما سقوط طروادة إلا خير دليل على ذلك،

وإن رَفَضَ البعض ربط هذا السقوط بهذه التحرّكات، إلا أن هذا الرفض غالباً ما يتعلّق بسقوط أو غاريت، إن كان على يد هذه التحرّكات، أم بسبب الكوارث الطبيعية، وعلى رأسها الزلزال الذي يدعّون حدوثه في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، نحو ١٢٠٠ ق.م.

إن الباحث في التاريخ، عادةً ما يلجأ إلى ما دونه كبار الباحثين، وما سجلته الاكتشافات الأثرية من نتائج، وخاصة النقوش والكتابات التي دونها رجال وملوك وقادة كبار، كانوا في سدة الحكم، وكان لهم الدور الأكبر في حدوث هذه الأحداث، وفي صنع القرار، وإن كنّا نعترف بأن جُمل هذه التدوينات لا يخلو عادةً من تضخيم الأحداث، وإعطائهما صبغةً أسطورية، بغية إعطاء مُدوّنها عظمة وأبهةً، إلا أنها في نهاية المطاف تبقى أحداثاً حقيقة، وإن تمَّ تضخيمها، وإنما هو السبيل إلى معرفة ما حدث في الماضي، فإذا كنّا دائمًا نشكُ بكلِّ شيء. فهل ما دونه من بناح ورعمسيس الثالث من أحداث كلها مزورة، إذن فلنتوقف عن كتابة التاريخ والبحث فيه واستنباط العِبَر منه.

إن التنقيبات الأثرية التي حدثت في منطقة الأناضول، وخاصة في العاصمة الحشية حاتوشا، وكذلك في الساحل السوري، عادة ما تُظهر انتشار طبقة من السواد، وخاصة في الفترة ما بين ١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م، فيما اتفق على تسميتها بـ (عصر الظلامات)، فقد دُمرت الأرشيفات، وأحرقت المدن كلها دفعةً واحدةً، ولم تستطع باقي المدونات، من كتابات على ورق البردي وغيرها مما لا تستطيع الوقوف أمام الحرائق وعوادي الزمن الطويل، في ظلّ الرطوبة العالية المنتشرة عادة على الساحل السوري، من أن تصل إلينا لتجلو الحقيقة، لكن ما وصل إلينا من رقمٍ من أوغاريت، وخاصة تلك الموجودة في فرن القصر الملكي، التي دُونت عليها الرسائل المتبادلة ما بين عموري آخر ملوك أوغاريت، وملك آلاشيا (قبرص) لخِير دليل على ما قدمناه، ويقى القول الفصل في حقيقة ما حدث، هو ما سَتَّقدمه بطونُ وسويات التلال الأثرية في قادم الأيام.....

الملاحق

- ۲۶۸ -

الملاحق رقم (١)

شعوب البحري في عهد رعمسيس الثاني

١٢٩٠ - ١٢٤٠ ق.م

هل كان لشعوب البحري ذكرٌ في عهد رعمسيس الثاني؟، وهل استعان بهم في جيشه، الذي قاتل معه في معركة قادش؟. إن العديد من المتخصصين في التاريخ، عادة ما يجمعون على أن أول ذكرٍ لشعوب البحر، فيما يخص مصر، كان منذ عهد رعمسيس الثاني - ١٢٩٠ ق.م^(١)، فهل كان ذلك صحيحاً، أو أنهم ذُكروا قبل ذلك بكثير؟.

يبدو أن النشاط البحري الأخير لهذه الشعوب، قد توجه منذ زمن بعيد إلى المدن الثرية للساحل الشرقي والمصري، فالشرданا من الساحل الأيوني قرب (سيمي) والـ (لوكا)، اللتين ينبغي أن نرى فيها (الليسيين)^(٢) والذين كانت لهم شهرة بالقرصنة والمهارات القتالية الاستثنائية، المجموعة الأولى هاجمت ساحل الدلتا، في بداية

(١) زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠٠٠ م، ط١، ص ٦٣.

(٢) سكان منطقة كاريا جنوب شرق آسيا الصغرى.

عهد رعمسيس الثاني، مُدخلةً نفسها بذلك ضمن نطاق سيطرة «الفرعون» ولم يكن رعمسيس الشاب بطائماً في تقدير براعتهم الفائقة، فهو لم يتوانَ بعد أن أحبط هجومهم في تحنيد فرقة من (الشارдан) في قواته المسلحة المصرية، التي أُتيح لها أن تعبر عن نفسها بعد فترة وجيزة في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م.^(١).

وكان رعمسيس الثاني، قد شعر مبكراً بتلك التحركات البحرية، فقد أولى الجبهة الغربية اهتماماً يدلّ على توجس خطير قادم من هذه الجبهة، في حين كان اهتمام مصر فيما مضى ينصب كاملاً على جبهة الشام، فبني ثلاثة حصون في الجبهة الشهالية الغربية من مصر، لمواجهة خطر شعوب البحر، وهذه الحصون هي:

١ - حصن الغربانيات على مقربة من برج العرب الحالي.

٢ - حصن عند العلمين^(٢).

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٢) تبعد العلمين عن الإسكندرية نحو ٩٠ كم باتجاه الغرب على ساحل المتوسط.

٣- حصن عند زاوية أم الرخم، إلى الغرب من مرسى مطروح الحالي^(١).

وهذا ما يؤكد أن هذه التحركات لم تأتِ دفعةً واحدةً، بل على مدى أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، ومن تلك الشعوب الليسيون المعروفون باسم EKwesh، وكذلك الفلسطينيون (البلست) والتيكير، والشاكلاش، والشردانيون، واللوكيون وغيرهم.

ويبدو أن أسماء قبائل شعوب البحر كانت موجودة في وثائق الدولة المصرية وملوك الدولة الختية، منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إذ كانت تصل أفواج منهم إلى مصر للعمل فيها كمرتزقة في الجيش المصري كـ الشردانيين الذين ورد ذكرهم في معركة قادش ضمن صفوف الجيش المصري، أو في صفوف الدوبيلات السورية الموالية لمصر ضد الدولة الختية، مثل قبائل: الدانونة، والشاكلاش، واللوكيين،

(١) محمود عبد الحميد أحمد: الأطياع الغربية في بلادنا خلال العصور القديمة، مقالة في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد ٦١٨، ٢٠٠٥م، ص ١٤١.

وقد كانت قبائل منهم تنزل في منطقة الأناضول، وتوا扎ر الدولة الحثية في حروبها ضد الإمبراطورية المصرية مثل قبائل: البداسا، والدرداني، واللساسا، والكرانيسا، والإيرونيتا^(١) وغيرها من القبائل.

فيها يذكر بعض الباحثين أن من بين قبائل شعوب البحر، شعب الأتروسكين، الذين انتقلوا إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وأسسوا فيها عدداً من دول المدن، في القسم الشمالي الوسيط منها، فيما سكن الشردان جزيرة سردينيا، بعدهما أعطوهما اسمهم، كما أعطى الشراكلاش جزيرة صقلية اسمها المعروف الآن^(٢).

(١) ربما كان الإيرونيتا هم الـ Arawanna أي «الأحرار» وكانوا يقطنون غرب نهر الهاлиس (كيزيل إرماك)، انظر بحث: الحثيون وحملاتهم على سوريا، فاروق إسماعيل، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٨١ - ٨٢، ص ٥.

(٢) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٤، ٧١٥.

الملاحق رقم (٢) البلست وقسمية فلسطين /رأي د. زياد منى/

إن عدم العثور في فلسطين على أثٍ واحدٍ يثبت وجهة النظر السائدة، التاريخية منها والكتابية، جعل أهل الاختصاص يلجمون إلى (براهين) أو شواهد ظرفية تدعمُ اجتهاداتهم، أساسها مقارنة بين أسماء محددة تَرِدُ في نقوش العديد من ممالك وحضارات الشرق العربي بعضها بعض، فعلى سبيل المثال، عُثرَ على نقوش تعود إلى ملك مصر أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م تشير إلى (سفن كفتو - «كفتو») والذي عُرِّف بأنه نفس الموقع (كفترء) المسجل فيما يعرف باسم (النصوص الاقتصادية) العائلة لمملكة ماري (تل الحريري) وتم تعريفه في نهاية المطاف بأنه جزيرة كريت، وكما ذابت الإمبراطوريات المحتلة (الخشية، والفرس، والأرمن، والسكثيون، والفرثيون، والإغريق، والرومان... والتر، والمغول، والفرنسيون، وإنكليز... إلخ). ولم يتمكن أيٌّ منهم من تغيير، لا طبيعة ولا شكل وجوبه الإقليم، وكان على من بقي منهم أن يندمج في البوقة الحضارية العربية، فإن الأمر ذاته سوف ينطبق على الكيان

الصهيوني الزائل عاجلاً أم آجلاً، وكما قام الإغريق والرومان بتغيير أسماء العديد من المدن في المشرق العربي، لكنها استعادت جميعها أسماءها الأصلية، بعد تمكّن أهل الإقليم من طرد الغزاة، وترى الحال نفسها تنطبق على فلسطين، حيث من الصعب علينا قبول الاستثناء هنا دون شرح وافي لأسباب ذلك، وقبول أن ذلك الاسم يعود بأصله إلى شعب «دخيل» مجهول الهوية.

بقي أن نقول إن هذا الاسم الإقليم (فلسطين) قد عُرِفَ بهذا الاسم منذ القدم، وإن لم تتوفر معلومات عن جذوره، رُغم أن التنقيبات الآثرية تشير إلى أن سكانه كانوا ينتمون إلى البوقة الحضارية المشرقية، التي كانت سائدة في كل أنحاء الإقليم، الذي أطلق عليه العرب اسم بلاد الشام، كما أوضح استقصاؤنا أن معظم أطروحات الخطاب الاستشرافي، ما هي إلا اجتهادات ونظريات، غالباً ما تنهار أمام أي اختبار علمي جدي، وهذا ما يوافق عليه الاتجاه التجديدي والمحدث في الأبحاث الكتابية^(١).

(١) زياد منى: مرجع سابق، ص ٥٤، ٦٥، ٦٦.

الملاحق رقم (٣)

عصر الحديد

كثيراً ما يرد في الدراسات والأبحاث التي تتناول تحركات شعوب البحر على قلتها، موضوع عصر الحديد، على أنه قد بدأ مع قدوم هذه التحركات، وتعزى تفوقهم فيها أحدهم من اجتياحات إلى إمكاناتهم المتفوقة في استخدام الحديد، وصناعاتهم الحديدية، وخاصة الأسلحة المتفوقة جداً. فمن المتعارف عليه تاريخياً وأثرياً وعلمياً، أن العصور التاريخية، عادةً ما تُنسب إلى شيء ما، انتشر بكثافة في تلك الفترة، كأن نقول عصر النحاس، أو عصر البرونز، أو عصر الحديد، كدليل على انتشار استخدام هذه المعادن في هذه العصور، لكن هذا لا يعني العصر الذي تم اكتشاف ذلك المعدن فيه، فالمعدن ممكن أن يكون قد اكتشف قبل ذلك بكثير، ولكن العصر الذي يُنسب له، هو العصر الذي يشيع استخدامه فيه، فعندما نقول إنَّ عصر الكالكوليت ٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م هو عصر النحاس، فهو العصر الذي شاع فيه استخدام النحاس بكميات كبيرة، لكن اللقى الأثرية أثبتت وجود النحاس المصنَّع قبل ذلك بكثير، وقد يرقى إلى الألف السادس أو السابع قبل الميلاد، وهذا ما

ينطبق على عصر الحديد، الذي عادة ما يُنسب إلى الفترة التي تبدأ عام ١٢٠٠ ق.م للإيحاء بأنه قد بدأ مع قدوم جحافل شعوب البحر، وعلى رأسهم البلست، الذين كانوا يتقنون استخدام الحديد، وهذا ما ذكره العديد من الباحثين، نذكر منهم:

المؤرخ هورست كلينغل الذي ذكر في كتابه الموسوم بـ / تاريخ سوريا السياسي ٣٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م / حول الفترة موضع البحث، إذ يقول: «كانت هناك تطورات أخرى، يجب الإشارة إليها، لأنها كانت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ سوريا اللاحق، ألا وهي تزايد دور الحديد في صناعة الأدوات، الذي سهل، كما هو واضح، حراثة أنواع خاصة من التربة وحفر الآبار وقطع الأشجار...»^(١).

فيما يقول يوسف سامي اليوسف في كتابه الموسوم بـ / تاريخ فلسطين عبر العصور /: «والحقيقة أن أهم إسهام قدمه البلست في مسار تطوير الحضارة، هو استعمال الحديد ونشره على نطاق واسع...»^(٢).

فيما يقول جورج سارتون، في كتابه الموسوم بـ / تاريخ العلم - ج ١ - / وفي معرض حديثه عن دمار كريت على يد الدورين: «ثم انغمرت هذه الحضارة الرائعة بسبب غزوات البرابرة من الشمال

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٢) يوسف سامي اليوسف: مرجع سابق، ص ٥٩.

(الدورين) وحلَّ محلَّ العصر البرونزي، الذي استمر نحو ألفي سنة من عصر جديد عنيف، وهو عصر الحديد... وكان الحثيون، هم الذين اخترعوا الصناعات الحديدية نحو منتصف الألف الثاني قبل الميلاد... ومن بلاد الحثيين في بلاد الأناضول وصلت تلك الصناعات إلى بلاد الشام ومصر في الجنوب، وإلى بلاد مقدونيا في الغرب، والراجح أن الغزاة الدوريين الغلاظ، استطاعوا أن يفرضوا سيادتهم على شعوب البحر الإيجي بفضل أسلحتهم وأدواتهم الحديدية...»^(١).

لكن التاريخ يقول: إن السورين عموماً، كانوا قد اشتهروا بصناعة النحاس والبرونز والحديد قبل غيرهم بمئات السنين، فقد أظهر التحليل الكيميائي لنصلِّ فأس من أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، اكتشف في رأس الشمرة، ليس معرفة إذابة الحديد فحسب، وإنما معرفة مزجه بمعادن أخرى لتصنيع مزيج الفولاذ، وكان هذا الأمر ذاته مجھولاً حتى ذلك الوقت، وقد اهتم الكنعانيون بالبحث عن المعادن لجعل الحديد قاسياً، وعن القصدير لأجل مزجه بالنحاس لصنع البرونز، وعن الذهب والفضة، ولذلك قاموا برحلات طويلة خارج بلادهم.

(١) جورج سارتون: مرجع سابق، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

ثم إن من ندعوهم بـ «المكسوس» الذين تُثبت الوثائق هويتهم العربية، كانوا يتميزون بأسلحتهم الحديدية وعرباتهم المتقدمة، ومن بين الأسلحة الجديدة التي ظهرت مع المكسوس (السيف الحديدي المنحني، والقوس المركب، الذي ظهر لأول مرة في بلاد الرافدين في عصر الدولة الأكادية، في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد، فكيف بعد هذا كله، يكون «الفلسطينيون» البليست أول من أدخل صناعة الحديد إلى المنطقة.

إن العرب في بلاد الشام والرافدين، كانوا أول من عرّفوا صناعة التعدين، وفي بلادهم بدأ عصر النحاس، والبرونز واللديدي، وهم أول من صنع الفولاذ، وقد انتشرت صناعاتهم في شتى أرجاء دولهم من أعلى الفرات وطوروس إلى بحر العرب، ومن زغروس إلى المتوسط، وإن أحداً لم يضاهي مجد دولهم، أو يدان بها في المجد^(١).

(١) أحمد داود: مرجع سابق، ص ٧٢٨، ٧٢٩.

الملاحق رقم (٤)

رحلة وينامون وانتهاء النفوذ المصري Wenamun

وينامون كاهن مصرى، وهو كاهن الإله آمون في طيبة، وكان قد أبحر من مصر في متصف القرن الحادى عشر قبل الميلاد في البحر المتوسط، للحصول على خشب الأرز اللازم لإصلاح سفينة الإله آمون رع المقدسة وترميمها، وحسب النص الذى وصلنا مكتوبًا بأسلوب أدي، فإن ذلك حدث خلال عهد حريحور Herihor الحاكم الكاهن لمصر العليا.

وقد كانت سفينة وينامون قد درست في (دور - Dor) وصور، وعبرت صيدا قبل أن تصل إلى جبيل، التي كان يحكمها المدعو (زاكار - بعل) Zakar - Ba,al في ذلك الوقت، وربما يتطابق هذا الحاكم مع (مالك سنان السهم)!!!، الذي يلقب به: «ملك أمورو» أي ملك منطقة من أمورو^(١).

وتُظهر القصة أن حاكم جبيل كان أميرًا مستقلًا فخورًا بنفسه، وقد رفض استقبال وينامون وإعطاءه الأخشاب المطلوبة، إن لم يدفع الشمن مُقدمًا، وقال له: «أنا لست خادمك، كما أني لست

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

خادماً من أرسلك» ولم يزوده بما يرغب إلا بعد أن وصله الشمن من حاكم مدinetه تانيس المصرية^(١) كما تُظہرُ هذه القصة بوضوح، أن حاكم جبيل، لم يكن خاضعاً لمصر، فهو لم يستجب لمطالب المصريين بالحصول على أخشاب الأرز اللازمـة لبناء سفينة الإله (آمون رع)، دون أن يدفعوا الشمن، بسبب نقص الأموال الموجودة لديه. وقد ناقش (وينامون) ذلك مع حاكم جبيل، الذي كان يُعدُّ، بسبب إقامته في جبيل «مسؤولاً عن تجارة لبنان مع آمون سيده». ومن بعدها، رضي حاكم جبيل بتوريد الأخشاب فقط، بعد عودة الساعي من مصر مُحملًا بهدايا إضافية، بينها خسمائة لفة من البردي الجاهزة، وفي هذا إشارة إلى استخدام جبيل لهذه المادة. ومع أن قصة وينامون لا تُعدُّ مصدرًا تاريخيًّا مفصلاً يمكن الركون إليه، فإنها تعكس تدهور النفوذ المصري في جبيل، وربما في كنعان كلها^(٢).

(١) عيد مرعي: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ مرجع سابق، ص ٢٠٨.

الملاحق رقم (٥)

غزوات شعوب البحر ظاهرة مستمرة

إن المتبع لتاريخ الصراع ما بين الشرق والغرب، يدرك أن ثمة حتمية أزلية لهذا الصراع، أملتها تربة ثقافية اعتاد الغرب على ممارستها، ويبعدون أنه لا تغيير في سلوك هذا الغرب تجاه العالم عامة، والشرق خاصةً، حتى العصر الحالي.

فأنا وإن كنت مؤيداً لفكرة الحضارة الإنسانية الواحدة، إلا أنني مع فكرة وجود ثقافات مختلفة ومتصارعة، ويبعدون أن ثقافة كره الآخر، وإقصائه والسيطرة عليه، وعلى خيراته واستعباده، هي ثقافة القارة الأوروبية، التي طالما جاءنا منها القتل والدمار، والتشريد والكره لكل جنس بشري - غير أوروبي - آخر. إنني أعترف أن أوروبا قد قامت بقفزات - نهضة - كبيرة في مجال التكنولوجيا والعلم والفن، وفي كافة مجالات الحياة، وحتى على مستوى حقوق الإنسان، لكنها لم ترتفع حتى الآن، لتدرك أن الكرة الأرضية هي موطن الإنسان - الإنسان الأوحد الذي يعيش في هذا الكون - وليس الإنسان الأوروبي فقط، وإن سائر البشر، إنما ^{خلقوه} لكي يعيشوا بكرامة، أعطاها لهم تفوقهم على كافة

الخلوقات، من خلال امتلاكهم للعقل، الذي لم يثبت حتى الآن أن لا ميزة لعرق على آخر في إمكانيات استخدام هذا العقل، إلا في القتل ونفي الآخر، فقد برع فيها الأوروبي (لأنه أمريكا وليدة أوروبا) كما برع في استخدام العقل في الاختراعات والتكنولوجيا، التي سخّر جزءها الأكبر لاختراع آلة القتل والتدمر، ونهب خيرات الشعوب واستعبادها.

وبالعودة إلى فحوى هذا الملحق، نقول: إن الفكر الأوروبي المتسلط، لم يعرف، ولن يعرف يوماً إلا أنه خُلق لكي يحكم الآخرين، وقد كانت غزوات شعوب البحر، هي المرة الأولى التي يحصل فيها اللقاء ما بين أوروبا والشرق، إذا ما اعتبرنا آسيا الصغرى من الشرق، وإلا لكنّا اعتبرنا الصراع الحضري العربي (مع بابل ويهودا «حلب» وإيلات) منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، بمثابة الصراع الأول ما بين الشرق والغرب.

وتعدُّ غزوات شعوب البحر، تلك الشعوب التي خرجت من أطراف أوروبا الشرقية، بعد تحركات قامت بها أوروبا الشمالية، باتجاه الجنوب، وبسبب الظروف التي عانت منها أوروبا في تلك الآونة، فما كان منها إلا أن وجدت الحل على حساب الشرق، فهو الغني بثرواته، والخصب بتربيته، والواسع بأراضيه، فما كان من تلك الشعوب الغازية البربرية إلا أن غزت بلادنا وعملت فيها قتلاً

وتدميرًا، ووفق هذه النظرة، وهذا السلوك، سلكت أوروبا وما زالت تسلك في صراعها مع الشرق، ولم يخرج الإسكندر المقدوني ٣٣٣ - ٣٢٣ ق.م عن هذه القاعدة، ولم تخرب عنها روما عندما خطّت بجحافلها على أرض سوريا عام ٦٤ ق.م مع وصول بومبي إلىها، ووصول أوكتافيانوس (أوغسطس) إلى مصر عام ٣١ ق.م، ولستنا هنا في حاجة لتقديم دروس في الخراب والدمار عَمَّا فعلته روما في بلادنا، فما حلَّ بقرطاجة عام ١٤٦ ق.م من حِراثة أرضها و(بذرها) بالملح لقتل الحياة فيها، وما حلَّ بتدمير عام ٢٧٢ م. من خراب وتدمير، خير دليل على ما ذكرنا.

ولن ن نحو الإمبراطورية البيزنطية في حروبها مع الشرق العربي غير هذا المنحى، ولن تفعل حروب الفرنجة (الصلبية) بالساحل السوري، إلا كما فعلته غزوات شعوب البحر قبل نحو ٢٣٠٠ سنة من قيام أولى حملات الفرنجة تحت شعار الصليب إلى بلادنا، ويبدو أن تاريخ الصراع اليوم ما بين الشرق العربي وأوروبا، يشبه إلى حدٍ كبير ما حدث من غزوات شعوب البحر من حيث المدة الزمنية التي استغرقتها، والتائج الكارثية التي فعلتها تلك الحملات.

استمرت همجية الفرنجة على بلادنا ما بين ١٠٩٨ و حتى ١٢٩١ م أي ما يقارب القرنين من الزمن، وهو يقارب الزمن الذي استمرت به

غزوـات شعوب الـبحر. وإن الـخـراب الذي زرـعته تلك الغزوـات بأوـغارـيت، وصـيدـا، وصـورـ، وأـمـورـوـ، وأـلـالـاخـ... إـلـخـ يـُـشـبـهـ إلى درـجـةـ كـبـيرـةـ، الـخـرابـ الذي أـحـدـثـتـهـ حـمـلاتـ الفـرنـنجـةـ فيـ إـنـطـاكـيـةـ عـامـ ١٠٩٨ـ مـ منـ خـرابـ وـقـتـلـ وـسـبـيـ، وـفـيـ مـعـرـةـ النـعـمـانـ، مـنـ أـكـلـ لـحـومـ الـأـطـفـالـ بـعـدـ شـيـئـهاـ، وـرـبـيـاـ أـكـلـهـاـ طـرـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ المـجـزـرـةـ المـرـوـعـةـ التـيـ اـرـتكـبـتـ فـيـ الـقـدـسـ عـامـ ١٠٩٩ـ مـ، وـلـاـ تـبـعـدـ مـعـرـكـةـ زـاهـيـ التـيـ اـنـتـصـرـ فـيـهاـ رـعـمـسـيـسـ الـثـالـثـ ١١٩٨ـ - ١١٦٥ـ قـ.ـمـ عنـ النـصـرـ الـذـيـ حـقـقـهـ صـلـاحـ الـدـينـ فـيـ مـعـرـكـةـ حـطـيـنـ، وـالـظـاهـرـ بـيـرسـ، وـمـنـ ثـمـ الأـشـرـفـ خـلـيلـ بـنـ قـلـاـوـونـ، الـذـيـ اـسـطـاعـ إـخـرـاجـ آخـرـ الـصـلـيـبيـيـنـ مـنـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ.

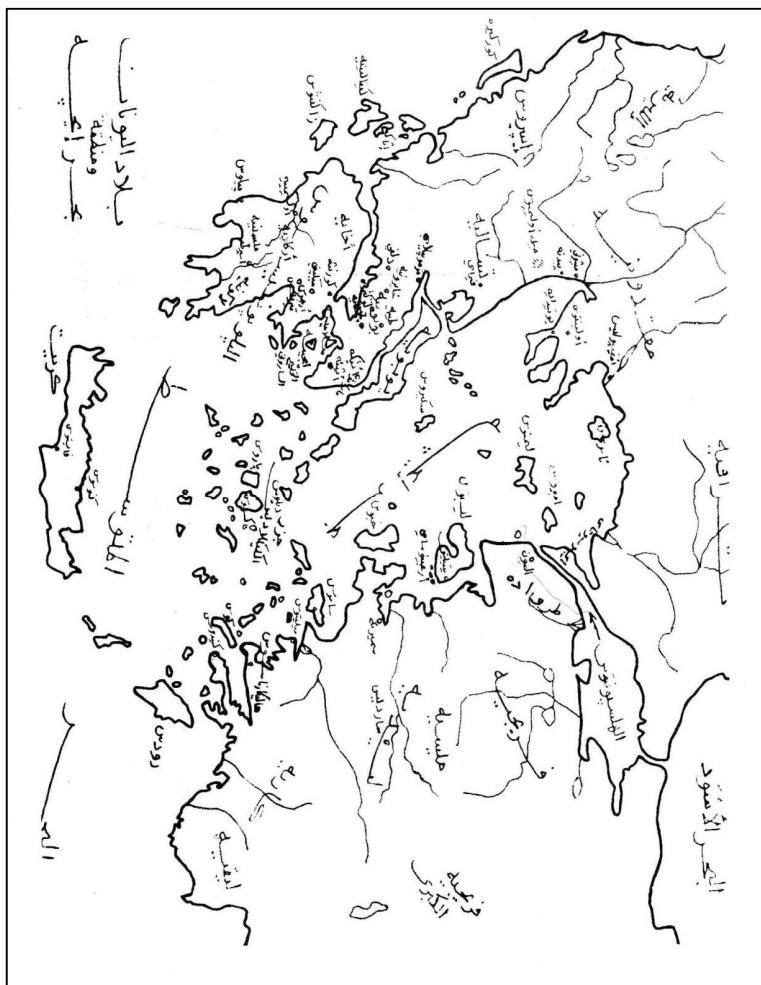
وـلـاـ تـبـعـدـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ التـيـ سـُـرـقـتـ مـنـ بـلـادـنـاـ، إـيـانـ غـزوـاتـ شـعـوبـ الـبـحـرـ، وـاـمـتـزـاجـ بـعـضـ هـذـهـ الشـعـوبـ فـيـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـتـمـثـلـهـاـ وـالـانـصـهـارـ بـهـاـ، لـاـ يـخـتـلـفـ عـنـ سـرـقـةـ الـحـضـارـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـيـةـ عـلـىـ يـدـ الـفـرنـنجـةـ، وـمـنـ بـقـيـ مـنـهـمـ أـيـضـاـ، فـقـدـ اـمـتـزـجـواـ بـالـسـكـانـ، وـتـمـثـلـواـ عـادـاتـهـمـ وـتـقـالـيـدـهـمـ، وـسـرـقـواـ حـضـارـتـهـمـ إـلـىـ أـورـوـبـاـ.

ولـنـ نـجـانـبـ الـحـقـيقـةـ عـنـدـمـاـ نـُـشـبـهـ غـزوـاتـ الشـعـوبـ الـأـوـرـوـبـيـةـ عـلـىـ مـعـظـمـ الـبـلـادـ الـعـرـبـيـةـ إـيـانـ الـقـرـنـينـ ١٩ـ - ٢٠ـ مـ وـاـحـتـلـاـهـاـ لـلـوـطـنـ الـعـرـبـيـ تـحـتـ عـنـاوـيـنـ بـرـّـاقـةـ، مـنـ اـنـتـدـابـ، وـوـصـاـيـةـ، وـحـمـاـيـةـ، إـلـاـ أـنـهـاـ تـبـقـىـ شـكـلاـًـ وـاحـدـاـًـ مـنـ أـشـكـالـ الـاسـتـعـمـارـ الـبـغـيـضـ، بـكـلـّـ مـاـ لـهـ مـنـ

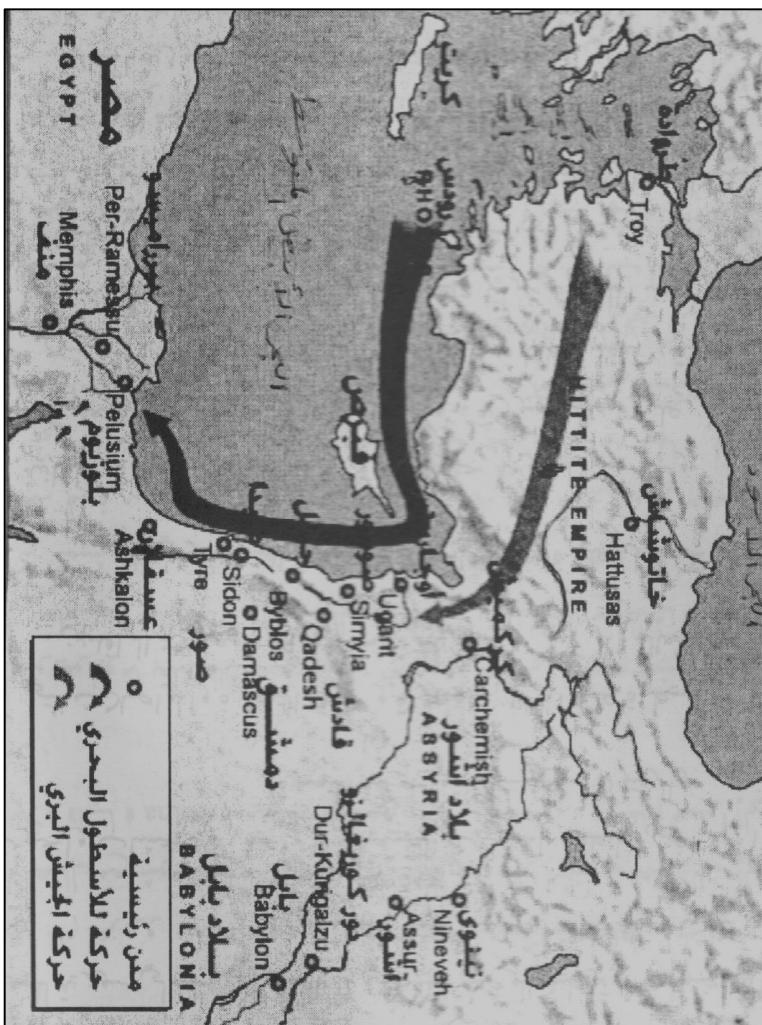
كراهية لآخر، وحب استغلاله واستعباده، واسترقاقه، بغزوات شعوب البحر والتي دارت رحاها إبان القرنين ١٣ - ١٢ ق.م، وما زَرْعُ الكيان الصهيوني البغيض في فلسطين الحبيبة، إلا شكل جديد من أشكال غزوات شعوب البحر، التي يبدو أنها مستمرة على بلادنا العربية، رغبةً منها في القتل والتدمير وإذلال الشعوب كعادتها، وعلى مدىآلاف السنين.

لكننا نقول: إنه عندما تكون مناطق الحضارة (بالمعنى الأخلاقي على الأقل) على درجة من التماسک والقوة، فلا مجال لغزوات ببربرية كهذه، أن تنازل مِنّا، ومن تراب بلادنا الطاهر؟؟.

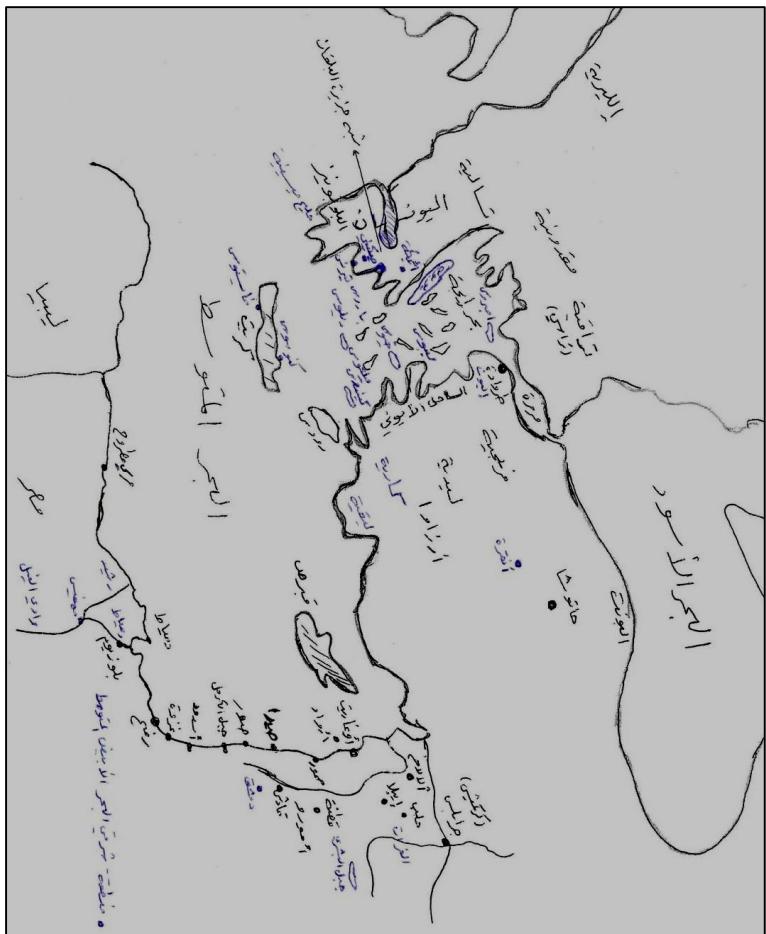
الخراطة



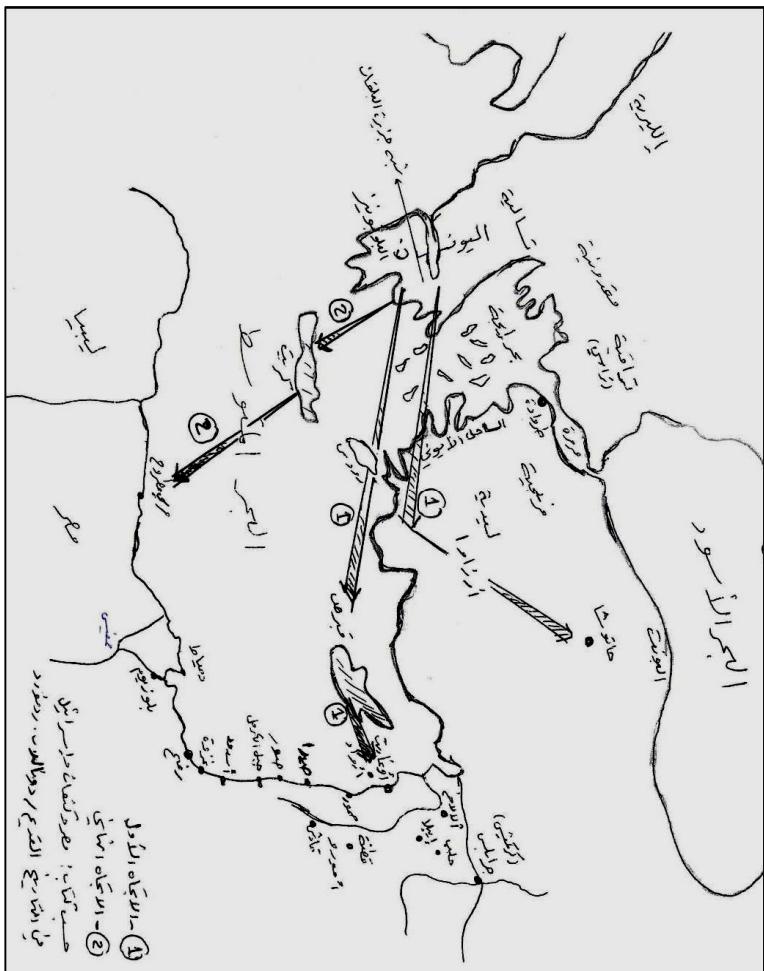
خریطة شبه جزيرة البلقان وأرخبيل جزر بحر إيجا و الساحل الأيوني



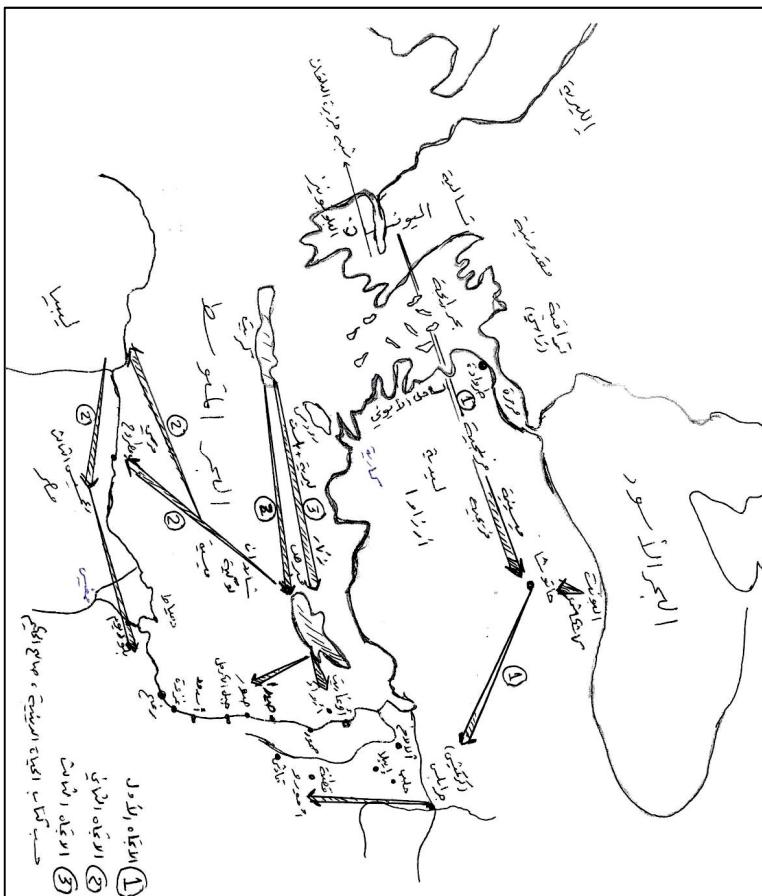
مسير هجمات شعوب البحر البرية والبحرية



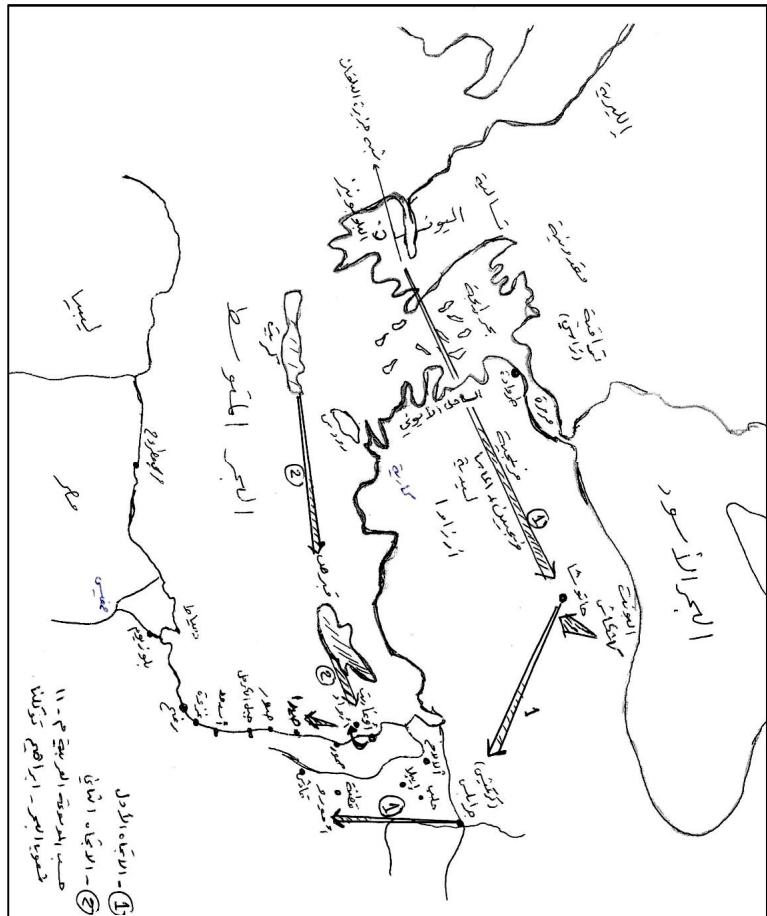
منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط
(الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلا)



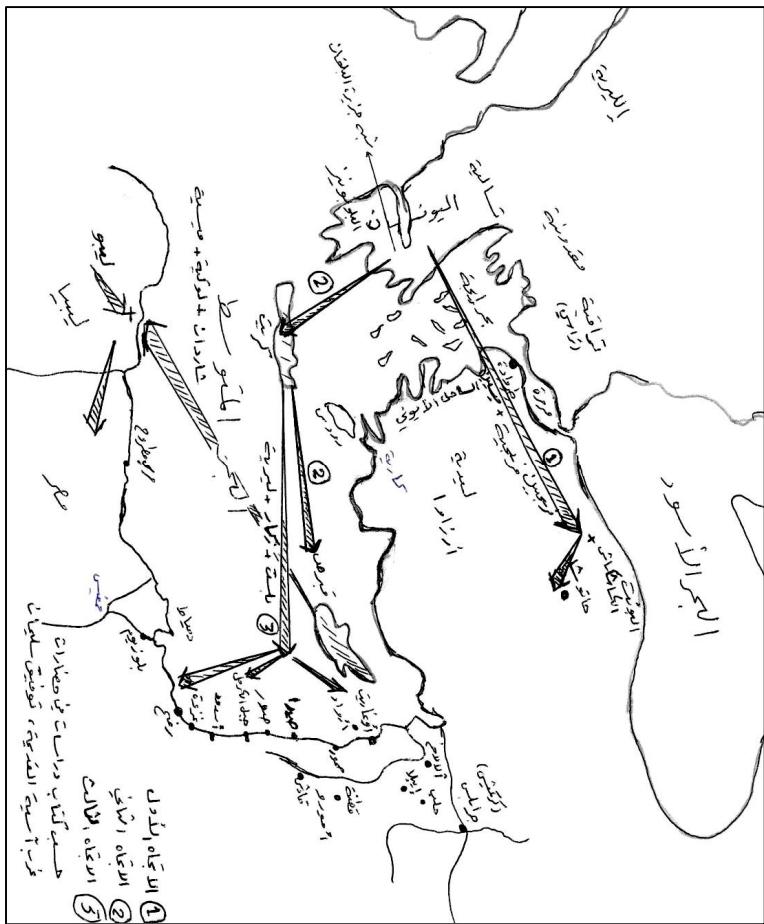
تحركات شعوب البحر حسب كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / دونالد ب. ردفورد (الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلاة)



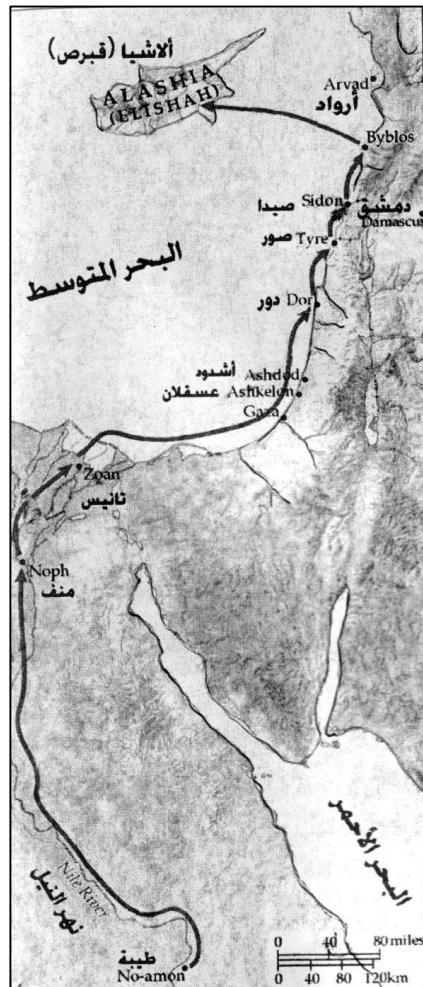
تحركات شعوب البحر حسب كتاب /الحياة الدينية في أوغاريت/ صالح الحكيم
 (الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلاة)



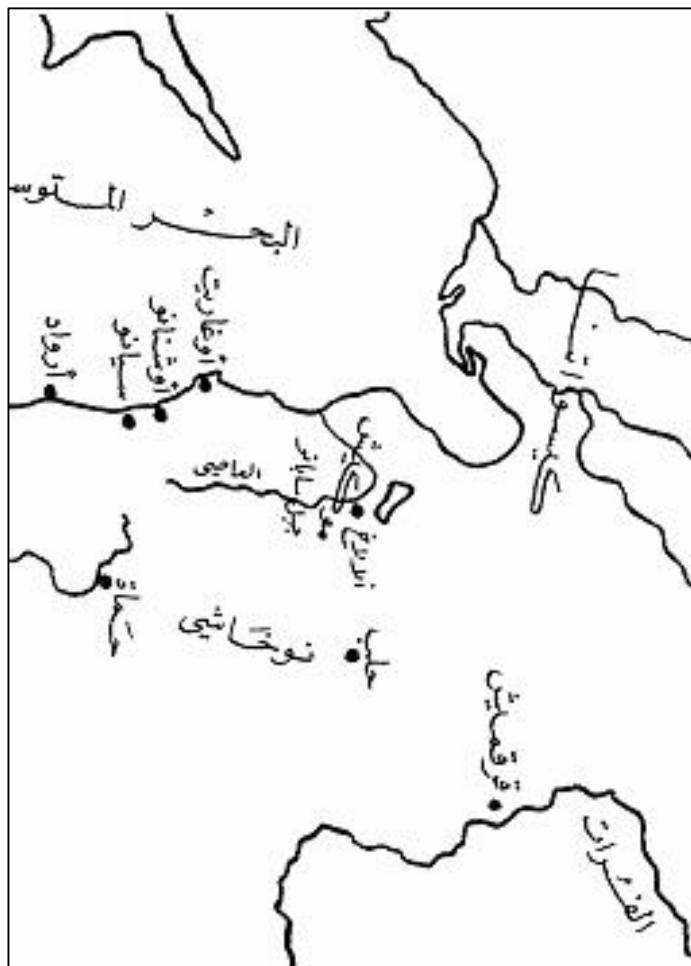
تحرّكات شعوب البحر حسب الموسوعة العربية، المجلد ١١
 (بحث بعنوان: شعوب البحر)، إبراهيم توكلنا (الخريطة من إعداد
 الباحث نزار مصطفى كحلا)



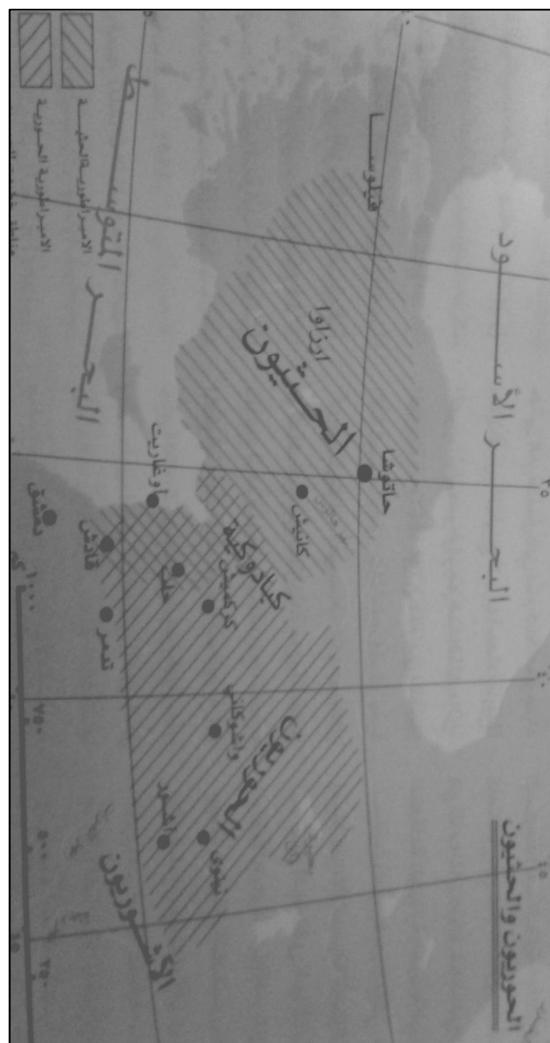
تحركات شعوب البحر حسب كتاب / دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة /
توفيق سليمان (الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلا)



رحلة الكاهن المصري وينامون إلى الساحل السوري في متصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد



موقع مدينة كركميش (جرابلس الحالية)
وملكة موكيش (آلاخ) وحلب (يمحاض) وأوغاريت



الإمبراطورية الحثية والعاصمة حاتوشا

الجد اوّل

جدول يُبيّن أسماء شعوب البحر في غزوة السنة الخامسة ١٢١٩ ق.م
من حكم الملك مرباتاح، حسب ما وردت عند أنطون مورتكات، وصفية
سعادة، ودونالد ب. ردفورد، ومحمد عبد الحميد أحمد

دونالد ب. ردفورد (مرتباتاح غزوة السنة الخامسة ق.م ١٢١٩)	صفية سعادة (مرتباتاح غزوة السنة الخامسة ق.م ١٢١٩)	أنطون مورتكات (مرتباتاح غزوة السنة الخامسة ق.م ١٢١٩)	محمد عبد الحميد أحمد (مرتباتاح غزوة السنة الخامسة ق.م ١٢١٩)
	الأكويش (الإيجين)		الأكين
	الترنيش (الليديين)	التورشين	التيروسيين
	اللوكا	اللقين	الليكين
	الشدرين	الشاردانيين	السردينين
			الصقلين
اللابو	الليبيين	الليبيق	ليبو
	الشيكيليش		

مشوش	المشوش		
الآشوتا			
الحاسا			

جدول يُبيّن أسماء شعوب البحر حسب ما وردت في كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / دونالد ب. ردفورد، في حملة السنة الخامسة لـ رعمسيس الثالث ١١٩٣ ق.م، مقارنة مع نقوش (هابو).

كتاب ردفورد (رعمسيس الثالث غزوة السنة الخامسة ١١٩٣ ق.م)	نقوش هابو (رعمسيس الثالث غزوة السنة الخامسة ١١٩٣ ق.م)
	الليبو
الاسبوتاي	السبد
المشوش	المشوش
الحاسا	
الكاركينا	

جدول يُبيّن أسماء شعوب البحر في غزوة السنة الثامنة، لـ رعمسيس الثالث ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م، حسب ما وردت عند السير آلن جاردنر، ودونالد ب. ردفورد، ومحمد عبد الحميد أحمد في كتابه / دراسات في تاريخ مصر الفرعونية /.

محمود عبد الحميد أحمد (رعمسيس الثالث غزوة السنة الثامنة ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م)	دونالد ب. ردفورد (رعمسيس الثالث غزوة السنة الثامنة ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م)	جاردنر (رعمسيس الثالث غزوة السنة الثامنة ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م)
البلست	بيلست	بلست
الزكار		زكار
الشكلش	شيكييليش	شكلاش
الدانو أو الدانونا	دععنو (دانو)	دانو
الوشاش	واش واش	وشش
	التجيicro	

جدول يُبيّن أسماء شعوب البحر في غزوة السنة الحادية عشرة،
لرعمسيس الثالث ١١٨٧ ق.م، حسب ما وردت في كتاب / مصر
الفراعنة / للسيّر آلن جاردنر

كتاب آلن جاردنر
رعمسيس الثالث غزوة السنة
الحادية عشرة ١١٨٧ ق.م
المشوش
ليبو

اسبات
فيقاش
شايتب
هاسا
بقن

جداول بأسماء الأسر الحاكمة في الدول المتعلقة بالبحث

العائلة الحاكمة في حاتوشة	العائلة الحاكمة في مصر	القرن
	الأسرة ١٨ تحوتمس الأول ١٥٢٥ - ١٤٩٥ ق.م	القرن ١٦ ق.م
تودخاليا الثاني - ١٤٦٠ ق.م خاتوشيلي الثاني تودخاليا الثالث	تحوتمس الثاني ١٤٩٥ - ١٤٩٠ ق.م حتشبسوت ١٤٩٠ - ١٤٦٨ ق.م تحوتمس الثالث ١٤٦٨ - ١٤٣٦ ق.م أمنحوتب الثاني ١٤٣٦ - ١٤١٣ ق.م تحوتمس الرابع ١٤١٣ - ١٤٠٥ ق.م	القرن ١٥ ق.م
شوبيلويليم الأول - ١٣٨٠ ق.م	أمنحوتب الثالث ١٣٦٧ - ١٤٠٥ ق.م أمنحوتب الرابع (أخناتون) ١٣٦٧	القرن ١٤ ق.م

أرنوواندا الثاني ١٣٤٦ - ١٣٤٥ ق.م مورشيلي الثاني ١٣٤٥ - ١٣٠٦ ق.م	أربعة ملوك ضعاف الأسرة ١٩ رعمسيس الأول ١٣٠٨ - ١٣٠٧ ق.م سيتي الأول ١٣٠٧ - ١٢٩١ ق.م	
مواتلي ١٣٠٦ - ١٢٨٢ ق.م أورمي تيشوب - ١٢٨٢ ق.م خاتوشيلي الثالث ١٢٧٥ - ١٢٥٠ ق.م تودخاليا الرابع - ١٢٥٠ ق.م أرنوواندا الثالث ١٢٢٠ - ١٢٠٠ ق.م	رعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٤٠ ق.م مرتبتاح ١٢١٤ - ١٢٢٤ ق.م أربعة أو خمسة ملوك ضعاف	القرن ١٣ ق.م
شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م	الأسرة ٢٠ ست نخت ١٢٠٠ - ١١٩٨ ق.م رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م رعمسيس الرابع - ١١٦٥	القرن ١٢ ق.م

القرن	العائلة المالكة في أوغاريت	العائلة المالكة الآشورية	العائلة المالكة في مملكة أمورو
القرن ١٤ ق.م	عمشتمرو الأول؟ - ١٣٥٠ - ١٣٥٠ نهمادو ١٣١٥ ق.م	آشور أو باليط الأول ١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م إنليل نيراري ١٣٢٩ ١٣٢٠ - ١٣٢٠ ق.م إريك دين - إلو ١٣١٩ - ١٣٠٨ ق.م أدنيراري الأول ١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م ١٢٦٠ ق.م	عبدى عشيرتا - ١٣٨٠ ١٣٤٥ ق.م عزيزى و ١٣٤٥ ق.م (أري تيشوب (دو تيشوب) ١٣١٤ - ١٣١٢ ق.م دوبى تيشوب - ١٢٩٠ / ١٢٨٠ ق.م
القرن ١٣ ق.م	عمشتمرو الثاني ١٢٣٥ - ١٢٦٠ ق.م ابيرانو - ١٢٣٥ ١٢٢٠ ق.م نيقمادو الثالث ١٢١٠ - ١٢١٠ ق.م	شلما نصر الأول ١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م توكوليني نينورتا الأول ١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م قرة من الصعف استمرت لأكثر من قرن	بن تشينا / ١٢٩٠ / ١٢٨٠ ١٢٧٥ - ١٢٧٥ ق.م شابللي ١٢٦٤ - ١٢٧٥ ق.م بن تشينا (ثانية) - ١٢٦٤ ١٢٣٥ ق.م شاوش جاموا ٩ - ١٢٣٥ ق.م
القرن ١٢ ق.م	عمورابي - ١٢١٠ ١١٩٠ ق.م	تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م	-

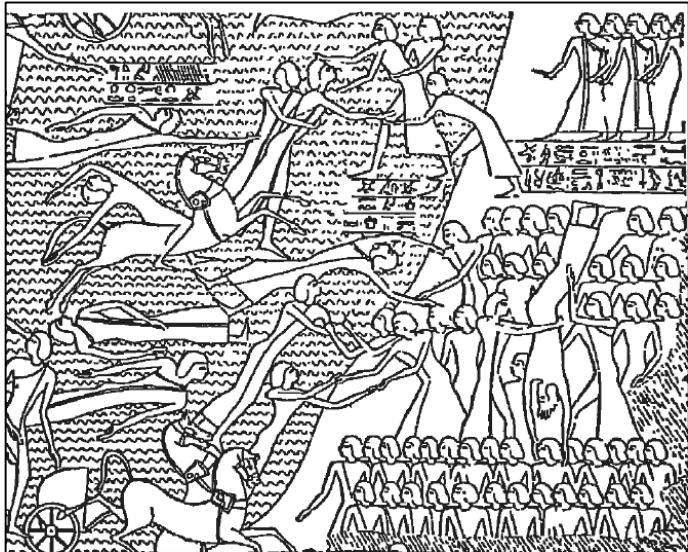
جدول زمني بأهم الأحداث التي وردت في البحث

- ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق.م آخر العصر الهللادي الوسيط.
- ١٩٠٠ - ١٥٥٠ ق.م العصر الهللادي الوسيط.
- ١٩٠٠ ق.م بدء دخول الأقوام الأوروبية (الجند) إلى شبه جزيرة البلقان.
- ١٩٠٠ - ١١٠٠ ق.م المدة الزمنية التي دخلت فيها الموجات الثلاث إلى شبه جزيرة البلقان (اليونان).
- ١٤٦٧ ق.م معركة مجيدو.
- ١٢٨٥ ق.م معركة قادش.
- ١٢٦٩ ق.م معااهدة السلام بين الحثيين والمصريين.
- ١٢١٩ ق.م غزوة السنة الخامسة في عهد مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م.
- ١٢٠٠ ق.م بداية حرب طروادة،
- ١١٩٣ ق.م غزوة السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث ١١٦٥ - ١١٩٨ ق.م.

- ١١٩١ ق.م سقوط العاصمة الحثية حاتوشة.
- ١١٩٠ ق.م سقوط مدينة آلالاخ.
- ١١٩٠ ق.م سقوط مدينة أوغاريت.
- ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث (معركة زاهي).
- ١١٨٧ ق.م غزوة السنة الحادية عشرة من حكم رعمسيس الثالث.
- ١١٥٠ - ١١٤٠ ق.م بدء هجمات الموشكى على بلاد الرافدين.
- ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م تجلات بليصر الأول في مواجهة الموشكى (شعوب البحر).

الصور

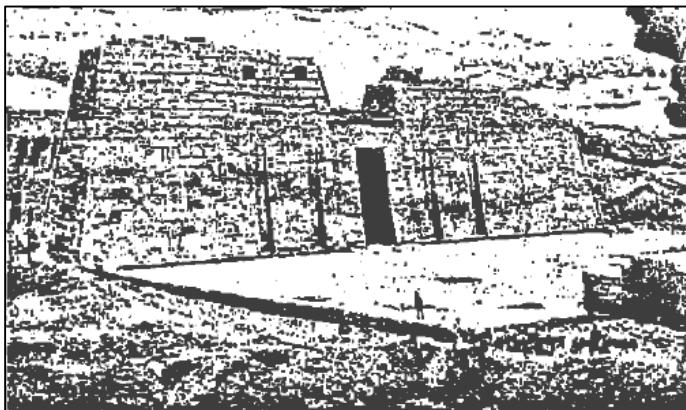
- ۲۸۸ -



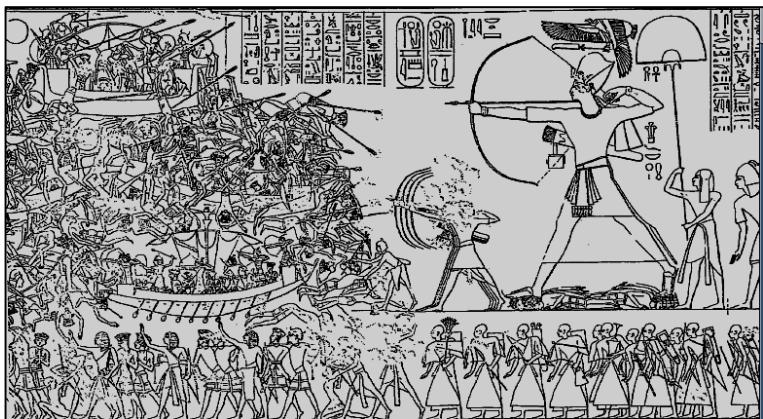
منظر من مناظر التقوش البارزة لمعركة قادش، يُشاهد فيه الآسيويون هاربين نحو نهر العاصي، وإخوانهم على الجهة الأخرى للنهر ينتشلونهم منه.



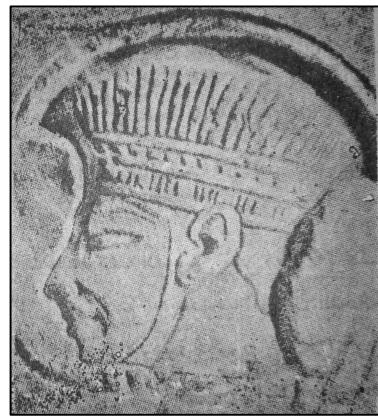
المعركة التي خاضها المصريون مع البلست في عهد رعمسيس الثالث
١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م



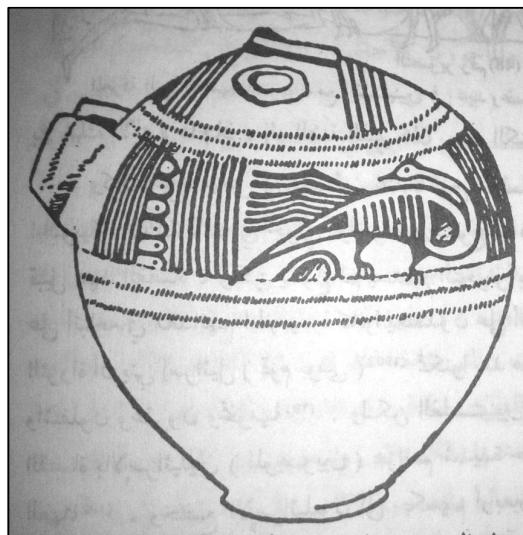
معبد رعمسيس الثالث بمدينة هابو



مشهد من معركة زاهي البحري



جنديان من البلست



نموذج من النقوش الخزفية من صنع البلست

المراجع

- ١ - أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - مصر - العراق - إيران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ م.
- ٢ - أحمد داود: تاريخ سوريا القديم (تصحيح وتحريف)، سلسلة (الكتاب الأول)، دار المستقبل، دمشق، ط١، ١٩٨٦ م.
- ٣ - أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٦.
- ٤ - البعثة الفرنسية المنقبة: رأس الشمرة / ١٩٢٩ - ١٩٧٩ / ت. فهمي الدالاتي، المديرية العامة لآثار ومتاحف، دمشق، ١٩٨٠ م.
- ٥ - آلن جاردنر، السير آلن جاردنر: مصر الفرعونية، ت. نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة كلارندون، القاهرة، ١٩٦١ م.
- ٦ - أنطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ت. توفيق سليمان وعلى أبو عسّاف وقاسم طوير، مطبعة الإنماء، دمشق، ١٩٦٧ م.
- ٧ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور حتى عام ١١٩٠ ق.م، الشرق الأدنى القديم «بلاد ما بين النهرين / بلاد الشام»، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥ م.
- ٨ - جواد بولس: لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣ م.

- ٩ - جورج سارتون: تاريخ العلم، ج ١ ، دار المعارف، ط ١٩٥٧، م ١٩٥٧، ط ٢، م ١٩٦٣.
- ١٠ - جيمس هنري بروستون: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي - صفحات من تاريخ مصر (٤)، ت. حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، م ١٩٩٦.
- ١١ - جيهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، وزارة الثقافة، سوريا، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، م ٢٠١١.
- ١٢ - خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق - مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، دمشق، م ٢٠٠١ - ٢٠٠٢.
- ١٣ - دونالد ب . رutherford: مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، ت. علي خليل، دار الرأي للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق.
- ١٤ - زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط ١، م ٢٠٠٠.
- ١٥ - سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ت. نهاد خياطة، دار العربي للنشر، دمشق، ط ١، م ١٩٨٨.
- ١٦ - صالح الحكيم: الحياة الدينية في المجتمع الأوغراري في ألف الثاني قبل الميلاد، وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، م ٢٠١٠.
- ١٧ - صفية سعادة: أوغاريت، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، م ١٩٨٢.

- ١٨ - طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الوجيز في تاريخ حضارة الرافدين، الجزء الأول، منشورات دار البيان ٥٣، بغداد، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٣ م.
- ١٩ - عبد العزيز عثمان: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٦ م.
- ٢٠ - علي أبو عسّاف: نصوص أوغاريت - دراسات ونصوص قديمة (٣)، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ١٩٨٨ م.
- ٢١ - عمار عبد الرحمن: مملكة آلاخ - ألق التاريخ على العاصي، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨ م.
- ٢٢ - عيد مرعي، وفيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الرافدين، دمشق، ط٤، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م.
- ٢٣ - عيد مرعي: تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠ - ٣٣٣ ق.م)، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠ م.
- ٢٤ - فاروق إسماعيل: اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، ٢٠٠١ م.
- ٢٥ - فاروق إسماعيل: مراسلات تل العمارنة الدولية - وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م / سلسلة دراسات آثرية (٤)، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٠ م.
- ٢٦ - فرانسوا دوكريه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، دار طلاس للنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٤ م.
- ٢٧ - وفيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الشام - سورية ولبنان وفلسطين والأردن، دمشق، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م.

- ٢٨ - فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ت. جورج حداد وعبد الكرييم رافق، دار الثقافة، بيروت، ج ١، ١٩٨٢ م.
- ٢٩ - قاسم الشوّاف: أخبار أوغاريتية وموسيقا من أوغاريت - أقدم موسيقا معروفة في العالم، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩٩ م.
- ٣٠ - قاسم الشوّاف: مع الكلمة الصّافية - دراسة فلسطينية، منشورات دار الأجيال، دمشق، ط ١، ١٩٦٩ م.
- ٣١ - قصي محمد عبد الرحمن: أوغاريت، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط ٢٠٠٨، ١ م.
- ٣٢ - كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ت. عفيف الرزاّز، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م. بيروت، لبنان، الطبعة العربية السادسة، ١٩٩٧ م.
- ٣٣ - ليونارد وولي: آلالاخ - مملكة منسية، دراسات ونصوص قديمة (٥)، ت. فهمي الدالي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٢ م.
- ٣٤ - محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ م.
- ٣٥ - محمد حرب فرزات: موجز في تاريخ سورية القديم، دمشق، ط ١١، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م.
- ٣٦ - محمد حرب فرزات: محاضرات في تاريخ الشرق القديم - مصر القديمة وحضارتها، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢ م.

- ٣٧ - محمد عبد الحميد الحمد: حضارة طريق التوابل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧ م.
- ٣٨ - محمد محفل: دراسات في تاريخ الرومان، ج ٢، منشورات جامعة دمشق، ط ١٠، ٢٠٠١ - ٢٠٠٠ م.
- ٣٩ - محمود عبد الحميد أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٢ م.
- ٤٠ - محمود عبد الحميد أحمد وآخرون: آثار الوطن العربي القديم - العراق - سوريا - مصر، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٣ م.
- ٤١ - نزار مصطفى كحلاة: إيداعات حضارية في تاريخ العرب قبل الإسلام، كتاب قيد الطباعة.
- ٤٢ - نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة - حضارات العصور القديمة، ج ١، مطبعة العروبة، دمشق، ١٩٦٤ م.
- ٤٣ - هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ت. آحو يوسف، دار اليابع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥ م.
- ٤٤ - هورست كلينغل: تاريخ سورية السياسي ٣٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م، ت. سيف الدين دياب، تدقيق. عيد مرعي، دار المتنبي، دمشق، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ٤٥ - هورست كلينكل: آثار سورية القديمة - آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥ م.
- ٤٦ - يوسف سامي اليوسف: تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ٤٧ - يولي بركوفيتش تركين: الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت. يوسف أبي فاضل، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط ١، ١٩٨٨ م، ص ٢٦.

الدوريات

- ١ - جاك فرو: علاقات أوغاريت الدولية في نهاية عصر البرونز، مقالة في مجلة المعرفة، ت. موسى ديب الخوري، وزارة الثقافة السورية، العدد ٥٦٦، ٢٠١٠ م.
- ٢ - رينيه لوبران: أوغاريت وختاي في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، مقال في مجلة مهد الحضارات، ت. غادة الحسين، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للتدريب والبحث الأثري، العدد ١١ - ١٢، ٢٠١٠ م.
- ٣ - فاروق إسماعيل: الحثيون وحملاتهم على سورية، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١ - ٨٢ ، ٢٠٠٣ م ، جامعة دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب.
- ٤ - فراس السواح: آخر أيام أوغاريت - عوامل طبيعية أم بشرية، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٥٠٧، ٢٠٠٥ م.
- ٥ - محمود عبد الحميد أحمد: الأطعاع الغريبة في بلادنا خلال العصور القديمة، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، العدد ٦١٨، ٢٠١٥ م.

الموسوعات

- ١ - إبراهيم توكلنا: شعوب البحر، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- ٢ - بشير زهدي: الحثيون، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الثامن، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط ١، ٢٠٠٣ م.

المحتوى

الصفحة

٧	مقدمة
١٥	صعوبات البحث

الفصل الأول

أوضاع المنطقة - موضوع البحث - عشية

١٩	حدث هذه المتغيرات
١٩	أولاً : الأوضاع في بلاد الرافين
١٩	- الدولة البابلية
٢١	- الدولة الآشورية الوسطى
٢٢	ثانياً : الأوضاع في بلاد الشام
٢٦	- الأوضاع في أوغاريت
٢٨	ثالثاً : الأوضاع في وادي النيل (مصر)
٣١	رابعاً : أوضاع الدولة الحثية
٣٧	خامساً: معركة قادش ٢٨٥ ق.م.
٣٩	سادساً: المعاهدة الحثية المصرية ٢٦٩ ق.م.

الفصل الثاني

غزوات شعوب البحر.....	٤٥
أسباب تحركات شعوب البحر	٤٧
- أولاً: المتغيرات التي حدثت في أوروبا	٤٧
- ثانياً: الأسباب السياسية	٧٠
- ثالثاً: الأسباب الاقتصادية	٧٢
- رابعاً: الأسباب العرقية	٧٩
- خامساً: وجود بعض القبائل المتندية حضارياً على أطراف المراكز الحضارية	٨٠
تاريخ الصراع الحثي مع قبائل الجوار	٨٣
تأريخ غزوات شعوب البحر	٨٩
خط سير تحركات شعوب البحر	٩٢
وصف شعوب البحر	١٠٢

الفصل الثالث

شعوب البحر تغزو مصر.....	١٠٧
أولاً : شعوب البحر في عهد منتبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ق.م	١٠٧

الصفحة

ثانياً: شعوب البحر في عهد رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م.....	١١٨
غزوة السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث عام ١١٩٣ ق.م	١١٩
غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م ..	١٢٣
غزوة السنة الحالية عشرة من حكم رعمسيس الثالث ١١٨٧ ق.م.	١٣٠
ثالثاً: مصير شعوب البحر التي هاجمت مصر	١٣٤
مصير البلست والتلکير وتنمية فلسطين	١٣٦

الفصل الرابع

شعوب البحر تغزو آسيا الصغرى.....	١٥١
أولاً: حرب طروادة.....	١٥٢
ثانياً: سقوط العاصمة الحثية حاتوشا	١٥٦
حاتوشا عشية سقوطها	١٥٧
المجاعة وطلب المساعدات	١٥٧
القبائل التي هاجمت حاتوشا وأسقطتها	١٦٦

الفصل الخامس

شعوب البحر تغزو بلاد الشام والساحل السوري.....	١٧١
أولاً : غزو كركميش.....	١٧١
ثانياً : غزو مملكة أمورو	١٧٥

الصفحة

ثالثاً : غزو مملكة الألاخ ١٨١
رابعاً : شعوب البحر تغزو أوغاريت ١٨٤
عموري في أيامها الأخيرة ١٩٣
أوغاريت في أيامها الأخيرة ٢٠١
زلزال يُدمر أوغاريت ٢٠٦
خامساً: غزو مملكة قادش ٢١٤
سادساً: غزو صيدا وصور وباقى الساحل资料 ٢١٥
سابعاً: مصير باقى الساحل السورى ٢١٧
ثامناً : مصير شعوب البحر ٢٢٠

الفصل السادس

شعوب البحر في مواجهة الآشوريين ٢٢٣
--

الفصل السابع

نتائج غزوات شعوب البحر ٢٣٣
الخاتمة ٢٤٣
الملاحق ٢٤٧
الملحق رقم (١): شعوب البحر في عهد رعمسيس الثاني ٢٤٩
١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م ٢٤٩

الصفحة

الملحق رقم (٢): البلست وتنمية فلسطين / رأي د. زياد منى / ..	٢٥٣
الملحق رقم (٣): عصر الحديد ٢٥٥	٢٥٥
الملحق رقم (٤): رحلة وينامون Wenamun وانتهاء النفوذ المصري ..	٢٥٩
الملحق رقم (٥): غزوات شعوب البحر ظاهرة مستمرة ٢٦١	٢٦١
الخريطة.....	٢٦٧
الجدائل	٢٧٩
الصور	٢٨٧
المراجع	٢٩٢
الدوريات	٢٩٧
الموسوعات.....	٢٩٧

نزار مصطفى كحلاة

- من مواليد سلمية ١٩٧٠ م
- إجازة في الآداب / قسم التاريخ / ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م.
- يعمل في مجال البحث في تاريخ الشرق العربي القديم.
- عضو في جمعية العاديّات / فرع سلمية / منذ عام ٢٠٠٣ م.

الكتب المطبوعة:

- التخيير والإنشاش عبر التاريخ.
- ملوك عربيات عبر التاريخ.
- المدارس والتعليم في تاريخ الشرق العربي القديم - بلاد الشام والرافدين.
- شارك في تأليف كتاب / شخصيات من ذاكرة سلمية/.

الطبعة الأولى / ٢٠١٧

كلمة غلاف

غزوات شعوب البحر، تلك العبارة التي لطالما مررت معنا أثناء دراستنا لكتب التاريخ، خاصة تلك التي تعالج قضايا تتعلق بتاريخ آسيا الصغرى وسواحل بلاد الشام ومصر، أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، التي عادةً ما يأتي شرح مبسطٌ عنها في أسفل الحاشية، لا تقي بالغرض.

هذه الشعوب التي انطلقت من السواحل الشرقية لأوروبا وجزر بحر إيجة، حوالي ١٢٠٠ ق.م، مدمّرة أمامها الإمبراطورية החثية، ومملكتي أوغاريت وموكيش (اللالخ) وباقى الساحل السوري، إلى أن استطاع الملك المصري رعمسيس الثالث ١١٦٥-١١٩٨ ق.م إيقافها، حيث تفرق بعضها، وسكن بعضها الآخر فلسطين مُندمجين مع سكانها الأصليين (الكنعانيين)، في ظاهرةٍ شبّه إلى حدٍ بعيد ظاهرة حروب الفرنجة (الصلبيّة) المعروفة.

يأتي هذا الكتاب ليسدّ ثغرةً كبيرةً في المكتبة العربية، الفقيرة أصلاً بكتب تاريخ الشرق العربي القديم، وخاصة هذه المرحلة الهامة منه.